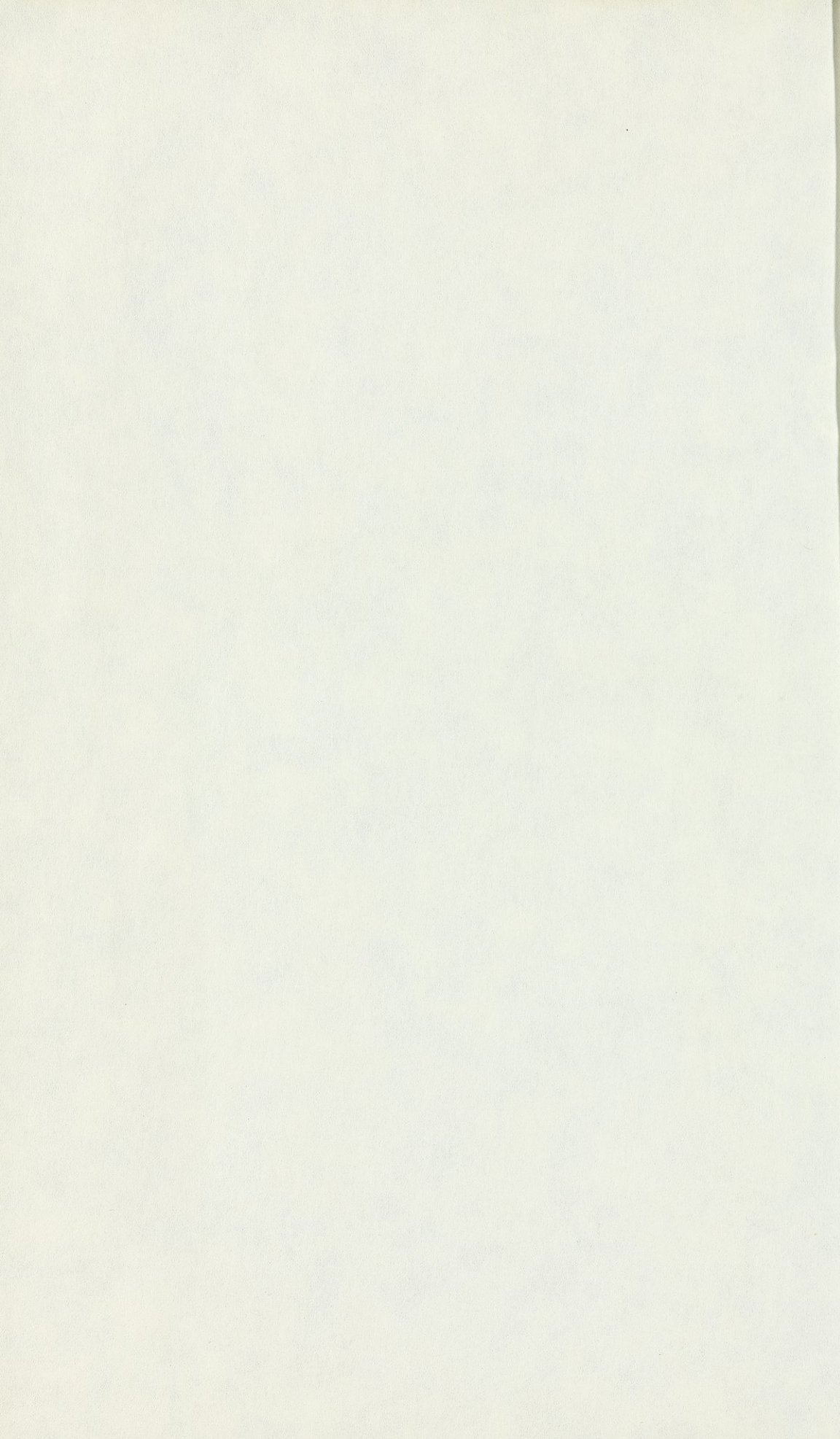


Princeton University Library



32101 082175652



٧٠ ٧٦
al-Dibs, Yūsuf Ilyās, abp. of Beirut

المجلد السادس

Kitāb ta'rīkh Sūriyah

من تاريخ سورية للديوي والديني

يتضمن هذا الجزء تاريخ سورية من اواخر القرن الحادي عشر
الى اوائل القرن السادس عشر

للحقير الفقير الى عفوره يوسف الياس الدبس
مطران بيروت الماروني

طبع في المطبعة الصومية في بيروت ١٩٠٢

2269

.28

.352

v. 6, pt. 1

المجلد السادس
من تاريخ سورية
الباب الثاني عشر

في تاريخ القرن الثاني عشر

القسم الاول

في تاريخ سورية الديني في هذا القرن

فاتحة الكلام

ان تاريخ سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مثالات يتمثل بها كل عاقل ليلزم السلم والوفاق وينكب عن الحصام والحلاف . فجل احداث تاريخ هذين القرنين او كالمها حروب ومغالبات على مدن سورية خاصة بين الافرنج الذين اكثروا من الحملات حينئذ على بلادنا وبين المسلمين الذين كانوا يلون هذه البلاد ولو اقتدى بعض المسلمين بابي بكر الصديق في الرفق بالنصارى كما اوصى غزاته الاولين او بعمر بن الخطاب اذ لم يشأ ان يصلي في كنيسة القدس لتلا يقول المسلمون بعده هنا صلى عمر . او تركوا النصارى وما يدينون كما أمروا لنجا المسلمون والنصارى من غوائل الحروب التي خربت هذه البلاد مدة قرنين ولكن قام في

مصر الخلفاء العالويون الفاطميون ونازعوا الخلفاء العباسيين الولاية على سورية
واذاقوا النصارى الامرين بعد ان كانوا يترفون بمقالة هرون الرشيد واولاده
واخضاه وقام من العالويين الحاكم بامر الله فعذب النصارى واليهود وبعض المسلمين
ايضاً وذلك معابدهم حتى احرق كنيسة قبر المسيح ومنعوا النصارى من ان
يجوا الى القدس الا ان يدفعوا ضريبة فاحشة فلم يصبر اجبار رومة ورساء الدين
المسيحي وملوك النصارى بالمغرب على هذا الاعتداء ودعتهم فروضهم الدينية الى
العناية بتامين النصارى بسورية ومصر واخذ منذ ذلك الحين في الاهتمام بتامينهم
من الاضطهاد ووقاية معابدهم من الحراب الى ان تآلت في اخر القرن الحادي
عشر جموع نصارى المغرب وسارت الى المشرق

ولولا الخلاف الذي كان بين المسلمين في ذلك العصر اعني بين الملوك
السلجوقيين وخلفاء مصر العالويين وبين حكام الاعمال بانفسهم كما كان بين ولاة
بغداد والموصل وحب ودمشق وحمص وغيرها لما قدر الافرنج ان يدخلوا هذه
البلاد ولا جسروا ان يكون لهم بها مطمع ولو لم يكن بين النصارى مثل هذا
الخلاف بين ملوك الورد في قسطنطينية وملوك المغرب وبين اصحاب تلك الحملات
بانفسهم ايضاً لما استطاع المسلمون ان يخرجوهم من هذه البلاد غنوة والحق يقال
ان هذه الحروب الشديدة المديدة ارتا بسالة المسلمين وصبرهم على القتال وعصيتهم
الشديدة فلم يتركوا الافرنج يستريحون في بلادهم سنة واحدة دون حرب فكانت
في القرنين سلسلة حروب تتصل احدي حلقاتها بالاخري كما سترى وكشفت هذه
الاحداث من جهة الفرنج عن ورعهم وتمسكهم في الدين في ذلك العصر وتحملهم
مضض مشاق السفر واخطار الحرب. ولكن كان في جانب ذلك المحاسدة والخلاف
حتى الجؤوا ان يجلوا عن هذه البلاد صاغرين ويورثوا سكانها غوائل الخلاف ونالنا
نحن الموارنة نصيبنا من هذه المصائب وهو احراق عمل كسروان بجملته وخراب

حبة بشري على أثر جلائهم لانهم انسوا بنا واستوطنوا بين ظهرائنا جامعة الدين
بيننا وبينهم وسترى في كل فصل من تاريخنا لهذين القرنين موعظة ناطقة بوجوب
الموالاتة والوفاق في امور هذه الدنيا بين الملل ولو اختلفت ديناً ومذهباً وطقساً
وووجوب التنكيب عن العداوات والحصام طلباً لراحة كل فريق والسير في طريق
التمدن والتراقي في مدارج النجاح والفلاح هدى الله كل ضال الى سراط الحق
المستقيم

الفصل الاول

﴿ في قدوم الافرنج الى سورية واحتواذهم على بعض مدنها ﴾
﴿ وما كان من الحروب في هذا القرن ﴾

﴿ عدد ٨١٢ ﴾

﴿ في تآلب الافرنج في بلادهم ومسيرهم الى قسطنطينية ﴾

كان المسلمون قد ضائقوا ملك الروم الكسيس كوماناس وانتزعوا اكثر املاكه
واشكوا ان يحصروه في قسطنطينية عاصمة ملكه فلجأ الى ملوك اوروبا واوفد
اليهم وفوداً ورسائل منها رسالة الى روبرتس كنت فلاندر الملقبة يومئذ بافرنسة
والى جميع الامراء المسيحيين من الاكبايريكين والعامه يستجير بهم ويبالغ في
مضايقه المسلمين له وفي احتقارهم الدين المسيحي وسطوهم على الكنائس والاديار
ويسالهم الاخذ بناصره والانتصار لدينهم واستنقاذ قبر المخلص من ايديهم ويزين لهم
كسب ما في المشرق من الكنوز والذخائر المقدسة والاثار الجليلة وكان في ابرشية

اميان بافرنسة وقتئذ حيس اسمه بطرس عزم ان يحج الى اورشليم فامها واقام فيها
اياماً وزار سيمان بطريك هذه المدينة وحدثه سائلاً اياه عن حالهم فتم اليه
البطريك ما يقاسون خاصة من جرى مغالبة دول المسلمين على مدينتهم فساله
بطرس اليس من علاج لهذه الشؤون فقال البطريك ائمانا ابعدت بيتنا وبين الهنا
فلا يستجيب دعاءنا وكان عقابنا لم يكمل بعد فاشار عليه السائح ان يرفع رسائل
الى الحبر الروماني وامراء انصارى في المغرب وهو يوصل رسائله اليهم ويضع
ما يقدره الله عليه لاجابة سؤاله فراق هذا الكلام للبطريك وكتب رسائله
ودفعها الى السائح الذي قام في ذهنه ان الله يدعوه للجهاد في هذه المهمة الجليلة
فاتى الى رومة ورفع رسالة البطريك الى البابا اوربانس الثاني فاجله وابدى ارتياحه
الى مساعدة نصارى المشرق فضى بطرس السائح يقري القيا في بايطاليا وفرنسا حافي
القدمين مكشوف الراس حاملاً صلياً مغزياً الكبرياء والمامة ايضاً لتجدة نصارى
المشرق اما الحبر الروماني فعقد مجمعاً في بلاسنس بزمندية جمع فيه اساقفة ايطاليا
وبوركونيا وافرنسة والمانيا وبنيارا وغيرها حتى اجتمع حينئذ مئتا اسقف ونحو
من اربعة الاف اكليركي واكثر من ثلاثين القام من العامة فلم تسعهم كنيسة قتالوا
في ساحة في اليوم الاول من اذار سنة ١٠٩٥ وشهد التجمع نواب بعض الملوك
ووفود الكيس ملك الروم الذين تضرعوا باخبارت الى الحبر الروماني وامراء المغرب
ان يمدوا ملكهم وينجدوه على اعدائه حياً ببحر الكنيسة والدين الذي كاد يزهق
في المشرق فحث البابا المؤمنين على ان يمدوا ملك الروم واقسم كثيرون من الحاضرين
ان يسيروا الى قسطنطينية لامداد الملك وعزم الحبر الروماني ان يسير الى افرنسة
ويعقد فيها مجمعاً فسار بجرماً واستدعى الاساقفة الى الاجتماع في كلرمون باوفرنيا
في الثامن عشر من تشرين الثاني سنة ١٠٩٥ فاجتمعوا في اليوم المعين وكان عدد رؤساء
الاساقفة ثلثة عشر وعدد الاساقفة والرؤساء الكبار مئتين وخمسة وعدد الباقين

من الاكليريكيين نحواً من اربع مئة وحشد يشد عن العد من الامراء والسفراء
والوجهاء والعامّة حتى ضاقت عنهم المدينة وضواحيها وبعد ان بحث اباء المجمع عن
بعض المسائل المتعلقة بالدين والتهديب اليه وقرروها عقد المجلس العاشر في ساحة
فسيحة في المدينة فقام بطرس السائح وخطب في الجماعة خطبة حماسية رنانة وكان
فصيحاً بليغاً سيد الحجة وكان لخطبته وقع شديد في قلوب سامعيه حتى كادوا
يحاولون ان يطيروا من كرمون الى اورشليم وخطب بعده البابا اوربانس وكان
افرنسياً مولداً حاضاً ابناء وطنه والمسيحيين اجمع على استنقاذ الارض المقدسة
بفصاحة عجيبة حتى نهض السامعون اجمعون وضجوا صارخين كانه بضم واحد
Dieu le veut! Dieu le veut ان الله يريد ذلك . ان الله
يريد ذلك . فقال البابا فيمكن هذا الكلام شعاراً لكم في كل عمل صالح تآونه
وكان لكلامه تاثير شديد حتى عزم للحال اكثر السامعين من الاكليروس والعالمين
على المسير الى المشرق وكان اويمر اسقف بوي اول من اخذ من يد البابا الصليب
شعار الصليبين في حملتهم الى المشرق وتبعه كثيرون واقام البابا براي الاساقفة
اويمر اسقف بوي رئيساً روحياً للمتجندين وسفيراً من قبله . وريموند كونت
تولوز وسان جيل رئيساً مديناً وطاف البابا في كثير من كنائس افرنسة مدبراً
شؤونها وحاتماً على المسير الى الشرق وموزعاً بيده الصلبان وجال بطرس السائح
في كل فيج داعياً الى التجند واكثر الاساقفة من الحض على ذلك فعظم الاقبال على
هذا التجند في افرنسة وايطاليا والمانيا وتبارى فيه الاكابر والاصغر الرجال والنساء
والاحداث والكهول حتى اضطر البابا ان يضع نظاماً لذلك وفي جهته ان لا تسافر
المرأة الا مع زوجها او اخوتها وكان بين الكبراء المتجندين ريموند كنت تولوز المار
ذكره وروبرتس الثاني كنت فلاندره وقد سمي بعداً كنت اورشليم وروبرتس
الثاني كنت نرمندية وغودفروا دي يوليون دوك لوران واخواه بودين واستاش

وبيومند امير ترينتو . واما عدد الصليبين فلا يحصى وقال فوجر من شرتر
الذي كان معهم ان عددهم لا يقل عن ستة ملايين ولكن عاد بعضهم من ايطاليا
وبعضهم من غيرها وبعضهم مات وبعضهم قتل والمؤكد ان الذين بلغوا قسطنطينية
كانوا نحو سماية الف مقاتل . وقالت الاميرة حنه كومانس التي كتبت تاريخ ابيها
الكسيس كومانس . من شاء احصاء عدد الصليبين فليحص عدد رمال البحر
او نجوم السماء او اوراق النبات او ازهار الربيع ، هذه مبالغة تشير بها الى الكثرة
وقد اتفق الصليبيون ان لا يسيروا في طريق واحد او حشداً واحداً بل ان
يسيروا متفرقين وموعد اجتماعهم قسطنطينية فسار جيش منهم مقدمه بطرس السائح
في طريق المانيا وكان عدد هذا الجيش نحو تسعين الفاً وفي جهتهم نساء واحداث
وشيوخ واخذ امرة فريق من هذا الجيش رجل اسمه كوتيار **sans avoir** وكان
اي القمير او الذي لا يملك شيئاً واسمه دال على ما كان عليه من المسكنة والقمير وكان
عسكره كذلك وكان المومنون يقومون باودهم ما ساروا في ارض افرنسة وقد
تبهم بعض المائين في طريقهم ولم يتعرض لهم احد وبلغوا الى بلغريا وقد عازهم
الزاد وابي واليها ان يدهم بشيء منه فاشتوا في المزارع واتقروا وسلبوا الماشية
واحرقوا بيوتاً وقتلوا بعض من قلوبهم فتاب البلغاريون عليهم وقتلوا منهم كثيرين
وانهزم كوتيار سايراً في الاحراج والمفاوز بمن بقي من جنده الى ان بلغوا نيسا
فشفق عليهم واليها واحسن اليهم بازودة واسلحة وملابس وبلغوا اسوار قسطنطينية
بعد شهرين مضين بالتعب والجوع

واما الفريق الاخر من هذا الجيش الذي كان بامرة بطرس السائح فسار
في طريق بغيارا واوستريا فاباحهم قولمان ملك اونقريا (الجر) ان يجتازوا بارضه
آمنين بحيث لا يضرون باحد ويشترون ما يحتاجون اليه وبلغوا مدينة سميلين فراوا
على ابوابها بعض اسلحة كان اهل المدينة قد انزعوها من الصليبين فضربوا المدينة

وقحوها وقتلوا من اهلها اربعة آلاف ولكن جيش الانقاريون عليهم فانهزم بطرس
 السامح بعسكره وساروا في الاحراج وانتهوا الى نيسا فقدم لهم واليها الزاد
 ولكن وقع خصام بين بعض الاهلين وبعض الجند فاحرق بعض الالمانيين من
 الصليبيين سبع مظان فنار اهل المدينة بالصليبيين فقتلوا كثيرين واخذوا منهم التي
 عربية واسروا كثيرين وعاد بطرس السامح الذي كان قد سار في مقدمة جيشه الى
 والي نيسا يساله تخلية الاسرى ورد العربات فابي واستنف القتال ودارت الدائرة
 على الصليبيين فقتل منهم عشرة الاف وانهزموا في البرية نحو تراسة نادمين على
 ما جنوا على انفسهم وعلى غيرهم ولما علم الملك الكسيس بوصولهم الى تراسة
 ارسل يعتبهم على سطوهم ويعدهم بالصفح فساروا حتى انتهوا الى اسوار قسطنطينية
 وحشد كاهن الماني اسمه كوتسكال عسكراً نحو خمسة عشر الفا وكان اكثرهم
 من السباريت الجانين فافرطوا في السطو بانقاريا فقتلوا هناك عن اخرهم وتالب
 عسكر اخر من المانيا فسطا على اليهود ونكل بهم فشتتهم الاونقاريون والبلغاريون
 شذر مذر واما الجيوش المنظمة فسار فريق كبير منها بامرة غودفروا دي بويليون
 فلم يتعرض لهم الاونقاريون والبلغاريون . وسار فريق اخر بامرة روبرتس دوك
 نرمندية وروبرتس كنت فلاندرنا وغيرها في طريق ايطاليا . وسار فريق اخر
 بامرة يومند امير تريدينو بجرأ الى بلاد اليونان وسار الصليبيون من جنوب افرنسة
 برئاسة اويمر اسقف بوي سفير البابا وامرة ريموند كنت تولوز وكان عدد هذا
 الجيش نحواً من مئة الف مقاتل وساروا في طريق ايطاليا وبلاد اليونان باحسن
 نظام وبكل عبادة وورع واجتمعوا جميعاً في ضواحي قسطنطينية سنة ١٠٩٦ وكان
 معسكر قادتهم في قرية بيوكدرا احدي ضواحي قسطنطينية وقد كان عدد من
 قتل ومات منهم في طريقهم الوفياً مؤلفة (ملخص عن تاريخ روهز بنجر عن تاريخ
 غويليمس اسقف صور وغيره من مؤرخي ذلك العصر)

﴿ عدد ٨١٤ ﴾

﴿ في ما كان بين الافرنج وملك الروم ومسيرهم الى انطاكية ﴾
 ان الكسيس ملك الروم الذي كان قد استمد امرأه المغرب ارتاع لما راى
 كثرة عديدهم ووجس من انقلاب ناجديه عليه واسف لانه اراهم ضعفه
 باستمداده لهم فعول على الحيلة والمكر بهم فرحب بهم وانسبهم وقدم لهم هدايا
 وتقادم نفيسة واكثر من الوعود بمجاراتهم على كل ما يتفقون لكنه بالغ في تجسس
 احوالهم واستطلاع ما كتبت سرايرهم وكان الكنت دي فرمندوا اخو ملك افرنسة
 قد القاه عاصف على شواطى الاير ففس الكسيس من احضره وحاشيته الى
 قسطنطينية بهيئة اسير آملاً ان يكون اخو ملك افرنسة رهينة عنده لحفظ الامانة
 له فكان عكس ما امل فان ذلك كشف للافرنج خبث نيته واراهم لزوم الحذر منه
 واخذ روساؤهم ياملون الروم معاملة اعداء فقدم الكسيس على قبج فعلته واستعطف
 اسيره وطلب عفوه وبالغ في اكرامه وفي تقديمه الهدايا له لكنه لم يلبث ان منع
 الافرنج الزاد فانتشروا في القرى وضواحي المدينة يهبون ويسابون واستمروا على
 ذلك اياماً فكان لهم ما يكفيهم واتت ايام عيد الميلاد فكفوا عن الساب تديناً
 وصالحوا الملك فعاد يجري الارزاق عليهم وكان الملك لا يدخر وسيلة من وعد
 ووعد ليحلف له غودفروا يمين الامانة والطاعة وغودفروا لا يفتقر بوعدة ولا
 يرهب وعيده واوشكان يتعاركا وبلغ الخبر بيومند واستبشر بان تلك وسيلة لاستقاط
 ملك الروم واقتسام مملكته وكشف غودفروا في ذلك فلم يحسن له . وعلم الملك
 بذلك فازداد رهبةً وتوجساً وارسل ابنه ليكون في معسكر الافرنج فاعتقروا
 بحدته وصيدوا باحبولته واتى روساءهم الى قصره فبالغ في تكريمهم وتبني غودفروا
 ووضع مملكته تحت حمايتهم فلفوا له على انهم لا يخلون بجرمة الضيافة وانهم
 سلهون اليه ما كان يخص مملكته من المدن التي يتحونها ووعدهم الملك ان ينجدهم

براً وبحراً بجنده وسفنه وان يقدم لهم الازودة ويشاطرهم الكفاح والمخاطر
والفخر في حماهم
وكان اول من عبر البصر منهم واحتل اسيا غودفروا وسار على اثره باقي
الامراء وكان جيشهم حينئذ ست مئة الف مقاتل واول مدينة حصروها وافتتحوها
كانت مدينة نيقية المشهورة بالجمعين الاول والثامن اللذين عقدا فيها وكان تولاهما حينئذ
قلاج ارسلان بن سليمان سلطان قونية من السلجوقيين وسماه ابو القداء قلاج
فلاق الافرنج بجموعه فقاتلوه فجزموه في رجب سنة ٤٩٠ هـ وهي سنة ١٠٩٧ م
هذا ما رواه ابن الاثير وابو القداء. وقد ذكر المؤرخون الافرنج اخذ نيقية باكثر
تفصيل فقالوا ان مهاجمات الافرنج لهذه المدينة في الايام الاولى من حصارهم لم
تجدهم نفعاً ورجعوا عنها خاسرين لانها كانت محصنة منيعة واتي السلطان قلاج
انجدها بستين الف فارس فاججت نار الوغى بينه وبين الافرنج من الفجر الى
المساء فانكسر وتشتت جمعه وقتل من عسكره كثيرون وبعد هذه الوقعة شدوا
الحصار على المدينة. ولم يبق الا ان يدخلوها فارسل الملك الكسيس كتيبة من
جنده بامرة قائدين معروفين بالدهاء فدخل احدهم المدينة وارهب اهلهما بما
سيجريه الافرنج عليهم من الانتقام وزين لهم ان يستسلموا الى الملك فقبلاوا. واذ
كان الافرنج يتحفزون للدخول الى المدينة راوا اعلام الملك الكسيس تخفق على
اسوار المدينة وقلاعها. فدهشوا واحتدموا وكادوا يتزقون غيظاً اذ منعوا من ان
يدخلوا المدينة الا عشرة عشرة بعد اراقية دماء كثيرين منهم في فتحها واوشكوا
ان يثيروا بملك الروم لولا ان يتدارك هو الامر باعتذاره عن قائله وبسخائه
على الجنود وتقديم الهدايا النفيسة لروسائهم فانغضى الافرنج على سؤ ضيعه
وحذروا الاركان اليه

وفي ٢٥ حزيران من سنة ١٠٩٧ سار الافرنج بجيوشهم من نيقية متقسمين

الى عسكرين احدهما بامرة بيومند وتكراد ودورس دوك نزمنديه . والآخر
 بامرة غودفروا دوك لوران وبينما عسكر بيومند على مقربة من دوريل المعروفة
 الان باسكي شهر وثب عليهم في غرة تموز قليج ارسلان سلطان قونية السلجوقي
 بجيش جرار لا يتقص عن ثمانية الف رجل واستمرت نار الحرب بين الفريقين
 منذ الصباح وانتهى جنود السلطان في احدى كراتهم الى معسكر الافرنج فقتلوا
 النساء والاطفال والشيخ والمرضى واتصلوا الى ان احاطوا بالافرنج من كل جهة
 وسدوا عليهم باب الحرب وكاد اليأس يستحوذ عليهم فاذا طلائع العسكر الاخر
 الذي بامرة غودفروا مشرفة عليهم من اعلى جبل قريب منهم فانتعشت قلوب
 اخوانهم وارتاع اعداؤهم وانكشفوا مرتدين فتبع الافرنج خطاهم يقتلون منهم
 فتحصن السلطان قليج في قمة جبل ظاناً ان الافرنج لا يلحقونه الى هناك فاحدقوا
 بالجبل وضيقوا على من تحصنوا به وقتلوا منهم كثيرين وغنموا ازودتهم وسلاحهم
 وخيمهم ودوابهم وقد سرتهم رؤية الجمال التي لم يكونوا يعرفونها في اوربا . وكان
 عدد القتلى من الافرنج في هذه الوقعة نحو اربعة الاف وقد اطرا المؤرخون
 النصارى المعاصرون لهذه الاحداث بسالة المسلمين وثبوتهم في القتال . اما
 السلطان قليج فانهزم بمن بقي من جيشه واخرب كل البلاد التي راى انه لا يستطيع
 الدفاع عنها

وفي ٣ تموز سار الافرنج جيشاً واحداً مفكرين ان سيرهم مما يقبهم القدر
 ومباغته اعدائهم فريقياً منهم لكنهم عرضوا نفوسهم بذلك للهلاك جوعاً في الاعمال
 التي اخرجها قليج ولما توغلوا بهذه البلاد المقفرة الحربة عازهم الزاد واصابتهم مجاعة
 الجائهم الى الاقتيات بحب الاشجار واصول النبات فهلك كثير من الجنود والدواب
 جوعاً وعطشاً واضطر الفرسان ان يترجلوا وبعضهم ان يركبوا الحير والبقر وان
 استخدموا الغنم والماعز والحنازير والكلاب لنقل امتعتهم وملابسهم وروى غوليمس

الصوري في كتاب تاريخه لهذه الحرب انه مات في يوم واحد خمس مئة نفس من الافرنج واستمروا على هذه الحال التعمية المضنكة الى ان انتهوا الى انطاكية بيسيدية ففتح اهلها ابوابها لهم واستراحوا في هذه المدينة المنخضلة الزاهية اياماً وقد ذاع خبر انتصارهم وكثرة جيشهم فتوارد اليهم وفود من اعمال كثيرة يرجون بهم ويمدون بالطاعة لهم وامدادهم بما يتبعون وجاهر النصارى في اسيا الصغرى بالاتياد اليهم

وسار جيش الافرنج من انطاكية بيسيدية نحو قونية عاصمة ملك قليج السلجوقي وبلغوا هرقلية حيث اقاموا اربعة ايام واستأنفوا مسيرهم في اوعار جبل طورس مقاسين من المشاق ما حملهم على ان يسموا هذا الجبل جبل الشيطان حتى انتهوا في خاتمة مطافهم الى مارينريا وهي مرعش وكان سكانها نصارى وفي قلعتها حامية من قبل الحكومة انهزمت عند دخولهم من المدينة . ومضى حينئذ بودوين اخو غودفروا بكنية اولاندية وتكراد بكنية ايطالية لتجسس الطرق وتهزيم الاعداء عنها ولتايمين النصارى في كيليكيا والامتيار فانتشروا في هذه البلاد وملكوها واستسلم اهل ترسيس الى تكراد ثم استخوذ عابها بودوين فكان بينهما نزاع كاد يفضى الى القتال بينهما لولا ترفع تكراد وزاهته واستخوذ على اذنه فارس من بوركونية اسمه كوالف وتولى تكراد المصيصة وانتهى الى اسكندرونه وكان يطوف في هذه البلاد بثلاث مئة فارس فيفر كل عدو منها رهبة من جيوش الافرنج

وعاد بودوين الى المسكر العام في مرعش فونبه اخوه غودفروا على سوء معاملته تكراد وطعمه باخذه ترسيس وكان رجل ارمني اسمه بتكراس يلي مملكة صغيرة فثار به اهلها فخلعوه وانقلب عليه الدهر حتى التقي في السجن في قسطنطينية ثم فر منه وانضم الى الافرنج تحت امرة بودوين وكان يزين له الاستيلاء على ارمينية والجزيرة (ما بين الهرين) فاذعن بودوين لرايه لكن لم يشاء ان يصحبه من الافرنج

الانجوي من الف رجل ومائتا فارس فساو بهم في ارمينية فلم يلف معارضا وانقصل
 عنه بنكراس مستحوذا على بعض اماكن ولم يثبتا التاريخ ما آل اليه امره واما
 بودوين فاستولى على بعض المدن على عدوة القرات فذاع اسمه وعظمت سطوته
 ورهبته وكانت الرها الحقت بولاية ملك الروم كما رايت وكان عليها يومئذ امير
 رومي اسمه توادورس فيي الجزية. للسلطين السلجوقيين وقد اجتمع فيها كثيرون
 من النصارى فاجتمع راي الامير والشعب على ان يستدعوا بودوين ويملكوه فيهم
 وسار اليه اسقف المدينة واثنا عشر وجيها من الشعب وسالوه ان يسرع الي مدينتهم
 ويحكم عليهم فلبى دعوتهم ولما دنا من المدينة خرج الشعب كله لللتقاء حاملين اغصان
 الزيتون ومرتجين بالتسابيح وكان الامير شيخا لا ولد له فبنى بودوين وجعله وارثا له ثم
 اغتال الامير بعض الناقين عليه واستبد بودوين بالولاية على الرها ووسع تخوم
 ولايته بما ناله من ارث الامير فاخذ سمياط وغيرها من المدن ثم مات امراته
 فتزوج بنت اخي احد امراء ارمينية وسهلت له هذه الصلة بالنسب توسيع نطاق
 حكومته الى جبل طورس حتى دان له قسم كبير من الجزيرة وسكان عدوتي القرات
 واسس هناك للافرنج كنيته الرها سنة ١٠٩٨ واستمر يدبر شؤونها الى ان
 استدعي ليخلف اخاه غودفروا بعد وفاته في مملكة ارشليم كما سيجي وتخلي بودوين
 حينئذ عن كنيته الرها لبودوين كنت بوج احد انسابه. واما جيش الافرنج فسار
 من مرعش نحو قنسرين وكان في طليعة الجيش روبرتس كنت فلاندرا في الف رجل
 فاستحوذ على قنسرين بامداد النصارى سكانها فاسرع عسكر المسلمين الذي كان
 في انطاكية لانجاد المدينة ولما راي الافرنج تبواوها عدل عنها الى جسر الحديد
 الذي على العاصي ليصدوا الافرنج عن العبور الى انطاكية وكان في جانبي الجسر
 قلعتان مصفحتان بالحديد واجتمع هناك جيش كبير من المسلمين وكان روبرتس
 المذكور اول من اوقد نار الحرب بطلائع جيش الافرنج فرد عن الجسر خاسرا

نحو الف رجل ثم ادركه الجيش العام فشتوا جيش المسلمين وانهم من في القلعين
واستحوذ الافرنج على ضفتي العاصي وساروا نحو انطاكية (ملخص عن غوليمس
الصوري في تاريخ الحرب وغيره من المؤرخين المعاصرين كما روى اقوالهم
روهرنجر في كتاب ٦٦ من تاريخه)

﴿ عدد ٨١٤ ﴾

﴿ في حصار الافرنج انطاكية وقتلها ﴾

نلخص اولاً ما ذكره المؤرخون العرب في هذا الشأن نقلاً عن ابن الاثير
وابن خلدون وابي التداء وغيرهم قالوا لما انتهت جيوش الافرنج الى انطاكية
حاصروها تسعة اشهر وكان واليها يومئذ باغي سنان (وقد مر ذكره) من قبل
الملوك السلجوقيين فاحسن الدفاع عنها وظهر من شجاعته وجودة رايه وحزمه
واحياطه ما لم يشاهد من غيره واخرج رجال النصارى من المدينة بحجة احتفار
خندق ثم منعهم من العود اليها وابقى اطفالهم ونساءهم فيها وهلك اكثر الفرنج
من الجوع والبرد والوباء ولو بقوا على كثيرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد المسلمين
ولما طال متمم الافرنج على انطاكية راسلوا احد المستحفظين للابراج وبذلوا له
اموالاً واقطاعاً فدلهم على بعض الخارج ودخلوا منه ونفخوا البوق فخرج باغي
سنان هارباً حتى اذا كان على اربع فراسخ من المدينة راجع نفسه وندم فسقط
مغشياً عليه واراد اصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة وقد قارب الموت فتركوه
وساروا عنه واجتاز به رجل ارمني كان يقطع الحطب وهو باخر رمق فقتله ولخذ
راسه الى الافرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق باننا
لا نقصد الا البلاد التي كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرماً منهم وخديعة حتى
لا يساعدوا صاحب انطاكية وسنذكر تالهم على الافرنج بعد اخذهم انطاكية
وحصارهم لهم فيها نقلاً عن المؤرخين العرب ايضاً

واما ما ذكره المؤرخون الافرنج في حصار انطاكية وفتحها فلنخصه عن
المؤلفين المعاصرين لهذه الاحداث كرىموند دي اجيل او التريبين منهم كغويليمس
استقف صور وغيره قالوا ان هذا الحصار استمر ثمانية اشهر من اوائل تشرين الاول
سنة ١٠٩٧ الى اواخر حزيران سنة ١٠٩٨ وقلبت فيها عليهم الاحوال تارة تسيء
وتارة تحسن وكان المسلمون في داخل اسوار المدينة لا يسمع لهم جلبة ولا صياح
فتوهم الافرنج انهم مرتعدون فسلون فلم يخطوا كما كان ينبغي وانتشروا في ضواحي
المدينة وقراها لاهين بما لاقوا هناك من المؤن والثمار والجات والمياه والمواشي التي
لم يتمكن اهل المدينة من حرزها وفشا فيهم القنور والانكباب على المطارب والملاذ
وحمل ذلك اهل المدينة على الامل ونش فيهم الشجاعة والنخوة فخرجوا على
الافرنج فقتلوا واسروا كثيرين ممن كانوا مشتهين في البساتين او لاهين بما طاب
لهم فقدم الافرنج على سوء تصرفهم وغزموا على ان يأخذوا بشار من قتل من
اخوانهم ولكن لم تكن لهم الادوات اللازمة للحصار فطال مكثهم خارج المدينة
ونفذ اذخارهم وانت ايام الشتاء فتمزقت خيمهم وتعمر مسيرهم من قبل الاحوال
وضربت المجاعة اطناها فيهم فاجتمع رؤساؤهم وتشاؤروا وارسلوا نحواً من عشرين
الف رجل منهم بامرة امير تريدينو وكنت فلاندر الى الاعمال المجاورة لهم ليمتاروا
طعاماً فضى هولاء وانتصروا في مسيرهم على عدة شراذم اعترضت لهم وعادوا
موقرين ازودة ودفخائر كثيرة وفي مدة غيابهم خرج المسلمون على عساكر الافرنج
الخيمة حول مدينتهم فاكثروا من القتل والتكيل بهم وذكر ريموند دي اجيل
المؤرخ الذي كان في جملة الافرنج حينئذ انخذلهم وما قاسوه في ذلك اليوم وعزا
انكسارهم الى انتقام الله منهم لانامهم وقد ادركهم تعالى بنجاتهم من المجاعة بما وفق
غزاتهم الى جلبه من المون سداً لجوعهم الى وقت وقد فشت فيهم الامراض وتوافر
عدد الموتى حتى روى بعض الشهود العيانين ان الكهنة لم يكن لهم الوقت للصلوات

على الاموات وضقت سهول انطاكية عن المدافن وعاودتهم المجاعة حتى اكلوا
الجيف وماتت خيولهم لقلة العلف فكان لهم في بدء الحصار ستون الف فرس ولم
يبق منها الا القان وكثر الابق فيهم فقد حمل اليأس بعضهم على الفرار الى الرها
حيث ولي بودوين وبعضهم الى كيليكيا حيث تولى تنكراد وبعضهم انسل مستخفياً
الى بلاده وانحاز دوك زمندية نفسه الى اللاذقية ولم يعد الا بعد مناشدته مرات
وغادر تآيس قائد عسكر ملك الروم بجنده المعسكر بحجة ان يستجد ويمتار حتى
اضطر قادة الجيش ان يقضوا بالموت على من يفر وطقق اوير استقف بوي وغيره
من الاساقفة والكهنة يعظون في الجيش ويحضونهم على التوبة والتكفير عن اثمهم
ليراف الله بهم وفرضوا اضواماً وصلوات واقاموا محكمة تقضي على المجرمين وكان
بعض النصارى يتجسسون اخبار الافرنج ويكشفون للمسلمين احوالهم فشنى يومئذ
بعض هؤلاء عبرة لغيرهم

وكان غودفروا قد جرح والتام جرحه وخرج بين الجنود فانش فيهم الامل
وارسل اخوه بودوين كت الرها وبعض امراء ارمينية ملاً وذخائر لجيش الافرنج
واتهم المون من قبرس وساقس ورووس فكان لهم كفافهم وقت الامراض فيهم
فعاودتهم الشجاعة والنخوة وقدم اليهم حينئذ وفد من قبل خليفة مضر العلوي
فاستقبلوهم بالاجلال فقالوا ان مولانا يرغب في التقرب الى الافرنج على ما بين
الفرقيين من اختلاف الدين وانه مستعد ان يدخل بجنده الى فلسطين وسورية ليخرج
منها اعداءهم الذين كانوا على ممر الايام اعداء الداء لذرية اهل علي وانه يعلم ان جل
ما يقصدونه انما هو اورشليم فهو يعد بانه يجدد كنائس النصارى فيها ويذب عن
دينهم ويفتح ابواب المدينة اكل من رغب في الحج اليها بحيث ان يدخلوا اعزلاً
لا سلاح معهم وان لا يقيموا فيها اكثر من شهر فان قبلوا هذا الشرط كان الخليفة
مناصراً ومنجداً لهم وان ابوا مولاته قامت على قدم وساق شعوب مصر والحبشة

وجمع سكان اسيا وافريقيا من بوغاز جبل طارق الى بغداد لماواة الافرنج وكتبهم
فساء كلامهم رؤساء جيش الافرنج وقام احدهم وقال للوفد المصري قولوا لمولايكم
ان ديننا بعثنا على استنقاذ الارض التي ولد فيها رب هذا الدين ولا نحتاج في ما
عزمتا عليه الى نجدة من دول الارض ولا نسي ما اجراه المصريون من وقت
قريب على حجاج المغرب ولا ييجي من ذكرنا ما انزله الحاكم بامر الله على النصارى
ودكه كنائسهم ولا سيما كنيسة التبر المقدس فتحن لا تقصد زيارة اورشليم بل
اقسنا على ان نملكها ونستحوذ على كل ما هنالك فقولوا لمن ارسلكم ان يختار
السلم او الحرب قولوا له ان الافرنج النجيين حول انطاكية لا يروعهم شعب مصر
ولا سكان الحبشة ولا اهل بغداد وعند انصراف الوفد المصري صحبه مفوضون
من قبل الافرنج الى مصر كيلا يجاهروا خليفة مصر بالدوان

وقد حشد في هذه الاثناء امير حلب وامير دمشق وغيرهم من الامراء
عشرين الف فارس ليدوا انطاكية ودنوا منها فخرج من معسكر الافرنج نجبة من
جنودهم فقاتلوا اوليك الامراء وهزموهم وقتلوا منهم القبي رجل والف حصان
وقد ذكر المؤرخون المسلمون هذه الواقعة بعد اخذ الافرنج انطاكية كما سيجي وقد
قدم حينئذ اسطول من جنوا ودخل المرفا المعروف بمرقا القديس سمعان على
مقربة من انطاكية فسر الافرنج خبر قدوهم ومضى من معسكرهم كثيرون الى
ذلك المرفا ليرحبوا بهم ويستطلعوهم اخبار اوربا ويمتاروا لهم اقواتا وبتاهم
واجبون واكثرهم اعزال لاسلاح معهم فاجأهم اربعة الاف رجل من المسلمين
وقتلوا كثيرين منهم وشتتوا الباقين وبلغ الخبر الى الجيش فاسرع غودفروا بغيره
من الروساء والجند لانتقاذ اخوانهم فهزموا المسلمين فارسل باغي سنان والي المدينة
نجبة من رجاله لامدادهم مهددا اياهم بانه لا يفتح لهم ابواب المدينة الا ان
ينتصروا فاتصر الافرنج على القرينين معاً وابدى غودفروا وروبرتس دوكرمندية

ايات البسالة ودام القتال النهار كله وانهمز المسلمون وغرق منهم نحو الفين في العاصي
 ولم تكن خسائر الافرنج قليلة وطلق باغي سنان يضطهد النصارى الذين لبثوا في
 المدينة وحبس البطريرك يوحنا واذاقه مر العذاب وضربت المجاعة اطنابها في
 انطاكية فسال باغي سنان الافرنج ان يعقد هدنة معهم فاجابوه اليها ولو لم تكن لهم
 مصالحة فيها وكان بعض الافرنج في مدة الهدنة يدخلون المدينة وبعض اهلها يخرجون
 اليهم فسنتحت الفرصة ليومند ان يصادق اميراً اسمه فيروز كان رئيس الحرس في
 ثلاثة ابراج وكان مسيحياً ارمينياً فاسلم وكشف ذات يوم ليومند تونيب ضميره له
 وانه يريد ان يصلح النصارى وان يوديهم خدمة ما فحضره يومند على اتمام ذلك
 فوعده فيروز ان يسلم اليه الثلاثة الابراج التي في حراسته وولح يومند الى انه
 اهتدى الى وسيلة تضمن فتح المدينة وطلب ان يكون الوالي عليها فخاطمه بعضهم
 واذا بخبر يقول ان كربوغا (وسماه بعضهم كربوقا) امير الموصل قادم بميتي الف
 مقاتل لنجدة انطاكية فوعده اكثر رؤساء الجيش يومند ان يكون اميراً على
 انطاكية وسالوه ان يسرع ما امكن باتخاذ الوسيلة التي اشار اليها لفتحها قبل وصول
 كربوغا فارسل يومند للحال الى فيروز يطالبه بانجاز ما وعد فارسل فيروز ابنه
 الى يومند ليكون رهينة عنده معيناً الغد ميقاتاً لتسليم الابراج فاذاغ الافرنج ان
 جيشهم سائر لقتال كربوغا وقبل المغيب اصطفت صفوفهم وسارت في الطريق ولما
 سدل ستار الظلام رجعوا نحو اسوار المدينة فدرى اخو فيروز بخيانة اخيه واراد
 كشف سره فطعنه فيروز بمديّة نذت الى قلبه وكان الظلام حالكاً والريح شديدة
 والحراس نيماً آمنين فبدى فيروز سلماً على الاسوار فاصعد يومند على السلم
 ضابطاً اسمه بيان فقتل له فيروز كل شيء معد فعمالوا واراها جثة اخيه للتوثق بقوله
 ومع ذلك اعترى الجنود الهلع فترددوا عن التسلق فاسلق يومند آملاً ان يتبع غيره
 اثاره فلم يقتفوه ولا مه فيروز على ابطائهم فاسرع نازلاً محققاً لاصحابه ان لاخوف

فاخذوا يصعدون على السلام فلم فيروز اليهم الابراج الثلاثة التي كانت بحراسته ثم استولوا على سبعة ابراج اخرى ودلهم فيروز على مدخل المدينة فدخلوا وانتشرت صفوفهم في شوارعها تصيح **Dieu le veut** (هكذا اراد الله) ولما طلع الصباح ابصروا علم بيومند يمتدح على اعلى ابراج المدينة وانسل بانغي سنان مستخفياً ولما ان يصحبه بعض خدمه الى خارج المدينة حيث غشي عليه ولم يعد يستطيع ان يستمسك على جواده وخاف خدامه فتركوه وفيه رمق فر به رجل ارمني احتز راسه واتي به الى الافرنج في المدينة كما روى المؤرخون العرب وكان فتح انطاكية في غرة حزيران سنة ١٠٩٨ انتهى ماخصاً عن ريموند دي اجيل الذي كان في هذه الحرب وعن غوليلمس الصوري وغيرهما ممن كتبوا تاريخ هذه الحرب

﴿ عدد ٨١٥ ﴾

﴿ حصار المسلمين للافرنج في انطاكية ﴾

نذكر اولاً ما دونه المؤرخون المسلمون ثم نردفه بما قاله المؤرخون النصارى في هذه الحرب ولا يخفى ما في هذه الطريقة من تحقيق الاخبار فلا يبقى سبيل الى الريب في ما اتفق عليه فريقان مختلفان غرضاً وزعة وموطناً وتيسير ترجيح الصحيح على الفاسد في ما اختلفا فيه وناهيك من تفصيل الاخبار ماخوذة عن عدة من الرواة

فتلخص حصار المسلمين للافرنج في انطاكية بعد فتحها عن ابن الاثير وابن خلدون وابي القداء قالوا لما بلغ كربوغا صاحب الموصل ما فعله الافرنج بانطاكية جمع عسكره وسار الى الشام واقام بمرج دابق واجتمع اليه دقاق بن تش (وسماه بعضهم تش بالنون وبعضهم تش بالتاء ونظن هذه الرواية اصح) صاحب دمشق وطنتكين اتابك (هذه الكلمة بمعنى ابي الامراء وكان الملوك السلجوقيون يلقبون بها بعض عمالهم وختع بعض هؤلاء العمال الطاعة لمواليهم واستقلوا في اعمالهم ومنهم

الأتاك الذين أنشأوا دولة في سورية وسيجي ذكرهم) وجناح الدولة صاحب
حمص وهو زوج ام الملك رضوان (وقد مر بنا ذكرهم) وغيرهم من الاصراء
والقواد وساروا حتى نازلوا انطاكية وانحصر الفرنج بها بعد ان كانوا ملكوها اثني
عشر يوماً وعظم خوفهم ولم يكن لهم ما يأكلونه وتقوت الاقوياء منهم بدوابهم
والضعفاء بالية وورق الشجر فارسلوا الى كربوغا يطلبون منه الامان ليخرجوا من
البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف واساء كربوغا السيرة في من
معه من المسلمين واغضب الاصراء وتكبر عليهم فخبثت نياتهم عليه واضروا له في
نفوسهم القدر ولما ضاق على الافرنج الامر وقتل الاقوات خرجوا من انطاكية
واقستلوا مع المسلمين فولى المسلمون هاربين وكثر القتل فيهم ونهب الافرنج خيامهم
وتقووا بالاقوات والسلاح وعن ابن الاثير خاصة انهم خرجوا من الباب متفرقين
من خمسة او ستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوغا ينبغي ان تقف على الساب
فتقتل كل من يخرج فقال لا تفعلوا اميلوهم حتى يتكامل خروجهم فقتلهم جميعاً
ولما تكامل خروج الافرنج ضربوا مصافاً عظيماً فولى المسلمون منهزمين لما علمهم
به كربوغا اولاً من الاستهانة والاعراض عنهم وثانياً من منعهم عن قتل الافرنج
وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم
وانهزم كربوغا معهم وظن الافرنج ذلك مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله
وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلباً للشهادة فقتل
الافرنج منهم الوفاً وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب
والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

وانبأنا ابن الاثير ايضاً بما ذكره كثيرون من مؤرخي النصارى كما سيأتي وهو
وجدان الافرنج حينئذ الجربة التي طعن بها جنب المسيح فقال وكان مع الافرنج
راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كانت

له حربة مدفونة بالقيسان الذين بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتها ظفرتهم وان لم تجدها فالملك محقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فيه وغضا اثرها وامرهم بالصوم والتوبة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع حنروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال ابشروا بانظروا فخرجوا في اليوم الخامس الح

واما ما رواه المؤرخون النصارى فهو ان الافرنج بعد ان دخلوا انطاكية عكفوا على الطرب والقصف واقام الكبراء صراخا ونسوا الله الذي اسبغ عليهم احسانه ولكن ما لبث الطرب ان تولاه الكرب فانهم منذ اليوم الثالث بعد دخولهم المدينة شاهدوا من اعلى الاسوار قرسانا ترمح نحو المدينة ومن ورائهم حشد غطت خيامه شواطئ الماصي وكانت القلعة النعمة ما برحت بيد المسلمين فخم هذا الجيش حول انطاكية وقائدهم كريوغا امير الموصل ولم يكن للافرنج وقت لاعداد الاقوات فكانت فيهم مجاعة اكلوا بها الحنير والحيل والبقال والجمال بل الجلود العتيقة ايضا وكان عند الدوك غودفروا قليل من المون وزعه على الاخرين ولما نفذ لم يبق له الا ان يعزيمهم ويشجعهم بكلامه وفر بعضهم واسلم بعضهم طلبا للقوت ومات بعضهم جوعا وقتل المسلمون بعضهم وفر اسطمانس كونت بلوا (بفرنسة) وسار بطريق اوربا فالتقى بالكسيس ملك الروم قادم لتجدة الافرنج بمئة الف جندي يصحبه عشرة الاف لاتيني باصرة كوى اخو بيومند فاخبره بمحاصر كريوغا انطاكية وبكثرة جيشه وقال ليبرىء ساحتها من عار الهزيمة انه لو دفع جيش الملك قوتاً لجيش كريوغا لما ناب كل جندي منه فلذة صغيرة فاراع الكسيس او تظاهر بالارتباع فمدل عن مسيره وعاد الى قسطنطينية ولم يوقفه عن العود تضرعات اخي بيومند اليه واستحوذ الياس والقنوط على الافرنج بانطاكية حتى اضطر بيومند ان يحرق بمض البيوت ليخرج الرجال منها وقال غوليمس الصوري ان كثيرين منهم اوشكوا ان يكفروا به تعالى ويتدمروا من انه كافا تحملهم المشاق حبا به باهماله

لهم في هذه الشدائد المبرحة وظهر بينهم من يدعي انه كانت لهم مناظر سموية راوا
 فيها يسوع المسيح ووالده والقديس امبروسوس وثوس من قتلوا في الحرب
 يحققون لهم النصر والظفر قريباً واستنطقهم اويمر سفير البابا بالايمان عن صحة ما
 يزعمون خلفوا وعزا بعض الوثائق الحديثة النصارى هذه المناظر الى مخيلتهم التي قام
 فيها ان الله لا يترك من تجندوا جأ به وقاسوا هذه المشاق والمخاطر دون آية سموية
 تفرج ضيقهم وتزيل بوسهم وحقق اخرون ان ما هذه المناظر الا رؤي سموية
 لا تستغرب على قدرة من هو على كل شيء تقدير او على راقته بعباده في هذه
 الضيقة القصوى وزى حالهم تغيرت بعد هذه المناظر واقسم روساوهم الا
 ينفكوا عن القتال والجهاد الى ان ينفذوا اورشليم

واقي كاهن من ابرشية مرسيليا اسمه بطرس برتامي الى مجلس رؤساء الجيش
 فقرر ان القديس اندراوس الرسول ظهر له ثلاث مرات وامره قائلاً اذهب الى
 كنيسة اخي بطرس في انطاكية واخفر في جانب المذبح الكبير فتجد الحربة التي
 طعن بها جنب المخلص وهي تنجي هذا الجيش وتنصره كما جعلوها علماً في مقدمة
 رجالهم واستحلف سفير البابا هذا الكاهن خلف على صحة قوله وفرض الصوم
 والصلوة ثلثة ايام ثم عينوا اثني عشر رجلاً من الكهنة والفرسان الثقات وفي جملتهم
 ريموند دي اجيل المورخ الذي كتب هذا الخبر مفصلاً للعناية بهذا الكشف فاشغلوا
 عدة من القلعة في الحفر في المكان المين حفروا اكثر من اثني عشر قدماً وعند
 المساء ظهرت تلك الحربة قال ريموند المذكور لما ظهرت هذه الحربة بادرت انا
 كاتب هذه الخبر الى تقيلها بكل عبادة وورع وانتشرت البشري في الجيش فانستهم
 الجوع وازالت الخوف من قلوبهم واصبح الضعيف منهم بطلاً والوغد كماً وارسلوا
 بطرس السائح الى كربوغا يقول له انصرف عن المدينة ولك ثلثة ايام تستعد فيها
 للرحيل وان ابيت واصررت على الحصار فجنود النصارى لا يباغتون عدوهم ولا

يسترقون النصر بالخديفة فييحونك اختيار الحرب ان شئت وان احيت حجب
 اراقة الدم الكثير فاختر عدداً من شجعان جيشك وهم يختارون عدداً يوازيه من
 جيشهم وقاتل انت ان شئت احد امراء النصارى والله يولي النصر من شاء وان
 شئت الحرب عامة فبه الى ذلك باشارة فلما سمع كربوغا هذا الكلام لبث مدة
 صامتاً مدهوشاً محتدماً من هذه الجمارة ثم قال قل لمن ارسلك ان على المغلوب
 ان يقبل الشروط التي توضع عليه لا ان يفترض شروطاً فتلهم من الصعاليك الاوغاد
 يروعون النساء بنزع عيالاتهم واما رجال الحرب في اسيا فلا يهولهم سقط الكلام
 وسيعلم النصارى ان هذه الارض ارضنا ومع ذلك ساراف بهم ان اسلموا واتناسى
 ان هذه المدينة جعلتها المجاعة في حوزتنا فقل لاصحابك ان يسرعوا باغتنام عفوي والا
 اخرجتكم بالسيف من انطاكية واراد بطرس السائح ان يجاوب فد كر بوغا يده الى
 سينته وامر ان اطردوا هؤلاء الاوغاد فعاد بطرس يخبر قومه بما كان في وفادته
 واستعدوا للقتال

وصرف الجيش ليلته بالصلوة وتقدم منهم في الصباح مائة الف الى مائة
 الخالص وخرجوا منتسمين الى اثني عشر صفاً وفي مقدمتهم ريموند المؤرخ حاملاً
 الحربة التي وجدوها وساروا المويبا ولما رآهم كربوغا ظن انهم خرجوا طالين
 عنوه لكنهم راوا علماً اسود على قلعة انطاكية وكان علامة لما يعتمد عليه الافرنج
 فلم انهم خرجوا محارين وكان من جيشه الف رجل يجرسون صعب العاصي فهزمهم
 الافرنج عند ذنوبهم من المعبر فوقعوا الرعب في قلوب سائر الجيش فاخذوا بالفرار
 فقطع كربوغا راس احد الفارين عله يوقتهم وارسل يقول لامراء الافرنج ان
 يجيبوا الدماء ويختاروا عدداً منهم وهو يختار عدداً موازياً فيقتل الفريقان وكان
 ابي هذه الطريقة في الامس فانكرها عليه الافرنج اليوم واستعرت نار الحرب ولم
 تكن ساعة الا وانهم جيش كربوغا وسابقتهم هو الى الفرار واستمر ولهان الى ان

عبر القرات وكان في معسكره كثير من المون والاسلحة والملابس فظلموا اياماً
 ينتقلونها الى انطاكية وقتل من الافرنج في هذه الوقعة اربعة الاف رجل . ولما
 راي من كان في القلعة من رجال المسلمين ما كان في جيش كربوغا استسلموا الى
 رؤساء الجيش وتنصر بعضهم وذهب بعضهم يروون ما راوا من سطوة الافرنج
 وكثرة عديدهم في انحاء سورية حتى تملك العرب قلوب السوريين وقال ريموند
 دي اجيل لو مشى الصليبيون نحو اورشليم على اثر انتصارهم لما وجدوا من يعترضهم
 او يناوئهم لكنهم صرفوا اهتمامهم الى اعادة البطريك يوحنا الى كرسيه وكرامته
 وفتحوا الكنائس واقاموا الكهنة فيها وخصوا نصيباً من غنائمهم من معسكر كربوغا
 بشراء آنية للكنائس وتجهيزها وانفذوا رسائل الى اصحابهم في المغرب يشرفونهم
 بما كان لهم من توفيق الله ومحضونهم على اللحاق بهم لمشاطرتهم الفخر والاجر
 وكان الكثيرون منهم يرون ان يسيروا للحال الى اورشليم ومن هؤلاء الدوك
 غودفروا على ان الكثيرين من رؤساء الجيش ارتأوا ان ينتظروا مرور ايام الحراد
 كانت الوقعة المذكورة في حزيران ويرجئوا سفرهم الى ايام الحريف فاصابهم وباء مات
 به في شهر واحد خمسون الف نفس واعظم من اسفوا عليه حينئذ اوبير اسقف بوي
 سفير البابا ودفنوه في كنيسة القديس بطرس بانطاكية في المحل الذي وجدوا فيه
 الحربة المذكورة . انتهى ملخصاً عن كتب تاريخ هذه الحروب من المؤلفين
 المعاصرين لها او شهدوها كريموند دي اجيل وغوليلمس الصوري

﴿ عد ٨١٦ ﴾

٥ ذيل في اقوال العلماء في الحربة التي وجدت حينئذ في انطاكية ٥
 ان كثيرين من المؤلفين الذين كانوا في جملة الافرنج الصليبيين او المعاصرين
 لهم وغيرهم ائتمروا ان هذه الحربة هي الحربة نفسها التي طعن بها الجند جنب المخلص
 وهو على الصليب متمدين على ان الكشف عنها كان بوحي ومویدين راوهم بالايات

التي اجراها الله بواسطة هذه الحربة على ان بعض اهل النجد منهم بايل وجول
سيون ونيار وغيرهم ممن هم على شاكلتهم من علماء هذا العصر قد انكروا انها
الحربة نفسها التي طعن بها جنب المخلص فلم ير ان تنضي عن هذا البحث صامتين
بل ان نورد في هذا الذيل اقوال المؤرخين والعلماء في هذا الصدد
ان اندراوس استقف كريت الذي كان في القرن السابع انبانا (في مقاله في
ارتفاع الصليب فصل ٥) ان الحربة التي طعن بها جنب المخلص دفنها اليهود مع
الخشب التي صلب عليها وغيرها من ادوات الصلب وقد حقق كثيرون ان القديسة
هيلانة والدة الملك قسطنطين الكبير وجدت عند تقيها عن خشبة الصليب ثلاثة
صابان والحربة والمسامير ولم نعد نعلم ما كان من امر هذه الحربة الى ان تكلم فيها
القديس غريغوريوس استقف طور (بافرنسة) في القرن السادس وعدها (في كتابه
في مجد الشهادة فصل ١٧) من جملة الذخائر الموجودة في ايامه وانبانا بيده المكرم
في القرن التاسع (في كتابه في الاماكن القدسة) انها كانت محفوظة في اورشليم
في صليب من خشب بكيسة التبر المقدس ثم وجدت هذه الحربة في كنيسة
القديس بطرس بانطاكية كما رايت وحقق وجدانها واثبت انها الحربة نفسها التي طعن
بها جنب المخلص ريموند دي اجيل الذي كان في جملة الموكول اليهم الكشف عنها
والذي كان يحملها عند حملهم على جيش كربوغا وقد اكد ذلك روبرتس كنت
فلاندرا في رسالة الى امراته موصيا اياها ان تبني ديراً اكراماً للقديس اندراوس
لانه هداه الى المحل الذي كانت فيه الحربة التي طعن بها المخلص وهذه الرسالة
مثبتة في تواريخ فلاندرا وحقق ذلك كاهن اسمه تودابودس **tudebudus**
كان شاهداً عياناً لوجدان هذه الحربة ولحملها كالم في القتال وانتصارهم وادع
ذلك كتابه الموسوم بتاريخ السفر الى اورشليم وقد اثبت تاريخه هذا دوشان في
المجلد الرابع من مؤلفي تاريخ افرنسة وقد ذكر وجدان هذه الحربة اسلموس دي

ريبامون **ribemont** الذي توفي في حصار عرقا فانه كتب رسالة الى
 مناسا رئيس اساقفة رنس (بفرنسة) قال فيها ما ترجمته هينا كنا في حالة تعية
 جدا مد الله يد عون له عيده وهداهم بخوه الى الحربه التي طعن بها جنب الخاض
 وكانت مخبوة تحت بلاط كنيسة القديس بطرس وطولها يوازي طول رجلين ولما
 سعدنا بوجودان هذه الدرّة الثمينة احبي الرجاء قلوبنا ، وقد كتب رؤساء الجيش
 رسالة الى البابا اوربانس الثاني ومما قالوه فيها ه قد ضايقنا الجوع وغيره من المحن
 الكثيرة حتى نحر كثيرون منا خيلهم وحميرهم التي كانت معهم واقتاتوا بها على ان
 رحمة الله لطفت بنا ونجدتنا فان القديس اندراوس اوحى الى احد عباد الله وهداه
 الى المحل الذي كانت الحربه التي طعن بها لونيخس جنب الخاض مخبوة فيه فوجدنا
 هذه الحربه المقدسة في كنيسة القديس بطرس بانطاكية فهذا الاكتشاف وارحية
 اخرى كثيرة اعادت الينا قوتنا وشجاعتنا حتى ان من كان اليأس والرب قد
 استحوذا عليهم عادوا موعين نخوة وجسارة واخذ يحرض بعضهم بعضاً على القتال
 وبعد ان بقينا محصورين ثلثة اسابيع واربعة ايام اعترفنا بخطايانا يوم عيد القديسين
 بطرس وبولس وخرجنا من المدينة مصطفين للقتال وكنا اقل عدداً من جيش
 اعدائنا العرصرم حتى ظنونا نحاول الهرب لا اننا نستزلمهم للقتال ،

وقد انبأنا ريموندي اجيل المذكور والبر المورخ من اكس وغونيلمس اسقف
 صور انه وقع في جيش الصليبيين عند حصار عرقا خلاف في ما اذا كانت هذه
 الحربه هي الحربه التي طعن بها جنب الخاض فان ارنول خودي دوك ترمندي
 اخذ يذيع بينهم ان هذه الحربه ليست الحربه نفسها التي طعن بها جنب الخاض
 واستمال بعضهم الى رايه ولما سمع ذلك بطرس برتلمي الذي كان الوحي اليه بوجودها
 احتدم واخذ يقسم على صحة ما كان من الوحي فانقسم الشعب فمرض عليهم بطرس
 المذكور ان يضر موا ناراً فيدخل هو فيها حاملاً الحربه فان نجا من النار ولم يمسه ضر

تحم عليهم ان يصدقوا ان هذه الحرب هي هي الحرب التي طعن بها المخلص وان
اهلكه النار فيريد ان يموت ضحية لكذبه فاضرموا ناراً عظيمة واجتمع العسكر
والشعب واخذ هذا الكاهن الحربه وجثا فصرى ثم دخل النار المتأججة حافياً
حاملاً الحربه ولبث مدة ثم خرج سالماً ولم يمسه ضر ولا حرق بجسمه او توبه
فهبأت الشعب عليه بعضهم للتبرك به وبعضهم ليمتنحوا حقيقة حاله فأذوه
اكثر من اذية النار له وقد ذكر بعضهم شهادات الكثيرين ممن شهدوا هذه الآيه
بانفسهم وقد اخذ الصليبيون هذه الحربه معهم من انطاكية الى اورشليم ثم نقلت
هذه الذخيرة الثمينة من اورشليم الى قسطنطينية ثم باع بودوين الثاني فلذة منها الى
البنادقة بمبلغ عظيم من المال كان في اقصى الحاجة اليه ثم شري منهم القديس لويس
ملك افرنسة هذه الذخيرة ووضعها في المعبد المعروف بالمعبد المقدس بباريس
La sainte chaqelle واما ما بقي من هذه الحربه فاستمر
محفوظاً في قسطنطينية في كنيسة القديس يوحنا الى ان فتح هذه العاصمة السلطان
محمد الثاني التامح سنة ١٤٥٣ فامر ان تحفظ خزينة الملك وزينة الكنائس والذخائر
وبعد وفاة السلطان محمد الثاني اختصم ابناه بايزيد ويزيم وتغلب بايزيد على اخيه
فتحى اخوه في رودس عند رئيس القربان المسمى بطرس ابوسون فرغب بايزيد في ان
يصادق الرئيس المذكور ليمنع اخاه من العود الى منازعته الملك وروى بوسوس في
تاريخ قربان القديس يوحنا في اورشليم (ك ٧ فصل ٨) ان الرئيس المذكور حث
السلطان بايزيد ان يهدي الى البابا انوشنسيوس الثامن الحربه المقدسة فارسلها اليه
بايزيد مع سفير ورافق هذا السفير كويدو بلانكفور ابن اخي بطرس الرئيس المذكور
فلما الى رومية سنة ١٤٩٢ فارسل البابا كرينالاً للملاقاة هذا السفير ولما انتهوا الى
رومة لاقى البابا هذه الذخيرة مصحوباً بالكرادلة وحشد من الكهنة والشعب الى
الباب المعروف باب الشعب واخذ الذخيرة بيده ووضعها في كنيسة القديس بطرس

وهذه الاخبار مأخوذة عن مذكرة كتبها ثلاثة علماء من الرومانيين دونوا فيها كل ما كان هناك في ايامهم وقد روى ذلك ايضاً الكردينال مرقس فيكوروس الذي كان بانكونا (بايطاليا) عند ما صر سنير بايزيد حاملاً هذه الهدية النفيسة الى الخبر الروماني وقد فد الاب اونورا الكرمليني كل ما ورد على هذه الذخيرة من الاعتراضات في مولفه في قواعد الانتقاد في المجلد الثالث منه انتهى ملخصاً عن معجم التاريخ لكوردان وعن معجم الصليبيين لاولت دومينيل من طبعة الاب مين

﴿ عد ٨١٧ ﴾

— في سير الافرنج من انطاكية الى اورشليم —

لم يذكر المؤرخون الافرنج قبح المعرة وحصص وشيزر بعد انتصارهم بانطاكية ولكن ذكره ابن الاثير وابن خلدون وابو القدا فقالوا ما ملخصه لما انهزم المسلمون امام الافرنج عند انطاكية سار الافرنج الى معرة النعمان فانزلوها وحصروها وقتلهم اهلها قتلاً شديداً فعمل الافرنج برجاً من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر ذلك المسلمين ولكن تداخل بعضهم الفشل والهلع وظنوا انهم اذا تحصنوا ببعض الدور امتنعوا فيها انزلوا من السور واخلوا الموضع الذي كانوا يخطونه ورأهم غيرهم قتلوا كقتلهم فخلا مكانهم ايضاً من السور وتبعهم غيرهم حتى خلا السور فصعد الافرنج اليه على السلم ودخلوا المدينة واعملوا سيوفهم في اهلها ثلاثة ايام فقتلوا ما يزيد على مائة الف وسبوا السبي الكثير وملكوه واقاموا اربعين يوماً وساروا الى عرقا فحصرها اربعة اشهر وبقوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حصص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق التواقير الى عكا فلم يقدروا عليها هذا ما ذكره المؤرخون العرب المذكورون

واما ما وايانه في كتب المؤرخين الافرنج التي لدينا فيهم استمروا متربصين في

انطاكية ينتظرون حلول اجل سفرهم الى اورشليم في الربيع سنة ١٠٩٩ وكان بعض رؤساء الجيش يحملون حملات خصوصية على بعض المدن فرما كان من ذلك فتحهم المعرة ومصالحه والي شيزر وحصص لهم على هاتين المدينتين كما روى المؤرخون العرب ولما حل اوقات ايضا الميقات المضروب للسفر الى اورشليم كثر التذمر في الجيش الافرنجي من هذا الابطاء ولا سيما اذ بلغهم ان خليفة مصر الفاطمي سير جيشاً فامتدحوا على اورشليم قبل ان يسبقهم الافرنج اليها فعملوا على السير ومشى في مقدمة الجيش كنت تولوز ويصعبه من الرؤساء تنكراد وروبرتس كنت زمندية وكان العرب من سطوتهم وانتصاراتهم قد تولى قلوب سكان البلاد فبادروا الى ملاقاتهم النصراني ليستمدوا عونهم والمسلمون ليسألوهم العفو والرضى عنهم وكان الفريقان يقدمان للجيش ما يحتاجون اليه من المون والماوى وغيرها وزادهم سروراً ان كثيرين من اخوانهم الذين كانوا يظنونهم قتلوا قد عادوا اليهم اذ كان المسلمون قد اسروهم فخلوا حينئذ سيلهم وسافر غودفروا من انطاكية في اوائل اذار سنة ١٠٩٩ بما بقي من الجيش ورافقه اخوه بيومند الى اللاذقية وودعه وعاد الى امارته في الرها خائفاً ان يسطو عليها احد ولحتمهم في اللاذقية من كانوا قد اعتزلوا في الرها وكيليكية واتصل بهم هناك كثير من فرسان الانكليز وهم من الاشراف واجتازوا من اللاذقية بجبله وطرطوس فدانتا لهم وخيموا حول عرقا جميعاً وهناك كان بينهم الخلاف الذي مر ذكره على الحربة التي وجدوها في انطاكية ولما فصل هذا الخلاف يالاية التي ذكرناها في العدد السابق وعادوا الى الوفاق اقبل عليهما وفدان احدهما بعد الاخر الاول من قبل الكسيس ملك الروم يجدد مواعيد الملك بانجاده لهم ويعتبرهم لاهمهم ما وعدوه به فازدروا رسله وابلغوههم عدم ثقتهم بكلام مولاهم وانه نقض وعوده السابقة بتقاعده عن امدادهم في انطاكية وكانوا قد كتبوا اليه انهم لا يرون انفسهم ملتزمين بحفظ وعودهم له لا خلاله بوعوده والوفد الثاني كان

من قبل خليفة مصر الفاطمي يبنهم ان هذا الخليفة استحوذ على اورشليم وفلسطين
ويحقق لهم انه لا ينوي بهم الا خيراً لكنه لا يستطيع ان يفتح مذ الان فصاعداً ابواب
اورشليم الا لحجاج اعزال لا سلاح معهم فلم يجاب روساء الجيش وقد الخليفة
المصري الا برفهم الحصار عن عرقا و حرق معسكرهم واسراعهم بالسير الى اورشليم
فروا بجانب اطرالس وقد اراد واليها ان يعترض لمسيرهم فمزموه واصحابه واضطر
ان يدفع اليهم غرامة وكثيراً من المون وان يخلي سبيل السجني النصرى الذين كانوا
في محبسه وقد راقهم ما شاهدوه لاول مرة من قصب السكر ورطب النخل
والليمون وغيرها من الثمار والاشجار التي لا توجد في اوربا واقل اليهم جمع من
النصارى سكان لبنان وهدوهم الى ثلث طرق يسرون بها الى اورشليم طريق على ساحل
البحر وطريق في وسط البلاد وطريق في سورية المجوفة فاثروا طريق الساحل
لقربها كل وقت من اسطول بيزا وجنوا الذي كان يمدهم في طريقهم فمروا بالبترون
وجيل وكان نصارى لبنان يلتقونهم مقدمين لهم الازودة وكل ما يحتاجون اليه
من المون لجامعة الدين بين الفريقين حتى كان الحبسى يخرجون من محابسهم في الجبل
وياون اليهم داعين لله ان يتيح التوفيق لهم وعند اجتيازهم بيروت وصيدا وصور
قدم لهم المسلمون ما يحتاجون اليه كيلا يسطوا على بسائنيهم وجناتهم ولما انتهوا الى
عكا خرج اليهم واليها واعداً ومقسماً على انه يسلم لهم المدينة متى استحوذوا على
اورشليم فجاوزوها الى قيصرية المعروفة بقيصرية فلسطين ووقفت في معسكرهم
حمامة واخذوها فوجدوا تحت جناحها رسالة من والي عكا يخبر بها ولاية المدن
المجاورة له بسير الافرنج ويحضرهم ان يجمعوا من استطاعوا من الرجال لمناواتهم
فقرئت هذه الرسالة في مجتمع الروساء فشكروا الله واستبشروا بان الله معتن بهم
اذ سخر طير السماء لتأييمهم بالكشف عما تكنه سرائر اعدائهم

واقاموا بهذه المدينة اربعة ايام احتفلوا بها بعيد العنصرة ثم ساروا فاستحوذوا

على اللد المسماة قديماً ديوسبولي والمشهورة باستشهاد القديس جيورجوس شفيعهم فيها واقاموا اسقفاً في هذه المدينة ونصبوا له عدة كهنة وانفقوا ان يخلصوا كنيسة هذه المدينة بعشر ما ينمونه في حماهم هذه ثم ساروا الى الرملة فانهم سكانها خوفاً منهم الى الجبل فتولوها ووجدوا فيها ما سد حاجتهم من مون وغيرها واقاموا فيها اسقفاً افرنسياً مولداً اسمه روبرتس مشهوداً له بعلمه وفضيلته.

ولما عرف المسلمون بدنوهم من اورشليم هاج من كان ساكناً منهم على عدوقى الاردن وتقوم بلاد العرب ونابلس وتالبوا وساروا نحو اورشليم فلكوا بالنصارى في طريقهم وغلوا بعضهم بالقيود واتهبوا الكنائس والمعابد واحرقوها وسار جيش الافرنج من الرملة في وادي بين جيلين صعب المسلك مستوعر ولكن لم يعترضهم احد في طريقهم فاستبشروا بان الله معتن بهم وبلغوا عند المساء الى قرية تسمى عناتوت وسماها غوليلمس الصودي عمواص وهي المعروفة الان بعيناتا (طالع عد ٢٧٦ في المجلد الثاني من هذا التاريخ) فباتوا تلك الليلة هناك فاقبل عليهم بعض النصارى المهزمين يخبرونهم بان المسلمين تالبوا ووثبوا على قرى الجليل ونابلس وما جاور الاردن فهبوا واحرقوا وقتلوا كثيرين من النصارى واوفد اهل بيت لحم الى الافرنج رسلاً يستغيثون بهم ويستمدونهم فسير غودفروا تنكراد بمائة فارس مدرع فاستقبلهم الاهلون بالاختفاء والتكريم وذهبوا توةً لزيارة المذود الذي ولد به المخلص ونشر تنكراد علمه على كنيسة المذود في الساعة التي ولد المسيح فيها ولما كان الصباح سار جيش الافرنج من عيناتا نحو اورشليم ولما اشرفوا على اورشليم صاحوا يا اورشليم يا اورشليم وبكوا لقرط سرورهم قال المؤرخ روبرتس الراهب الذي كان في جملتهم (كتاب ٨ من صفحة ٧٤) يا يسوع كم من الدموع انهمرت من عيون جنودك عند رؤيتهم اسرار اورشليم الارضية فانهم اجتمع خروا سجداً وحيوا بهتافهم واجسادهم قهرت المقدس فانت دفت هناك وهم يسجدون

لك جالساً عن يمين الآب وسوف تأتي لتدين الاحياء والاموات ثم نهضوا وكرروا
 الحثاف **Dieu le veut dieu le veut** وجددوا حلف اليمين
 على اتقاذ اورشليم ومشوا حفاة نحو اورشليم مترنين بقول النبي انهضي يا اورشليم
 وارفعي الحائطك وانظري الى المخلص الذي اتى ليكسر اغلالك الى ان خيموا حول
 المدينة انتهى ملخصاً عن ذكرنا من المؤرخين المعاصرين لهذه الاحداث

﴿ عدد ٨١٨ ﴾

﴿ في حصار اورشليم وقتحها ﴾

نذكر اولاً جريباً على عادتنا اقوال المؤرخين المسلمين ملخصة عن ابن الاثير
 وابن خلدون وابي الفداء قالوا كان بيت المقدس لتاج الدولة تنش ملكه من يد
 العلويين اصحاب مصر واقطعه للامير سقمان بن ارتق التركاني ولما توفي صارت
 القدس لولديه ايلغازي (وعن ابن خلدون ايلغازي بالراء) وسقمان فلما وهن الاتراك
 في موقعة انطاكية طمع المصريون في ارتجاعها فسيروا اليها جيشاً في مقدمته الافضل
 بن بدر الجمالي فحاصرها وفيها الاميران ايلغازي وسقمان اخوه وابن عمهما سونج
 (ويروي سونج) وابن اخيهما ياقوتي ونصبوا عليها نيفاً واربعين منجنيقاً فعملوا بهض
 مواضع من سورها ودام القتال والحصار نيفاً واربعين يوماً وملكوها بالامان في
 شعبان سنة ٤٨٩ هـ سنة ١٠٩٧ م واحسن الافضل قائد جيش مصر الى ايلغازي
 وسقمان ومن معهما وساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فاقام سقمان ببند الرها
 وسار ايلغازي الى العراق واستتاب المصريون في القدس رجلاً يعرف بافتخار
 الدولة فلما وصل الافرنج اليه حصروه نيفاً واربعين يوماً ونصبوا على المدينة برجين
 احدهما من ناحية صهيون والاخر من جهة الشمال فاحرق المسلمون البرج الاول
 وقتلوا كل من به فأتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من جهة الشمال ولبث
 الافرنج في البلدة اسبوعاً يقتلون فيه المسلمين واخفى جماعة منهم بحراب داود

فاعتصموا به وقتلوا فيه ثلاثة ايام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموا اليهم ووفى الفرنج لهم فخرجوا ليلاً الى عسقلان فاقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على خمسين الفاً منهم جماعة كثيرة من الائمة والعلماء والعباد والزهاد ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف واخذوا من عند الصخرة نيفاً واربعين قديلاً من الفضة وزن كل قديلاً ثلاثة آلاف وستماية درهم ومائة وخمسين قديلاً من الصغار وتنوراً من فضة وزنه اربعون رطلاً بالشامي ونيفاً وعشرين قديلاً من الذهب الى غير ذلك من الثنائيم . وكان فتح القدس سنة ٤٩٢ هـ سنة ١٠٩٩ م وورد المهزومون من الشام الى بغداد صحبة القاضي ابي سعد المرادي فاوردوا في الديوان كلاماً ابكى العيون واوجع القلوب وقاموا بالجامع فاستغاثوا وبكوا وابكوا ولشدة ما اصابهم افطروا في رمضان فامر الخليفة ان يسير القاضي ابو محمد الدامغاني وابو بكر الشاشي وابو القاسم الزنجاني وغيرهم الى السلاطين السلجوقية فوقع الخلف بين هؤلاء السلاطين فتمكن الافرنج من البلاد وقال في ذلك المظفر الايوردي اياتاً منها :

مزجنا دماء بالدموع السواجم .	فلم يبق منا عرضة للمراجم . (١)
وشر سلاح المرء دمع يفيضه	اذا الحرب شبت نارها بالصوارم .
وكيف تام العين ملء جفونها	على هفوات ايقظت كل نائم .
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم	ظهور المذاكي او بطون القشاعم .
يسومهم الروم الهوان وانهم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم .
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمي	توارى حياء حسنها بالمعاصم .
اترضى صنابير الاعارب بالاذى	وتنفضي على ذل كرامة الاعاجم .
فليتهم اذ لم يذودوا حجة	عن الدين ضوا غيرة بالمحارم .

اما الذي رواه المؤرخون النصارى ممن شهدوا هذه الحرب او عاصروها
 فهو ان الافرنج اخذوا مذبلوهم الى اسوار اورشليم يستعدون لحصارها فخم
 غودفروا وروبرتس كنت زمندية وروبرتس كنت فلاندر في شمالي المدينة في
 ناحية جبل الزيتون وتكراد في ميمنتهم وبجانبه ريموند كنت تولوز تجاه الباب
 الغربي ثم اقام قريباً من عسكره في جنوب المدينة بجانب جبل صهيون واستمرت
 جهة المدينة الشرقية خالية من عسكر لكنهم اقاموا محترماً على جبل الزيتون وخرج
 بعض النصارى من المدينة يشكون الى الافرنج سؤ حالهم وتضيق المصريين وما
 اجروه من العذاب عليهم وما نهبوه من كنائسهم ودورهم فزاد ذلك الافرنج
 حمية وحماسة وفر البطريك سمعان الى قبرس وكان في المدينة من جيش المصريين
 اربعون الفاً وتجدد من سكانها عشرون الفاً فكان هذا العدد يزبو على تعدد الافرنج
 المقاتلين الذين بلغوا اورشليم ولم يكن معهم سلاح ولا ادوات للحصار ومع ذلك
 هاجموا المدينة فتقوضوا السور الخارج وكان السور الداخل منيعاً فلم يقووا عليه ولم
 يكن معهم الا سلم واحد يوازي علو السور فتسلق عليه بعض الشجعان وقتلوا
 المصريين وجهماً لوجه قتراكم المصريون عليهم وقتلوا بعضاً وحذفوا بعضاً الى اسفل
 فماتوا وارسل الافرنج شرادم منهم تفتش على اخشاب لاصطناع سلاح وادوات
 للحصار فعثروا في مغارة على اخشاب ضخمة فاتوا بها الى المعسكر وتقوضوا بعض
 البيوت واخذوا اخشابها وكان بعض المنحسرين يدنون من الاسوار ويقبلون
 احجارها باكين وقائلين يا اسوار اورشليم اسقطي علينا ولينط غبارك عظامنا وانتهى
 اليهم وهم على هذه الحال السيئة ان اسطولاً من جنوا بلغ مرفا يافا مشحوناً ذخراً
 ومعدات للقتال فسار للحال منهم ثلث مئة رجل بامرة ريموند بالت فالتقاهم شرذمة
 من الاعداء في اللد فهزموها وشتتوا شملها وبلغوا يافا فوجدوها خالية من السكان
 وراوا ان اسطولاً مصرياً سطا على الاسطول الجنوبي والتي انصار فيه على انهم

استطاعوا بجدهم ان يخرجوا من السفن المون وكثيراً من الادوات اللازمة
لاصطناع المناجيق وغيرها من ادوات الحرب فأتوا بها الى اورشليم يصحبهم عدة
من المهندسين والتجارين ثم اخذ تنكراد كتيبة من جنده فجاء بها فعمر على بعض
اميال عن اورشليم على غابة جلبوا منها ما لزمهم من الاخشاب وانكبوا ليلاً ونهاراً
على اصطناع الادوات حتى كان الامراء انفسهم يبارون الفعلة في عملهم وفي جملة
ما صنعوه ثلاثة ابراج تحركها الات وهي منقسمة الى ثلث طبقات يقوم في الاولى
العملة الذين يحركون البرج وفي الثانية والثالثة المحاربون وكانت هذه القلاع المتحركة
ارفع من اسوار المدينة وقبل ان يشرعوا بحصار المدينة حضهم الاساقفة والكهنة
على التضرع الى الله بالصوم والصلوة والتصدق ثم هاجوا المدينة في اليوم الثالث
عشر من تموز سنة ١٠٩٩ فكانت الحرب سجلاً وفي اليوم التالي بكروا الى القتال
واشغلوا الرجال وادوات الحرب وددت الابراج المتحركة من اسوار المدينة وكان
غودفروا في اعلى احداهما يصحبه اخوه اوستاش وبودوين دي بورج فلا يخطيء
سهم لغودفروا وابدى سائر الرؤساء ايات البسالة محاربين في مقدمة جنودهم غير
مبالين بالخطر ودامت الحرب متسعة اثني عشرة ساعة الى ان فصل الظلام بين
التحاربين ثم عاد الفريقان الى القتال صبح اليوم التالي بعزيمة اشد من الجمود
واقترحهم الا فرنج اسفل الاسوار غير مبالين بما يقذفه المسلمون من النار من اعلاها
وحاول بعضهم نقض الاسوار وبعضهم التسلق عليها فازداد المسلمون حماسة وحمية
واكثروا من قذف النار عليهم وعلى ابراجهم الحشوية وسائر ادواتهم حتى التهب
ولا ماء ولا خل لهم لاطفائها فمات من الفرنج كثيرين بالنار والسهام وتولاهم
اليأس وظنوا ان الله اهملهم وقيل ان القديس جيورجوس ظهر لهم بهيئة فارس
يرمح برمح ويشير اليهم ان يدخلوا المدينة وقد يكون غودفروا وريموند قالا ذلك
للجنود ليوقظا بهم الشجاعة فانشعوا وعادتهم الحمية واسرعت النساء والاحداث

والمرضى انفسهم الى محل المعركة حاملين الماء والزاد والسلاح ومعاونين الجنود على ادناء ما سلم من الابراج المتحركة الى الاسوار واخذوا يرمون منها الاحجار والنار على ادوات اعدائهم وعلى جوالق التبن واكياس العشب الموضوعة وراء الاسوار فانهبت وانار الهواء لهيها نحو المسلمين فخرجوا من النار والدخان وامسوا عرضة لسهام الافرنج وسيوفهم فنزل غودفروا وكثير من الرؤساء والشجعان من ابراجهم الى الاسوار ثم الى المدينة وتبعوا المصريين في الاسواق فقتلوا كل من وصلوا اليه ولما راي تنكراد وروبرتس ما كان دخلا ببعض الشجعان الى المدينة من نافذة فتجاهها وبسلةتهم الاسوار وفتح غودفروا وتنكراد الباب المعروف بباب القديس اسطفانس فدخل به فريق اخر من الصليبيين فانهمز المسلمون فاشتتوا في كل ناحية وتناظروا في اورشليم المتاف **nieu Le vent dieu Le vent** واعتصم بعض المسلمين ببرج دارد مع اميرهم ولجأ بعضهم الى جامع عمر فتبعهم الفرنج وقتلوهوم وقال ريموند دي اجيل الذي كان شاهداً عياناً ان الدم الجاري في رواق الجامع كان يبلغ لركبة الرجل وقالوا ان عدد القتلى في ذلك اليوم وما بعده بلغ الى سبعين الف قتيل وقد رأيت قول المؤرخين المسلمين ان عدد القتلى في المسجد الاقصى يزيد على خمسين الفاً وعن ابي القداء سبعين الفاً وكان فتح اورشليم في ١٥ اكتوبر سنة ١٠٩٩

وبعد الظفر ساروا حفاة مكشوفى الرؤوس الى كنيسة القيامة باحتفاء واخبات وخشوع وانصت يشكرون الله على ما اولاهم وصرفوا قسماً من الغنائم التي اخذوها في اغائة الفقراء والايتام وفي زينة المذابح التي اقاموها وقناديل الفضة والذهب التي غنموها من الجامع الاقصى وقمت في نصيب تنكراد فصرفها بعد المناوذة مع غودفروا في سبيل عمل المبرات وكان نصارى اورشليم اخفوا ما كان فيها من خشبة الصليب ثم اظهروها للصليبيين فطيف بها في اورشليم بصوف

التجلة والحشوع

وبعد عشرة ايام من فتحهم اورشليم اخذوا يتفاوضون في من يملكونه في اورشليم وعولوا على ان يختاروا عشرة رجال من نخبة الاكايروس والجنود وفرضوا صوماً وصلوات وصدقات ليلهمهم الله الى انتخاب ملك يدبر شؤون هذه المملكة الحديثة وحلت المختارون العشرة امام الجنود على انهم لا يراعون في انتخابهم الا المصلحة نابذين كل غرض خاص وكل ميل او نفع شخصي واستطلعوا اولاً اراء الجنود في كل من رؤسائهم وقال غويليمس الصوري انهم سالوا اسرات الرؤساء وخدامهم واستخلفوهم ليثوا لهم ما يرونه في اداب كل من المرشحين وما يعتقدونه في سيرتهم وخصالهم واميالهم واطوارهم وبعد التتقيب والتروي المديد نادوا بغودفروا دوك لوران ملكاً على اورشليم فتقبل الجنود هذه التسمية بالبهجة والسرور وشكروا الله واخذوا الملك بالاحتماء الى كنيسة القبر المقدس حيث اقسم على ان يرعى سنن الشرف والعدل واني ان يكال بتاج من ذهب في مدينة ككل فيها المخلص باكليل الشوك واقتصر على ان يسمي نفسه بارون ومحامي القبر المقدس كما صنع كرلس الكبير الذي هو من سلالة اذ دعا نفسه محامي كنيسة الله ومعاوناً حقيراً للكرسي الرسولي . انتهى ملخصاً عن كثير من كتب المؤرخين الافرنج الذين اعتمدوا على تواريخ المعاصرين

﴿ عدد ٨١٩ ﴾

﴿ وقعة عسقلان وغيرها الى وفاة غودفروا ملك اورشليم ﴾

ذكر ابن الاثير وقعة عسقلان فقال : في هذه السنة (اي سنة ١٠٩٢ هـ سنة ١٠٩٩ م) في رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغتهم ماتم على اهل القدس جمع الافضل امير الجيوش العساكر وسار الى عسقلان وارسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهدهم فاعادوا الرسول بالجواب

ورحلوا على اثره وطمعوا على المصريين اذ لم يكن عندهم خير من وصولهم ولا
 من حركتهم ولم يكونوا على اهبة القتال فنادوا الى ركوب خيلهم ولبسوا اسلحتهم
 واعجلهم الفرنج فهزمهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما في المعسكر من مال
 وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من النيزمين
 فاستتروا بشجر الجميز فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من
 خرج منه وعاد الافضل في خواصه الى مصر وازل الفرنج عسقلان وضائقوها
 فبذل لهم اهلها قطعة اثني عشر الف دينار وقيل عشرين الف دينار ثم عادوا الى
 القدس ، وقد عثرنا على اخبار هذه الواقعة من جهة الفرنج في الرسالة التي رفعها
 غودفروا ملك اورشليم وغيره من رؤساء الجند والاكليس الى البابا بسكائيس الثاني
 سنة ١١٠٠ واليك ملخص ما قالوا عن هذه الواقعة ، انتهى اليسا ان ملك بابل
 (يريدون ملك مصر) اتى الى عسقلان في جيش يشذ عن العدم مهتداً ان ياسر
 الفرنج الذين يحمون اورشليم ويستولي على انطاكية ولما تبقتنا صحة الخبر سرنا لملاقاة
 المصريين وركنا في اورشليم جرحانا وحامية كافية ولما التقى الجيشان جنونا وابهلنا
 الى الله لينصرنا على اعدائنا ويرفع شان كنيسته فاستجاب الله دعواتنا وخولنا
 الشجاعة حتى كنا نرى جنودنا يتسارعون الى اقتحام نار الوغى كغزلان ظمأى
 وامامها ماء قراح ولم يكن عسكرنا يجاوز خمسة الاف فارس وخمسة عشر الف
 راجل وجيش العدو لا يقل عن مئة الف فارس واربع مئة الف راجل فشمل الله
 عيده بقدرته فانهمز اماننا هذا الجيش المرمر قبل ان يقاتلنا وكانهم اعزال لا
 سلاح معهم فاستحوزنا على خزائن ملك مصر وتبعتنا اثر جنوده فقتل منهم نحو
 مئة الف وغرق كثيرون منهم بالبحر وكان رعبهم شديداً حتى مات منهم الفا ورجل
 لاذحامهم على الدخول بباب عسقلان ولو لم يتشاغل جنودنا بانتهاب معسكرهم
 لما تركوا منهم من ينجر . ومما يدعو الى العجب اننا كنا في الامس اخذنا الوفاً من

الجمال والبقر والغنم فامر رؤساء الجنود ان يتركوها ويشرغوا للقتال فتركوها لكن هذه الماشية لم تتركنا فكانت تقف حيث وقفنا وتسير حيث سيرنا وكان الغمام يقينا حر الشمس والنسيم يروح قلوبنا فشكرنا الله على هذا الظفر وعدنا الى اورشليم ، وقد ذكر المؤرخون العيانون هذا الظفر واعتدوه عجيباً وقالوا ان قطمان الجمال والبقر والغنم المار ذكرها توهمها المصريون جنوداً في ساقه عسكر النصارى . وقال ريموند دي اجيل ان جنودنا كانوا حينئذ يزدادون حمية وسروراً كلما دنوا من جيش المصريين . وقال البر من اكس انهم مضوا الى هذه الحرب كمن يمضي الى عرس او الى مادية طرب وكان امير الرملة المسلم يعاون عسكر النصارى فدهش من حمية الافرنج وجد لهم في اقتحامهم المخاطر وابعاد بدھشته الى غودفروا واقسم على انه يتصر جابهاً هذا الدين الذي يولي مثل هذه الشجاعة

وعزم بعض رؤساء الصليبيين على العود لاوطانهم فمادوا واثقين بان حكمة غودفروا وبسالة تنكراد تستم مهمتهم وجزم غودفروا ان يؤمن مملكته ويبسط تخومها فسير تنكراد الى الجليل فاستولى على طيبارية وعدة مدن على ضفتي الاردن فنصب حاكماً فيها وحاصر غودفروا مدينة اسوف على شاطي البحر فاقبل للسلام عليه امراء من جبال نابلس والسامرة وقدموا له هدايا من التين والزبيب وراوا ملك اورشليم جالساً على جواق محشو بالتبن ولا حرس حوله فابذوا تعجبهم من ذلك فاجابهم غودفروا من الارض جيلنا وفي قلبها مسكتنا بعد الموت فكيف نأنف ان نجلس عليها في هذه الحياة فازدادوا عجباً من هذا الجواب ايضاً

وبلغ غودفروا ان اخاه بودوين كنت الرها ويومئذ امير انطاكية قادم الى زيارة الاماكن المقدسة في اورشليم يصحبها عدد غفير من الفرسان والجنود وزيارون اخرون من المغرب بلغ عددهم العشرين التاً فاحتى غودفروا باخيه وعن راقته وابدى لهم صنوف التكريم مدة الشتاء كلها وكان في جملة الزائرين وايبر

استقف بيزا ارسله البابا بسكايس الثاني قاصداً خلفاً لاويير الذي توفي في انطاكية ومات حينئذ سيمان بطيريك الروم في اورشليم وكانت وفاته بقبرس فانتخب اويير بطيريكاً فلم يقبل البطيركية الا مكرهاً كما قال عن نفسه في رسالة كتبها الى بيومند فخلع هذا البطيريك على غودفروا خلمة الملك على اورشليم وعلى بيومند خلمة الامارة في انطاكية

واغتم غودفروا فرصة وجود الامراء اللاتينيين في اورشليم ليسن دستوراً ونظاماً لتدبير مملكته فجمع رجالاً علماء واثقياً وعهد اليهم ان يفرضوا سنناً للملكة على منهاج سنن الاقربنج فوضعوا هذه السنن منها ان يكون للعدلية مجلسان احدهما يرؤسه الملك واعضاؤه من الثمرفاء ويفصل الدعاوي التي تكون بين كبار العمال والثناني يتولى ادارته حاكم اورشليم واعضاؤه من وجوه كل من المدن وينظر في دعاوي اصحاب الاملاك والعمامة وحقوقهم واقيم مجلس ثالث ينظر في دعاوي النصارى الشرقيين وكانت قضائه ممن ولدوا في سورية ويتكلمون بلغة اهلها والحكم فيه بموجب شرائع البلاد وعاداته فشرائع غودفروا هذه قد زاد عليها وتحتها من خلقوه في الملك ووضعت في كنيسة القيامة وسموها مجالس اورشليم وبمقتضى هذا النظام كان الملك واحداً غير متجزىء يتصل اليه بالارث ولو كان الوارث اثنى واذا لم يكن وارث فلعلية الاكائرس وروساء اصحاب الاقطاعات ان يختاروا ملكاً ويلزم الملك ان يقسم على رعاية النظام قبل ان يقر له بالملك اصحاب الاقطاعات وان يتوجه البطيريك

وكان غودفروا ياتي متوارداً النجدة تنكراد في حروبه مع اسراء الجليل واتصل احياناً بجملاته الى ما وراء لبنان حتى دمشق وغزا حوران وعاد ظافراً وآسراً كثيرين وغنائماً خيولاً وجمالاً واشتهر في سطوته وحكمته حتى كان القوم يشبهونه يهوذا المكابي خيرة وبششون قوة وسليمان حكمة وقضى القرنج والروم والمسلمون

ان مملكته سوف تدوم ادهاراً على ان الله لم يفسح باجله فقد اعتراه مرض عند عوده من احدى حملاته لازمه خمسة اسابيع لم ينتطح فيها عن تدبير مهامه وبلغه وهو مختصر اخذ مدينة حيفا فكان ذلك خاتمة انتصاره وخر مسراته في هذه الدنيا واعترف اعترافاً عاماً بخطاياهم ونال سائر اسرار الكنيسة ومضى للقاء ربه في ١٧ تموز سنة ١١٠٠ بعد فتح اورشليم بسنة واحدة ودفن في كنيسة القبر المقدس في اسفل الجبلجة

﴿ ع ٨٢٠ ﴾

﴿ في انتخاب بودوين ملكاً وبعض الاحداث في ايامه ﴾

بعد وفاة غودفروا لم يخلُ امر الخلافة له من مصاعب فقد كان غودفروا تمخى في حياته للبطريك وايبر المار ذكره عن حي كنيسة القبر المقدس في اورشليم وعن ربع في مدينة يافا فادعى البطريك ان الملك المتوفى تمخى له في اخر حياته عن اورشليم كلها وخالته رؤساء الجنود والشعب واختاروا بودوين اخا غودفروا الذي كان اميراً في الرها فتخلى بودوين عن امارة الرها لابن غمه بودوين دي بورج وسار الى اورشليم في سبعمائة فارس وسبعمائة راجل فالتقاه عسكر في مضائق فونيتي وارادوا قطع الطريق عليه فانتصر عليهم وعن ابن الاثير: ان الذي التقاه الملك دقاق صاحب دمشق ومعه الامير جناح الدولة صاحب حمص. وعن البطريك اسطفانس الدويهي ان محل اعتراضهم له كان معبر نهر الكلب ولما دنا من اورشليم خرج الى لقاءه الشعب والاكايرس ومعهم النصارى الشرقيون بالمصاييح والصلبان يسبحون الله ويعظمون ملتقى ملكهم الجديد واخذوه بعضهم الاحتفاء الى كنيسة القبر المقدس

ولم يلبث بودوين في اورشليم الا اسبوعاً والب فرسانه ونجبة جنده وسار طالباً عدواً يبكنه او ارضاً يملكها وكل بعض المسلمين الذين يهينون حجاج اورشليم

او يسلبون مالهم ثم توجه نحو حبرون (الحليل) والبحر الميت واجتاز في الجبال الى ان انتهى الى المخل الذي ضرب فيه موسى الصخرة فجرت المياه والى البرية التي بين بلاد ادوم ومصر وعاد الى اورشليم فصالح البطريك واطبر فالبسه البطريك التاج ومسحه مسحة الملوك في بيت لحم بكنيسة المولد يوم عيد الميلاد ولما كان بعض المذال والاعداء يعيبون غودفروا بعدم لبسه تاجاً من ذهب ويسمونه ملك الحجاج وامير العباد لم يشا بودوين ان يحدو حدو اخيه بلبسه تاجاً حقيراً تشبيهاً بالخاص بل لبس تاج الملك مرصعاً قاضياً بلزوم ذلك في مملكة يحدق بها الاعداء من كل جهة

واول ما صرفه بودوين من العناية بتلكه بعد تويجه كان جلوسه للقضاء بحسب نظام اورشليم المأزر ذكره فكان يصرف كل يوم ساعات بسماع دعاوي مسوديه وفصلها وكان من اهم هذه الدعاوي خلاف كان بين تنكراد وغوليلمس دي مالون على حيفا التي كان تنكراد قد فتحها وكان غودفروا قد وهبها لغوليلمس المذكور فصالح بودوين بينهما وسلم الى تنكراد تدبير امارة انطاكية لاسر يومئذ اميرها فترك تنكراد دعواه على حيفا بل تحلى لبودوين عن امارة طيسارية ايضاً ولم يكن اشتغال بودوين بتدبير شؤون مملكته يعوقه عن حملاته على بلاد المسلمين وبينما كان عائداً من احدى غزواته الى ما وراء الاردن موقراً غنائم وقد دنا من النهر سمع صراخاً فاقرب فوجد امرأة مسلمة مطلوقة (اصابتها مخاض الطلق) فطرح رداها عليها ليسترها وفرش لها طنفسة وامر ان يؤتى اليها بتمار وزقي ماء وبنائة ترضع طفلها واقام جارية تخدمها وان تسير معها الى زوجها وكانت هذه المرأة من نساء واعيان المسلمين ولما وصلت الى زوجها بكى لسروره برؤية امراته التي كان يظنها ماتت او سويت واقسم انه لا ينسى مدى الدهر ما صنعه بودوين اليها وفتح بودوين ارسوف وقيصرية واقام الافرنج في قيصرية احد الكهنة الآتين

معهم اسقفا عليها وفي السنة الثانية لملك بودوين حارب المصريين في سهول حيفا
فانتصر عليهم نصراً ميناً ولكن ساءه ما ورد اليه من الاخبار ان حشداً كبيراً
من الحجاج الغربيين وثب بهم الاعداء في جبال اسيا الصغرى فاهلكوهم ونجا
منهم غوليمس كنت بواتيا واسطفانس كنت بلوا وغيرها مع قليلين فسار بودوين
للتقاها حتى بيروت

ولما بلغوا اورشليم صحبهم الى القبر المقدس فاقاموا اشهرًا في اورشليم وساروا
بعد الفصح الى يافا ليعودوا الى اوروبا ورافتهم بودوين فورد عليه بناء ان المسلمين
خرجوا من عسقلان واخربوا اللد والرملة فجمع بودوين ما تيسر له من الجنود
وركب اولئك الزائرون الشرفاخيولهم واخذوا سلاحهم وخرجوا معه للقتال فاذا
عدد الاعداء لا يقل عن عشرين الفاً وليس مع بودوين الا مائتا فارس وقليل من
الرجالة ومع ذلك اقتحم القتال فاحاط الاعداء به وبتن معه فلم يبق لهم الا ان
ينتظروا الموت وقتل من الزائرين كنت بلوا وكنت يوركونيا واسر هرين كنت
بورج وكوزراد احد اعيان جرمانية وانهمزم بودوين واختبأ بين القصب فالتقى الاعداء
النار فيه فكاد يحترق واسعده كده فهرب الى الرملة ولم تكن هذه المدينة الحظيرة
كفؤاً الرد وثبة الاعداء فايقن الهلاك واذا برجل غريب اقبل عليه وهداه الى طريق
آمن خفي فسار به ونجا وكان هذا الغريب الذي اتقذ ملك اورشليم رجل المرأة
التي احسن اليها بودوين عند ولادتها فاراد ان يكافئه على احسانه

وبعد فرار بودوين وثب المسلمون على الرملة وجميع من كانوا فيها من النصارى
قتلوا او اسروا ولما سمع الفرسان الذين كانوا باورشليم باخبار ما كان هبوا المناصبه
الاعداء واتفق حينئذ ان رسي في مرفا يافا مئتا سفينة من المغرب تقل جمعاً كبيراً
من الزائرين وفي جهاتهم كثيرون من الانكليز والجرمانيين الذين اشتهروا بالحرب
وعاد بودوين بسفينة الى يافا فانضوى اليه عسكر شديد الغزيمه محك بالحرب هانم

بالقتال فخرج على الاعداء الذين كانوا يهايون حصار يافا فظهر عليهم وبدد شملهم
 فاستراحت مملكة اورشليم مدة من القتال . وقد ذكر ابن الاثير الوقعة الاولى في
 تاريخ سنة ٤٩٥ هـ سنة ١١٠٢ م فقال : في هذه السنة في رجب خرجت عساكر
 مصر الى عسقلان لينموا الفرنج عما بقي في ايديهم من البلاد الشامية فسمع بهم
 بردويل (كذا يسمى بودوين) صاحب القدس فسار اليهم في سبعماية فارس
 وقتلهم فنصر الله المسلمين وانهمز الفرنج وكثر القتل فيهم وانهمز بردويل واختفى في
 اجمة قصب فاحترقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة
 فتبعه المسلمون واحاطوا به فتكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر في
 اصحابه . ان اخبار اخذ الصليبين اورشليم واقامتهم مملكتهم فيها وما يؤتهم الله من
 التوفيق بعثت كثيرين ممن كانوا قد رجعوا الى المغرب قبل فتح اورشليم ان يعودوا
 ثانية الى المشرق وحملت الغيرة كثيرين من اعيان فرنسا وايطاليا والمانيا على ان يؤموا
 الارض المقدسة وانضم اليهم كثيرون من العامة رجالاً ونساءً واحداً حتى قيل
 ان عددهم لم يكن يقل عن اربعمائة الف على انهم لم يتنظوا بالتجربة فساروا الى
 قسطنطينية وكان كنت تولوز قد مضى بعد حرب عسقلان الى اللاذقية ثم الى
 قسطنطينية فعهدوا اليه بقيادة هذا الجيش في اسيا الصغرى فهلك هذا الجيش في
 الطريق لشن الاتراك الغارة عليهم ومن نجا منهم عاد بعضهم الى قسطنطينية ووصل
 بعضهم الى انطاكية ولم يبق من النساء امرأة وعظمت شكاوى اللاتينيين من الروم
 وتدمرهم من ملكهم الكسيس كوماناس لانه كان من جهة يسعي لتخلية سيل
 الاسرى من النصارى ومن جهة اخرى يجهز اسطولاً ويؤلب جيشاً ليأخذ انطاكية
 ويستحوذ على المدن التي تولاها الفرنج في سواحل سورية واراد ان يدفع مالا يفتدي
 به يومئذ الذي كان اسره الاتراك في وقعة عند ملطية لا ليخلي سبيله بل ليأخذه
 الى قسطنطينية ويكرهه ان يتخلى له عن امارته في انطاكية على ان يومئذ اقتدى

نفسه بعد ان بقي اميراً اربع سنين وعاد الى انطاكية يرد مهاجمات الكسيس

﴿ عد ٨٢١ ﴾

﴿ فتح بودوين عكا وحره في يافا ووقعة حران ﴾

ذكر المؤرخون المسلمون حصار عكا وفتحها سنة ٤٩٧ هـ سنة ١١٠٤ م فقالوا ما ملخصه في هذه السنة سار صنجيل (نظن ان المراد بهذا الاسم ريموند كنت تولوز المسمى **saint giles** سان جيل) وقد وصله مدد الافرنج من البحر الى اطرابلس وحاصرها براً وبحراً فلم يجد فيها مطماً فعاد عنها الى جيل وحاصرها وتسلمها بالامان ثم سار الى عكا ووصل اليه من الفرنج جمع اخر من القدس وحصروا عكا في البر والبحر وكان الوالي بعكا من جهة خليفة مصر اسمه بنا ولقبه زهر الدولة الجيوشي نسبة الى امير الجيوش وجرى بينهم قتال حتى ملك الفرنج عكا باليف وفعالوا باهاليا الافعال الشنيعة وهرب من عكا بنا المذكور الى دمشق ثم سار الى مصر وملوك الاسلام اذ ذاك مشتغلون بقتال بعضهم بعضاً وقد تفرقت الاراء واختلفت الاهواء وتمزقت الاموال ، هذا ما ذكره ابو القداء وذكر مثله ابن الاثير وابن خلدون

والذي رواه المؤرخون الفرنج هو ان الملك بودوين استعان بالزائرين الذين كانوا قد اتوا من بيزا وجنوا ومعهم اسطول كبير فتولى غنوة على عكا وهي مدينة مهمة وبمثلة مرفأ لسورية وراع هذا اتمتع المسلمين في دمشق وعسقلان ومصر وطلق سلطان مصر يؤلب الجنود ويجهز اسطولاً ليكبج جيش النصارى ويقي من غزواتهم ما بقي من بلاده وما ابطأ بعد فتح عكا ان ظهر اسطول مصري تجاه يافا وزحف جيش من عسقلان الى صحارى الرملة فيب لناواتهم النصارى من الجليل ونابلس وجبال اليهودية وخرج بودوين من يافا في خمس مئة فارس والهي راجل لمناسبة الاعداء وكانوا الوفاً مؤتمة فاوقد بودوين نار الوغى عليهم فقتل امير عسقلان

وخمسة الاف رجل من المسلمين وغنم النصارى كثيراً من خيولهم وحميرهم
وجمالهم ومالهم وعادوا الى يافا فلما راي ذلك اصحاب الاسطول يسوا من الفوز
واقلموا في البحر وابدوا فنار بهم عاصف ففرق بعض سفنهم وحطم بعضها
على الصخور

اما وقعة حران في الجزيرة (ما بين النهرين) فذكرها المؤرخون المسلمون
فقال ابن الاثير لما استطال الفرنج باملكوه من بلاد الاسلام قصدوا حران وكانت
لملوك من ممالك ملك شاه اسمه قراجه واستخلف عليها محمد الاصبهاني ثم عصى
مولاه فسار الافرنج اليها وحصروها واتفق امراء المسلمين وتحالفوا وساروا الى
لقاء الفرنج والتقوا على نهر ايلخ فاقبلوا فظاهر المسلمون الانزام فتبعهم الفرنج
نحو فرسخين ثم عاد المسلمون عليهم فقتلهم كيف شاؤوا وغنوا اموالهم وكان
بئند صاحب انطاكية وطنكري (كذا يسمون تنكراد والي اللاذقية حينئذ) صاحب
الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتي المسلمون من وراء ظهورهم فلما خرجا راي
الفرنج منهزمين فاقاموا الى الليل وانزما قبعهما المسلمون وقتلوا من اصحابهما
كثيراً وسروا كذلك واقلت بئند وطنكري في ستة فرسان وكان التمص (الكونت)
بردويل (بودوين امير الرها) انهزم مع جماعة من قاصصهم وخاضوا نهر البليخ
فوحلت خيولهم فاخذ بودوين اسيراً وسار المسلمون الى الرها فحاصروها خمسة
عشر يوماً ثم اقتدى الفرنج بودوين بخمسة وثلاثين ديناراً ومائة وستين اسيراً من
المسلمين وكانت عدة القتلى من الفرنج تقارب اثني عشر الف قتيل .

واما المؤرخون الفرنج فقالوا في هذه الوقعة . في ربيع سنة ١١٠٤ عزم بيومند
امير انطاكية وتنكراد والي اللاذقية واباميا حينئذ وبودوين دي بروج كنت الرها
وابن عمه جوسلان ان يجتازوا القرات ويستحوزوا على حران فحاصروا المدينة خمسة
عشر يوماً فاستسلمت اليهم فاقتلوا على من يتولى امرها البودوين كنت الرها

تكون ام ليومند امير انطاكية واذا بجيش عرمرم فاجاهم من الموصل فدهش
الفرنج واخذ الرعب في قلوبهم كل مأخذ فانهزموا امام اعدائهم فأسر بودوين
وجوسلان وافلت بيومند وتكراد منفردين

واستمر بيومند بعد هذه الوقعة محصوراً في انطاكية يهدده ملك الروم من
جهة المسلمين من اخرى ولم يبق عنده ما يقوم بحاجاته من اموال ورجال فدار
في خده ان يلجأ الى نصارى المغرب وكان يخشى ان يقتاله الروم في مسيره فاشاع
انه توفي وحبس نفسه في نعش لجاوز اسطول الروم وهم جذلون بموته ويلعنون
ذكره ولما وصل الى ايطاليا انبعث من موته الموهوم وسار تواً الى الخبر الروماني
يشكو له ما عاناه جاً بالدين ويساله كبح الكسيس ملك الروم الذي كان يسميه آفة
المشرق فاعزه البابا وقدر شهامته حق قدرها واصغى الى شكواه ووعدته بالمساعدة
لاصلاح شؤون المشرق ثم مضى الى افرنسة فعظم فيليب الاول مثواه وزوجه
قسطنسا بنته وخطب في كثير من المحافل يحض على معاونة النصارى في المشرق
وطاف في كثير من مدن افرنسة ثم اجتاز منها الى اسبانيا ثم الى ايطاليا فتجند معه
كثيرون فسافر في جيشه من مدينة باري بايطاليا قاصداً لعرش ملك الروم
وحاصر مدينتهم دورازد (على بحر الادرياتيك في جنوب سكوتاري) وطال
زمان الحصار وفشا الوباء بفسكره وأبق منهم كثيرون فاضطر الى عقد صلح مذل
له مع ملك الروم سنة ١١٠٨ وعاد يتجهز لقتال هذا الملك فعاجلته المنية سنة ١١١١
في تريندنتو : واما بودوين دمي بروج والي الرها وجوسلان ابن عمه فاخذا الى
بغداد واستمرا ماسورين خمس سنين على ما روى المؤرخون الفرنج خلافاً لما يظهر
مما روينا عن ابن الاثير عن فداء بودوين وربما كان هذا الفداء بعد مرور السنين
الخمس التي ذكرها المؤرخون الفرنج . وكان تنكراد في هذه المدة يدبر حكومة
انطاكية ويرد عنها حملات الاعداء . انتهى ملخصاً عن كثير من المؤرخين الفرنج

﴿ عدد ٨٢٢ ﴾

﴿ في فتح الافرنج اطرابلس وغيرها ﴾

قد روى المؤرخون المسلمون حصار الافرنج اطرابلس في عدة سنين فقال ابو الفداء في تاريخ سنة ٤٩٥ هـ سنة ١١٠٢ م في هذه السنة سار صنجيل الافرنجي في جمع قليل وحصر ابن عمار بطرابلس ثم وقع الصلح على مال حمله اهل اطرابلس اليه فسار صنجيل الى انطربوس (طربوس) ففتحها وقتل من بها من المسلمين ثم سار وحصر حصن الاكراد فجمع جناح الدولة صاحب حصن العسكر ايسير اليه فوثب باطني على جناح الدولة وهو بالجامع فقتله ولما بلغ صنجيل قتله رحل عن حصن الاكراد الى حصن ونازلها وملك اعمالها ، وروى كذلك ابن الاثير في تاريخ السنة المذكورة ثم ذكرا في تاريخ سنة ٤٩٧ هـ سنة ١١٠٤ م في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية وفيها التجار والاجناد والحجاج واستعان بهم صنجيل الافرنجي على حصار طرابلس فحصرها معه برأ وبجراً وضائقوها وقتلواها اياماً فلم يروا فيها مطعماً فرحلوا عنها الى مدينة جيل فحصرها وقتلوا عليها قتالاً شديداً فلما راي اهلها عجزهم عن الفرنج اخذوا اماناً وسلموا البلد اليهم فلم تبق لهم الافرنج بالامان واخذوا اموالهم واستمذوها بالعقوبات وانواع المذاب فلما فرغوا من جيل ساروا الى مدينة عكاء وقالوا في تاريخ سنة ٤٩٩ هـ سنة ١١٠٦ م كان صنجيل قد ملك مدينة جبلة ثم سار واقام على طرابلس فحصرها وبني بالقرب حصناً وبني تحتها ريبضاً وهو المعروف بحصن صنجيل فخرج الملك (الامير) ابو علي بن عمار صاحب طرابلس فاحرق الريبض ووقف صنجيل على بعض ستوفه المحروقة فانخسف به فرض صنجيل من ذلك وبقي عشرة ايام ومات وحمل الى القدس ودفن فيه ودام الحرب بين اهل طرابلس والفرنج خمس سنين وظهر من صاحبها ابن عمار صبر عظيم وقتل الاقوات فيها

وسار ابن عمار صاحب طرابلس من الشام الى بغداد قاصداً باب السلطان محمد (السلجوقي) مستقراً على الافرنج طالباً تسيير العساكر لازاحتهم وانه استتاب ابن عمه ذا المناقب في طرابلس ورتب معه الاجناد برآ وبحراً واعطاهم جامكية ستة اشهر سلفاً وان ابن عمه اظهر الخلاف له والمصيان عليه ونادى بشعار المصريين فكتب الى اصحابه يامرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوالي فعملوا ما امرهم وكان ابن عمار استصحب معه هدايا نفيسة قدمها للسلطان محمد فاكرمه وعامله بماملة الملوك وعرض عليه ابن عمار ما يقاسيه وقوة عدوه وطول حصره وطلب غيرة السلطان فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر ما ذكره عند السلطان فلم يجد ذلك نفعاً كما سترى وعاد ابن عمار الى دمشق سنة ٥٠٢ هـ سنة ١١٠٩ م وتوجه منها مع عسكر الى جيلة فدخلها واطاعه اهلهما واما اهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل امير الجيوش بمصر ليمسكون منه والياً يكون عندهم ومعه الميرة في البحر فسير اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من اهل ابن عمار واصحابه واخذ ما وجدته من ذخائره والاثرة وجمل الجميع الى مصر في البحر

وقال ابن الاثير وابو التداء في تاريخ سنة ٥٠٣ هـ سنة ١١١٠ م في هذه السنة في حادي عشر ذي الحجة ملك افرنج مدينة طرابلس لانهم ساروا اليها من كل جهة وحصروها في ابر والبحر وضائقوها من اول رمضان وكانت في يد نوابه خليفة مصر العلوي وارسل الخليفة اليها اسطولاً فرده الهواء ولم يقدر على الوصول الى طرابلس ليقتضي الله امراً كان مفعولاً وملكوها بالسيف وقتلوا ونهبوا وسبوا وكان بعض اهل طرابلس قد طالبوا الامان وخرجوا منها الى دمشق قبل ان يملكها الافرنج ثم قال في سنة ٥٠٤ هـ سنة ١١١١ م ملك الافرنج مدينة صيدا في ربيع الاخر وملكوها بالامان وفيها سار صاحب انطاكية مع من اجتمع عليه من

الفرنج الى الأثارب وهي بانقرب من حلب وحصره ودام القتال بينهم ثم ملكوه
بالسيف وقتلوا من اهله التي رجل واسروا الباقين ثم ساروا الى زردنا فلكوها
بالسيف وجري لهم كما جرى لاهل الأثارب ثم سار الفرنج الى منبج وبالس
فوجدوها قد خلاها اهلهما فعادوا عنها وصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على
أثنى وثلاثين الف دينار يحملها اليهم مع خيول وثياب ووقع الخوف في قلوب اهل
الشام من الفرنج فبذلت لهم اصحاب البلاد اموالاً وصالحوهم فصالحهم اهل مدينة
صور على سبعة الاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على اربعة الاف
دينار وصالحهم علي الكردي صاحب حماه على التي دينار .

واليك خلاصة ما قاله المؤرخون الافرنج بهذه الاحداث . في سنة ١١٠٨
وقال بعضهم سنة ١١١٠ (وهو الاوجه) سار برتران بن ريموند كنت سان جيل
الى المشرق ومعه سبعون سفينة من جنوا بقصد ان يتولى بعض مدن فونيقى فهاجم
اولاً جيل فلحقها بعد مهاجمات ثم سار لحصار اطرابلس واتى بودوين ملك اورشليم
في خمس مئة فارس يماونه على هذا الحصار فضايقوا المدينة ولم يجدها احد
فاستسلمت الى الافرنج بشرط ان يكون اهلهما احراراً فن شاء الخروج منها خرج
بما امكنه حمله ومن شاء البقاء فيها لزمه ان يؤدي الجزية فامست اطرابلس وعرقا
وطرطوس وجبله عملاً رابعاً من اعمال الفرنج في سورية وتولاه برتران بن ريموند
كنت سان جبل وحلف يمين الامانة لملك اورشليم . وبعد اخذ اطرابلس باشهر
جمع بودوين ملك اورشليم عساكره حول بيروت وحاصرها شهرين وارغم اهلهما
ان يستسلموا اليه ولم يبق للمسلمين على شاطي البحر المتوسط الا عسقلان وصور
وصيدا ولم يكن اهل صيدا نجوا الى حينئذ الا باظهارهم الخضوع وتقديم التناقد
فكانوا يؤجلون خراب مدينتهم من سنة الى اخرى ببدل اموالهم واتفق انه عند عود
ملك اورشليم من حملة على شواطئ القرات بلغه ان سيكور ابن ملك نورفج حل في يافا

يصحبه عشرة الاف رجل من مملكته فسار بودوين الى لقاء هذا الامير وكلفه ان يمده في حروبه فاجابه الى ذلك ولم يتطلب اجرة الا ان يعطى فلذة من ذخيرة عود الصليب واتي معه الى اورشليم فعجب سكانها من طول قامات هؤلاء الزائرين ومن عدة حربهم وقرر مجلس الملك حينئذ ان يحاصروا صيدا فسار اسطول سيكور للحال الى تجاه صيدا وخيم بودوين ملك اورشليم وكنت اطرابلس حذاء اسوارها فحاصروها ستة اسابيع واكروها والى المدينة ووجباؤها ان يسلموا مفاتيح مدينتهم الى ملك اورشليم ولم يطلبوا الا ان يخرجوا من المدينة في ما يمكنهم حمله على رؤسهم ومناكبهم فخرج من سكان صيدا خمسة الاف واستمر الباقون فيها خاضعين لملك اورشليم وعاد امير نورفج الى بلاده جذلاً بما ناله من ذخيرة خشبة الصليب ووضع هذه الذخيرة في احدي مدن بلاده

﴿ عد ٨٢٣ ﴾

ذكر مسير عساكر السلطان محمد السلجوقي الى قتال الافرنج

روى ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٠٥ هـ سنة ١١١٢ م انه في هذه السنة اجتمعت العساكر التي امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج وكان من قوادهم الامير مودود صاحب الموصل والامير سكرمان صاحب تبريز والامير المغازي صاحب ماردين وساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وحاصروا مدينة الرها ثم رحلوا عنها وعبروا الى جانب القرات الشامي وطرقتوا اعمال حلب وحاصروا قلعة تل باشر خمسة واربعين يوماً ولم يبلغوا منها غرضاً فرحلوا عنها ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان صاحبها ابواب المدينة ولم يجتمع فيهم فرحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم طفتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة في حقه فخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سرّاً وكانوا قد تكلموا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك ففرقت عساكر

المسلمين لان الامير برسق الذي هو اكبر الامراء كان به تقرى ويحمل في محفة ومات سكران امير تبرز واتبك طفتكين صاحب دمشق خاف على نفسه ففرقوا وبقي طفتكين ومودود في المعرة فساروا منها فزلوا على نهر العاصي وناسمع القرنج بنرق عساكر المسلمين طعموا وكانوا قد اجتمعوا وساروا الى فامية (اباميا قلعة المضيق) وسمع بهم ابن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطفتكين وهون عليهم امر القرنج فرحلوا الى شيزر وزلوا عليهما وزل القرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة فلم يعطوا مصافاً للحرب وراوا قوة المسلمين فعادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من ادركوه في ساقهم وعاد المسلمون الى شيزر وفي سنة ٥٠٦ هـ سنة ١١١٣ م سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعّل بها كذلك واهمل القرنج ولم يحترز منهم فلم يشعرا الا وجوسلين صاحب تل باشق قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة في المرعى فاخذ القرنج كثيراً منها وقتلوا كثيراً من العسكر فلما تاهب المسلمون للقاء جوسلين عاد عنهم الى سروج. وفي سنة ٥٠٧ هـ سنة ١١١٤ م اجتمع الامراء المذكورون وطفتكين صاحب دمشق ليردوا غارات ملك القرنج على بلاد دمشق وقطعوا المواد عنها فراسل طفتكين الامير مودود فسار بعسكر جرار ولاقاه طفتكين الى سامية وساروا جميعاً الى الاردن ودخلوا بلاد القرنج والتقوا معهم عند طبرية واشتد القتال وصير القرنيان ثم انهزم القرنج وكثر القتل فيهم والاسر ومن اسر ماكهم بقدين (بودوين) فلم يعرف واخذ سلاحه واطاق فجا وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الاردن كثيرون وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ووصل القرنج الى مضيق دون طبرية فلقبهم عسكر طرابلس وانطاكية فتويت نفوسهم بهم وعادوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل جهة وصعد القرنج الى جبل غربي طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوماً والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيرون من يقرب

منهم ومنعوا الميرة عنهم لملهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرجوا فصار المسلمون الى
 بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من
 النصارى واتقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم ثم عاد الامراء عن القتال
 واذنوا للعساكر بالعود والاستراحة وبقي مودود في خواصه ودخل دمشق ليقم
 عند طفتكين الى الربيع لمعاودة الغزو ودخل مودود الجامع يوم الجمعة ليصلي مع
 طفتكين ولما خرجا وثب باطني على مودود فخرجه اربع جراحات وكان صائماً
 فحمل الى دار طفتكين واجتهد به ليفطر فقال لا لقيت الله الا صائماً فأت من
 يومه وقيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه وقيل بل خافه طفتكين فوضع عليه من
 قتله قال ابن الاثير حدثني والذي قال كتب ملك الفرنج الى طفتكين بعد قتل
 مودود كتاباً قال فيه: ان امة قتلت عبيدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق
 على الله ان يبدها . .

وايك خلاصة ما جاء في كتب المؤرخين الفرنج عن ذلك قالوا في سنة ١١١٣
 اقبل عسكر جرار من خرامان والموصل ودمشق وانتشر في الجليل فسار الملك
 بودوين لمتاوتهم واغتر بحيلة صنعها المسلمون فاقتدم على قتالهم دون تروى فكان يوم
 اوشك فيه عسكر النصارى ان يهلك عن اخره وملكهم ان يزول وملكهم ان يقتل
 الا انه قد تيسر لهم في اخر الصيف انصراف جيش اعدائهم ولكن عقب ذلك جراد
 رعى الزروع ومجاعة جشأت بها نفوس اهل كنية الرها وامارة انطاكية وزلزال
 انبسط من جبل طورس الى بركة ادوم فاخرب مدناً كثيرة فتاب النصارى الى الله
 وخشعوا ونادوا باصوام وواظبوا الصكائس والتضرع الى الله الى ان اتشعت
 ظلمات هذه المحن والمصائب

ولما راي بودوين نفسه مستريحاً من غارات اعدائه غزا في بلاد العرب حتى

البحر الاحمر ودار في خنده ان يجعل على مصر فحمل عليها سنة ١١١٨ ووصل الى

جهة الغرما ظاهراً غانماً ولكن اصاب بودوين الملك مرض فلم يعد له ولقومه
حيلة الا بان يعود الى اورشليم فملوا بودوين في محفة الى العريش ولما شعر بدنو
النية علم خدامه كيف يخطون جثته ويحملونها الى اورشليم واوصى بان يخلفه في
الملك اما اخوه اوسطاش او بودوين دي بوج كنت الرها وتناول اسرار الكنيسة
ومضى الى لقاء ربه فاستخرج اصحابه احشائه ودفنوها بالقرب من العريش وحملوا
جثته الى القدس فدفنوها به في ٢٦ اذار سنة ١١١٨ يوم عيد الشعانين وكان تكرار
والي انطاكية قد توفي سنة ١١١٢ في انطاكية ودفن بها في كنيسة القديس بطرس
هامة الرسل واوصى بان يخلفه روجه بن رينشار احد انسيائه بشرط ان يتخلى عن
امارة انطاكية الى اميرها الشرعي ابن بيومند الذي كان حينئذ عند امه في ايطاليا

﴿ عد ٨٢٤ ﴾

— في خلافة بودوين الثاني وما كان في ايامه —

بعد وفاة بودوين الاول ودفنه اهتم اكيرس اورشليم وشعبها بانتخاب ملك
يخلفه فاراد بعضهم ان يملكوا اخاه اوسطاش وقال غيرهم ان اوسطاش بعيد والاختار
حافة بهم فرشحوا بودوين دي بوج كنت الرها من انسياء الملك المتوفى وكان
حينئذ باورشليم فاجمع رايهم عليه وادوا به ملكاً في كنيسة القيامة يوم عيد الفصح
واقام في كنية الرها عوضاً عنه جوسلان دي كورتناي

ولم ينهوا من حملات الملك الجديد الا تالبت جموع من المسلمين من فارس
والجزيرة وسورية وزحفوا الى عدوة العاصي باصرة اليلغازي بن ارتق والي ماردين
الذي كان تولى على حلب وقال المؤرخون المسلمون في ذلك في هذه السنة (اي
سنة ٥١٣ هـ وهي سنة ١١٢٠ م) كانت وقعة بين اليلغازي بن ارتق وبين الفرنج
بارض حلب فانهمز الفرنج وقتل منهم عدة كثيرة واسر عدة وكان في من اسر
سرجال صاحب انطاكية ثم سار اليلغازي وفتح عقيب الوقعة الاثارب وزردنا وكانت

الوقعة في منتصف ربيع الاول عند عفرين ومما مدح به ايلغازي بسبب هذه الوقعة
قول العظمي :

قل ما تشاء فهولك المقبولُ وعليك بعد الخالق التمويلُ
واشبهش القرآن حين نصرته وبكى لتفقد رجاله الانجيلُ

وقال المؤرخون الافرنج في ذلك اجتمع المسلمون من بلاد فارس والجزيرة
وسورية بامرة ايلغازي وعلم بتجمعهم روجه بن ريشار امير انطاكية فاستمد ملك
اورشليم وكنت الرها وكنت اطرابلس ولم ينتظر وصولهم بل عاجل المسلمين بالقتال
فقتل هو وتشتت عسكره كل التشتت واسر كثيرون وكان في جملتهم غوتيار المسجل
وهو وصف ما عاناه الاسرى حيثئذ من العذاب المبرح وقال انه لم يصف كل
ما راى خشية ان يقتدى النصارى يوماً بما ازله اعداؤهم بهم وقد انتشرت عساكر
ايلغازي بعد هذا الظفر في اعمال الفرنج وبلغ حيثئذ ملك اورشليم الى انطاكية وقد
قتل اكثر من كان يذب عنها ولزم ان يقام الاكليرس والرهبان في حراسة الابراج
اذ لم يكونوا على ثقة من الروم والارمن لاستئثارهم نير اللاتينيين فانعش وصول
الملك رجاى الاهلين وزار كنائس انطاكية وعليه ثياب الحداد وطلب بركة البطريرك
له ولجنوده وسار لقتال المسلمين وعلمهم خشية الصليب والتحم القتال فظهر النصارى
وانهزم ايلغازي وديس قائد العرب وبعد ان امن بودوين انطاكية واعمالها عاد الى
اورشليم قسبة ملكه

وقال المؤرخون المسلمون في تاريخ سنة ٥١٥ هـ سنة ١١٢٢ م في هذه السنة
عصى سليمان بن ايلغازي على ابيه بحب وحسن له العصيان وجل من اهل حماة من
بيت قرناص كان ايلغازي قد قدمه على اهل حلب فجازه بذلك فسار ايلغازي من
ماردين وهجم على حلب وقطع يدي ابن قرناص ورجليه وسمل عينه فمات ولحمته
رقية الوالد على ولده سليمان فاستبناه وهرب الى طنتكين بدمشق فاستتاب ابوه

على حلب ابن اخيه واسمه سليمان ايضاً ابن عبد الجبار. وقالوا ايضاً في السنة المذكورة
 كانت حرب بين بلك بن بهرام ابن اخي ايلغازي وبين جوسلين صاحب الرها فان
 بلك حصر هذه المدينة وبها التفرنج وبقى على حصرها مدة فلم يظهر بها فرحل عنها
 فقصده جوسلين صاحب الرها وسروج فانتصر بلك على التفرنج وقتل منهم كثيرين
 واسر جوسلين وابن خاله كليام وجماعة من فرسانه وبذل جوسلين فداء نفسه اموالاً
 كثيرة فلم يقبها بلك وسجنهم في قلعة خربت . وتوفي ايلغازي في سنة ٥١٦ هـ
 سنة ١١٢٣ م وملك بعده ابنه ترمناش بماردين واخذ بلك حلب من ابن عمه سليمان
 المار ذكره فسلم سليمان حصن الأتارب الى التفرنج ليهادونه على حلب واستولى
 التفرنج على خربت وخلصوا جوسلين ثم سار بلك اليها واسترجعها من التفرنج .
 ثم توفي بلك سنة ٥١٨ هـ سنة ١١٢٥ م وسبب وفاته انه قبض على الامير حسان
 البعلبكي صاحب منبج وسار الى هذه المدينة فلما حصر القلعة فاصابه سهم
 لا يدري من رماه فقتله فحمله ابن عمه ترمناش بن ايلغازي الى حلب وتسلم المدينة
 ورتب امورها وعاد الى ماردين مركز ولايته واجتمعت التفرنج وانضم اليهم ديبس
 بن صدقة وحاصروا حلب واخذوا في بناء بيوت لهم بظاهرها فعظم الامر على
 اهلها ولم ينجدهم صاحبها ترمناش لايثاره الرفاهة والمدعة فكاتب اهل حلب اقستقر
 البرستي صاحب الموصل في تسليمها اليه فسار اليهم فلما قرب من حلب رحلت
 التفرنج عنها وسلم اهل حلب المدينة والقلعة اليه واستقرت في ملك البرستي مع
 الموصل وغيرها وفي سنة ٥١٩ هـ سنة ١١٢٦ م سار البرستي الى كفرطاب واخذها
 من التفرنج ثم سار الى غزاز وكانت لجوسلين فاجتمعت التفرنج لقتاله واقتلوا فانهزم
 البرستي وقتل من المسلمين خلق كثير

ومما قاله المؤرخون الافرنج في هذه الاحداث انه في سنة ١١٢٢ كبس بلك

ابن اخي ايلغازي جوسلين كنت الرها فاسره ومعه كاليران احد انبائه الاذنين

وغللها وساقهما الى اطراف الجزيرة ولما بلغ خبرها الى بودوين ملك اورشليم سار
 مسرعاً الى الرها ليعزي اهلها ويستنك الاسيرين فاستفزّه كرم اخلاقه واعتماده
 على شجاعته ان يقتحم المخاطر فوقع اسيراً بيدك وصار شريكاً لمن عني بتخليصها
 فحملت النخوة والحمية خمسين رجلاً من ارمينيا على اتقاذ الملك والاميرين فدخلوا
 القلعة متكرين وقتلوا الحامية التي كانت بها ولكن احاط المسلمون بالقلعة واستطاع
 جوسلين ان يفر منها واسرع الى اورشليم فوضع قيوده على قبر المخلص وعاد في
 عسكر من اورشليم والرها لينقذ الملك الاسير ولما انتهى الى انهرات علم ان المسلمين
 دخلوا القلعة وقتلوا الخمسين رجلاً واخذوا الملك الى قلعة حران

واغتتم المصريون فرصة اسر ملك اورشليم فقاتلوا وساروا الى صحراء عسقلان
 قاصدين ان يزجوا الافرنج عن فلسطين واستعد الافرنج للدفاع متقوين بشعب
 ينوي بالتوبة والصوم وقرع الجرس الكبير في اورشليم ايذاناً بالحرب فخرج
 النصارى وعسكرهم لا يتجاوز ثلثة الاف مقاتل واميره اوستاش دي اكران كنت
 سيدا ومدبر المملكة في غيبة الملك وحمل البطريك خشبة الصليب في طليعة العسكر
 ومن ورائه كاهن حامل الحربة التي طعن بها جنب المخلص وكانوا اكتشفوها
 بانطاكية وكان المصريون يحاصرون حينئذ يافا بجزراً وبراً ولما راى اصحاب الاسطول
 الافرنج ابدوا عن الشاطي وتسعرت نار القتال بين العسكرين في البر فظهر النصارى
 وانهزم المصريون وتبع الافرنج اثارهم في صحراء عسقلان الى ان دخلوا اسوار عسقلان
 وعاد الافرنج الى اورشليم مترنمين بالاشيد التسيح والشكر لله واما بودوين الملك
 فاقتدى نفسه بمآل ولما خلى سبيله جمع عسكراً وزحف الى حلب وكان بين امراء المسلمين
 اختلاف ادى الى ان ديس امير العرب وغيره من امراء تلك الزواحي انضموا الى
 الافرنج فضايق بودوين حلب وارشك اهلها ان يستسلموا اليه فتسارع امير الموصل
 لنجدة حلب في عسكر جرار فاضطر بودوين ان يرفع الحصار ويعود الى اورشليم

فشكر ذروه الله على نجاته ثم انتهى اليه ان جيش المسلمين الذي اتى لنبجة حلب قد انتشر في اماره انطاكية فكل باهلها ونهب وحرق قوب راجعاً في نخبة من فرسانه وجنوده فهزم الاعداء من املاك الافرنج ثم هجم طغتكين صاحب دمشق على املاك الافرنج فاسرع بودوين لقتاله فارغم ان ينكص على عقبه الى دمشق وقد بقيت صور كل هذه السنين في يد الخلفاء العلويين اصحاب مصر فاخذها الافرنج من يدهم سنة ١١٢٥ واليك ما قاله المؤرخون المسلمون في ذلك كانت صور في يد الخلفاء العلويين وشرع الفرنج في الجمع واتاهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي الذي بها من قبل المصريين خبر آهجم وعلم ان لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها فارسل الى الامر بذلك فراى ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق وارسل اليه بذلك فملك طغتكين صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم وازلوهم وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقتل الاقوات وسثم من بها القتال وضعت نفوسهم وصار طغتكين الى بايلاس ليقترب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا راوه قريباً منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فارسل طغتكين الى مصر يستجدهم فلم ينجدهم وتمادت الايام واشرف اهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين الفرنج وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون على حمله من اموالهم ورحالهم فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت ابواب المدينة وملكها الفرنج وفارقها اهلها وتفرقوا في البلاد وحملوا ما اطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج على احد منهم ولم يبق الا الضعيف وملك الفرنج البلد في ٢٢ من جمادي الاول سنة ٥١٨ هـ (سنة ١١٢٥ م) وكان فتحه وهناً عظيماً على المسلمين فانه من احصن البلاد وامنعها، والذي قاله المؤرخون الافرنج انه في تلك الاثناء قدم الى شواطئ سورية اسطول بندي اميره دوغ (اي والي) البندقية فانترض

الفرنج قدومه لحصار صور واتي المسلمون من دمشق الى محل قريب من المدينة
 لاجدة اهلها وخرج عسكر مصري من عسقلان فاخرّب بلاد نابلس وهدد اورشليم
 فلم يُبْنِ ذلك عزيمة الفرنج عن الحصار وافترق حيثذ قتل بلك في منبج وكان
 جوسلان هو القاتل له وقد طير خبر قتله الى مدن النصارى وارسل راسه الى
 صور فازداد الافرنج حماسة وحمية فيس الصوريون من الدفاع فاستسلموا الى
 الافرنج بعد حصار خمسة اشهر ونصف فخفقت اعلام ملك اورشليم ودوغ البندقية
 على اسوار صور فدخل اليها الافرنج ظافرين وخرج منها الصوريون في نسايم
 واولادهم صاغرين وانتشر خبر الظفر فسمع صدى التهليل والشكر لله في كل من
 مدن النصارى ولا سيما اورشليم حيث اتمت خفلات باهرة ذكراً لهذا الانتصار
 وشكراً لله عليه

وقد توفي بودوين في ٢١ آب سنة ١١٣٠ وروى سنة ١١٣١ في الثالثة عشرة
 او الرابعة عشرة لملكه اذ استوى على منصة الملك سنة ١١١٨ في عيد اتمصح ودفن
 في كنيسة القيامة وكان متزوجاً بآبنة امير من ارمينيا ورزق منها اربع بنات احدهن
 زوجة فولك دي انجو الذي خلفه والثانية امرأة بيومند امير انطاكية والثالثة اجرة
 ريموند كنت اطرابلس والرابعة ترهبت . وكان تقياً ورعاً هماماً زاد مملكته بغزواته

﴿ عد ٨٢٥ ﴾

﴿ في ملك فولك دي انجو وما كان من الاحداث في ايامه ﴾
 بعد دفن بودوين الثاني اجتمع الروساء والاعيان فاخاروا خليفة له في مملكة
 اورشليم فولك كنت انجو وكان قد حضر الى سورية سنة ١١٢٠ وعاد الى افرنسة
 سنة ١١٢٥ وتزوج بآبنة بودوين الثاني كما مر وتوجه بالطيررك الاورشليمي
 اللاتيني في ١٤ ايلول سنة ١١٣١ وتوفي في ١٣ تشرين الثاني سنة ١١٤٢ ومما كان في
 ايامه ان البرستي الذي كان قد ولي حلب كما مر قتله الباطنية بالموصل وكان مملوكاً

تركياً شجاعاً وكان قد اقام ابنه مسعوداً والياً بحلب فلما قتل ابيه سار الى الموصل
 وملك بها مكان ابيه واستخلف على حلب اميراً اسمه قياز ثم استخلف بعده رجلاً
 اسمه قتلغ واسماء السيرة فخلعه اهل حلب وولوا عليهم سليمان بن عبد الجبار الذي
 كان قد تولى حلب اولاً كما مر وعصى قتلغ في القلعة ولما سمع الفرنج باختلاف
 اهل حلب سار اليهم جوسلين فصانعهو بمال فرحل عنهم ومات مسعود بن البرسقي
 امير الموصل فولى السلطان محمود السلجوقي عماد الدين زنكي على الموصل وما
 يليها فزاد امارته وارسل عسكرياً الى حلب ومعه توقيع السلطان محمود بالاشام فاجاب
 اهل حلب اليه وسير قائد العسكر سليمان بن عبد الجبار وقتلغ الى زنكي فاصح
 بينهما ولم يرد احدهما الى حلب ثم سار عماد الدين زنكي بنفسه الى حلب وملك
 منبج في طريقه واستبشر اهل حلب بتقدمه فرتب امور حلب وسمل عيني قتلغ
 فمات . وكان في دمشق ان مات ططكين ابيها سنة ٥٢٢ هـ سنة ١١٢٩ م وهو
 من مماليك تاش بن الب ارسلان السلجوقي وملك دمشق بعده ابنه تاج الملوك
 نوري (ويروي بوري بالباء، ونوري بالنون) وفي سنة ٥٢٣ هـ سنة ١١٣٠ م سار
 رجل من الاسماعيلية يسمى بهرام الى دمشق ودعا الناس الى مذهبه واعانه طاهر
 بن سعد المزدياني وزير نوري امير دمشق وسلم اليه قلعة بانياس فعظم امره وملك
 عدة حصون بالجبال وجرى بينه وبين اهل وادي التيم مقاتلة قتل بهرام فيها وقام
 مقامه بقلعه بانياس رجل منهم يسمى اسماعيل واقام الوزير في دمشق رجلاً منهم
 ايضاً يسمى ابا الوفا فعظم امره حتى صار الحكم له بدمشق وكاتب الافرنج على ان
 يسلم دمشق اليهم ويسلموا اليه عوضها مدينة صور وانفقوا على ذلك وعلم الامير
 نوري بذلك فقتل وزيره المزدياني وامر بقتل الاسماعيلية الذين بدمشق فثار بهم
 اهل دمشق وقتلوا منهم مائة الف نفر ووصل الفرنج الى المياد وحصروا دمشق
 فلم يظفروا بشيء فرحلوا عنها وخرج نوري بمسكر دمشق في اترهم فقتلوا منهم

عدة كثيرة واما اسماعيل الذي كان بقلعة بانياس فسلم هذه القلعة الى الافرنج
وصار معهم

واما عماد الدين زنكي فكان قد ارسل من حلب يستجد نوري صاحب
دمشق على الافرنج فارسل نوري الى ابنه سونج الذي كان نائباً عن ابيه بحماة يامره
بالمسير الى عماد الدين زنكي فصار اليه فقدر زنكي به وقبض عليه وهب خيامه
واعنته وجماعة من مقدمي عسكره بحلب وسار زنكي الى حماة فلما حلوا من
الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد غدر بصاحبها ايضاً الذي
يسمى قيرخان بن قراجا وقبض عليه واحضره معه الى حمص وامره ان يامر ابنه
وعسكره بتسليم حمص اليه فامرهم فلم يلتفتوا الى امره فلما آيس زنكي منها رحل
عنها عائداً الى الموصل واستحصب سونج وامراء دمشق معه وبذل له نوري صاحب
دمشق مالاً في ابنه فلم يجب الى طلبه

وفي سنة ٥٢٤ هـ سنة ١١٣١ م عاد زنكي من الموصل الى الشام وقصد
حصن الانارب القريب من حلب وكان اهله الافرنج يضايقون اهل حلب وجمع
الافرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا زنكي فرحل عن الانارب وسار الى ملتقاهم
فاقتل الفريقان اشد القتال فانهزم الفرنج وقتل منهم كثيرون واسر بعض فرسانهم
ثم عاد زنكي الى الانارب واخذه عنوة وقتل واسر كل من فيه وخرّب زنكي
حيث الحصن المذكور وبقي خراباً الى الان

وفي سنة ٥٢٦ هـ سنة ١١٣٣ م توفي تاج الملوك نوري صاحب دمشق بسبب
جرح اوقعه به بعض الباطنية وعهد بالملك بعده الى ولده شمس الملوك اسماعيل
ووصى بعمليك واعمالها لولده شمس الدولة محمد ثم استولى محمد على حصن الراس
وحصن اللبوة فكاتبه اخوه اسماعيل في اعادتهما اليه فلم يقبل محمد ذلك فصار اسماعيل
وقفح الحصنين وحصر اخاه محمد بعمليك وملك المدينة وحضر القلعة فسأله محمد في

الصلح فاجابه اليه واعاد اليه بملك واعمالها . وفي سنة ٥٢٧ هـ سنة ١١٣٤ م سار
شمس الملوك اسماعيل على غفلة من الفرنج فملك مدينة بايلاس وقتل واسر من
كان بها من الفرنج ثم سار في هذه السنة الى حماة وهي لعماد الدين زنكي كما
وحصرها فملكها عنوة وطاب اهلها منه الامان فامتهم وملك قلعتهم ايضاً ثم سار
الى شيزر وبها صاحبها من بني منقذ فتهب بلدها وحاصر القلعة فصانعه صاحبها بمال
فماد عنها الى دمشق وبعد عوده وثب عليه بعض مماليك جده طغتكين فضربه
بميف فلم يعمل به قبض على الضارب فقتله وقتل من اقر عنهم والحق بهم اخاه
سويح الذي كان زنكي قد اسره كما مر فعظم ذلك على الناس ونفروا منه

وفي سنة ٥٢٨ هـ سنة ١١٣٥ م سار شمس الملوك الى حصن الشقيق في
وادي التيم وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس هذا العمل وكان الافرنج راضين
عن الضحاك فاخذ شمس الملوك هذا الحصن وعظم ذلك على الفرنج وقصدوا بلاد
هوران وجمع شمس الملوك الجموع وناوشهم ثم اغار على بلادهم من جهة طبرية ووقعت
المدنة بينهم وبينه فعاد الفرنج الى بلادهم . وفي سنة ٥٢٩ هـ سنة ١١٣٦ م اتفق جماعة
على قتل شمس الملوك فقتلوه على غفلة بايعاز امه قيل ان الناس كرهوه لقرط جوره
وظلمه وشكوه الى امه فاتفقت مع من قتله وقيل بل ان امه اتهمت بشخص يقال
له يوسف بن فيروز فاراد شمس الملوك قتل امه فاتفقت مع من قتله ولما قتل ملك
بعده بدمشق اخوه شهاب الدين محمود ولما بلغ زنكي متمل شمس الملوك اسرع الى
دمشق وحصرها وضيق على اهلها فقام برفع الحصار مملوك لطغتكين اسمه معين
الدين آزر واستولى على الامر بسبب ذلك ولما لم ير زنكي مطمعاً في اخذ دمشق
اصطاح مع اهلها ورحل عنها الى بلاده

وفي سنة ٥٣٠ هـ سنة ١١٣٧ م تسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة

حصن وقلعتها فان اصحابها اولاد الامير قيرخان بن قراجا المار ذكره ضجروا من

كثرة تعرض عماد الدين زنكي اليها والى اعمالها فراسلوا شهاب الدين في ان يسلموها اليه ويطيهم عوضها تدمر فاجابهم الى ذلك قسماها واقطعها لمملوك جده معين الدين از المار ذكره فلما راي عسكر زنكي بحلب وحماة خروج حمص الى صاحب دمشق تابعوا الغارات على بلدها فارسل شهاب الدين الى زنكي في الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر زنكي عن حمص ولم يكن ذلك الا لمدة وجيزة فان زنكي نازل حمص سنة ٥٣١ هـ سنة ١١٣٨ م فلم يمكنه معين الدين از من فتحها فرحل عنها الى بعرين وهي للفرنج وضيق عليها فاجتمع الفرنج ليدفعوه عن بعرين وجرى بينهم قتال شديد اخره انهم اتهموا الفرنج ودخول بعضهم الى حصن بعرين فحصر زنكي الحصن وضيق عليه فطلب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعرين وخمسين الف دينار فاجابوه الى ذلك فاطلقتهم وتسلم الحصن وفتح حينئذ المعرة وكفرطاب واخذها من الافرنج

وفي سنة ٥٣٢ هـ سنة ١١٣٩ م سار زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بلبك ذلك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ باياس واطاعه وسار الى حمص فحصرها ثانية ثم رحل عنها الى سلمية بسبب زول الروم على حلب كما سيأتي ثم عاد الى منازل حمص فسلمت اليها المدينة والقلعة وارسل فخطب ام شهاب الدين محمود صاحب دمشق وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك اسماعيل بن نوري كما مر وانما تزوجها طمعا بالاستيلاء على دمشق ولما خاب امه من ذلك اعرض عنها انتهى ملخصاً عن ابن الاثير وابي القداء وابن خلدون

﴿ عدد ٨٢٦ ﴾

﴿ في حملة يوحنا كنانس ملك الروم على سورية ﴾

هاك خلاصة ما قاله المورخون المسلمون في هذه الحملة كان ملك الروم قد

خرج سنة ٥٣١ هـ (سنة ١١٣٨ م) من بلاده متجهزاً فاشتغل بقتال الارمن وصاحب

انطاكية وغيره من الفرنج فلما دخلت سنة ٥٣٧ هـ (سنة ١١٣٩ م) سار الى بزاعة وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان ثم غدر باهلها وقتل فيها واسر وسبي فتنصر قاضيها وقدر اربع مئة نفس من اهلها واقام فيها عشرة ايام ثم رحل عنها بن معه الى حلب ونزل على قويق (نهرها) وزحف اليها وجرى بينه وبين اهلها قتال كثير فقتل من الروم بطريق عظيم القدر عندهم فعادوا خاسرين واقاموا ثلثة ايام ورحلوا الى الأتاب من ملكها وتركوا فيها سبايا بزاعة وتركوا عندهم من الروم من يحنظهم وساروا نحو شيزر فخرج الامير اسوار نائب زنكي بحلب ووقع بمن في الأتاب من الروم واستفك اسرى بزاعة وسباياها وسار ملك الروم الى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا واول صاحب شيزر ابو العساكر بن منقذ الكتاني الى زنكي يستجده فسار زنكي ونزل على الناصي بين حماة وشيزر وكان زنكي وعسكره يشرفون كل يوم على الروم وهم محاصرون شيزر بحيث يراهم الروم واقام ملك الروم محاصرا شيزر اربعة وعشرين يوما ثم رحل عنها من غير ان ينال منها غرضاً وسار زنكي في اثر الروم فظفر بكثير ممن تخلف منهم ومدح الشعراء زنكي بسبب ذلك ومن هذا ما قاله مسلم بن خضر الحموي من ابيات اولها:

بزمك ايها الملك العظيم	تذل لك الصعاب وتستقيم
ومنها الم تر ان كلب الروم لما	تين انه الملك الرحيم
جاء فطبق القلوات خيلاً	كان الجحفل الليل البهيم
حين رميته بك في خميس	تيقن فوت ما امسى يروم
كانك في العجاج شهاب نور	توقد وهو شيطان رجيم

ومن ذكروا هذه الحملة من المؤرخين النصارى دي لاروي في موجز تاريخ

الملك السافل قال في سنة ١١٣٧ عاد الملك يوحنا كومنانس الى مطامعه بالاستيلاء

على انطاكية وكانت هذه الامارة بعد مقتل بيومند الثاني اميرها في حرب مع زنكي قد وقعت في يده ابنة عمرها ثلث سنين اسمها قسطنسا وقد خطبت لريموند ابن كنت بواتيا ولما علم ريموند ان ملك الروم يجهز حملة على انطاكية استجد رئيس عصابة من الارمن وجهز بعض الجنود فلم يجده ذلك نفعاً بل فتح ملك الروم ترسيس وادنه وما جاورها ثم حاصر عين زربه فقاومه اهلهما شديد المناومة ولكن الجيوش ان يستسلموا اليه فامتهم وهزم الارمن من المواضع التي كانت بيدهم وبعد ان استحوذ على كيليكيا كلها خيم على ابواب انطاكية فارباع ريموند صاحبها واستجد فولك ملك اورشليم لكن هذا الملك كان احوج منه الى من ينجده على زنكي امير الموصل وحلب فلم ير ريموند مناصاً من ان يسلم المدينة الى ملك الروم ويقر بسيادته ووعده الملك يوحنا ان يلحق بامارة انطاكية كل ما يأخذه من المسلمين وبعد التوقيع على معاهدة بهذا المعنى خفت اعلام ملك الروم على قلعة انطاكية ومضى الملك يصرف فصل الشتاء في ترسيس

ثم افتتح الملك بعض المدن على القراة وسار الى حلب ومعه امير انطاكية وكنت الرها وكانت حلب محصنة وفيها حامية كثيرة شديدة الباس فوشبوا على الافرنج وردوا مرات فلم توهن عزيمتهم وتعرض الملك نفسه دفعات لتقدي حياته فلم يثن عن عزمه لكنه خشي اخيراً حصول مجاعة في عسكره فارغم ان يرفع الحصار عن حلب ويكتفي باخذه بعض القرى المجاورة لها ويرحل الى شيزر آملاً ان يستعيز عما خسره وقيل ان يعبر العاصي عبره فرسان المسلمين ووشبوا على عسكره فزهم الروم وغرق كثيرون منهم في النهر وعاد البقية الى شيزر واعتصموا بأسوارها يدافعون عن بلدهم مدافعة الابطال فلم يتمكن الروم من فتح المدينة واستحوذوا على بعض ضواحيها فقط وقتلوا سكانها وخاف سكان المدينة فراسلوا الملك يوحنا بالصلح وقدموا له تقادم نفيسة فرحل عنهم الى انطاكية

وقد دخل الملك يوحنا انطاكية باحتفاء عظيم وكان معه امير انطاكية وكنت
 الرها يضبطان عنان جواده فاجله الاهلون اجلال ملكهم وكانت له السلطة المطلقة
 في المدينة على انه سال امير انطاكية ان يقيم فيها حامية من قبله فوجس الامير من
 ذلك وحسبه تحلية للملك عن امارته فلجأ الى حيلة سيئة العاقبة فدرس الى سكان
 المدينة ان يثوروا ويحملوا سلاحهم فعمت الثورة المدينة وتآلب سكانها واخذوا
 يهددون ويصيحون في الاسواق الويل لانطاكية فقد بيعت للروم وهجموا على
 بعض حاشية الملك فقتلوا كثيرين واتبعوا اثر من هرب الى قصر الملك فدعا الملك
 الامراء وقال لهم ارى هذه الجموع لم تتهم ما قصدته وقد نسبوا الي من السوء ما لم
 اتعمده فسيروا وخذوا روع هولاء النافرين واكدوا لهم انني غدا ابين لهم سوء ظنهم
 بي بارتحالي عن انطاكية فاثني من حضر على سداد الملك واصالة رأيه ومضى الامير
 وكنت الرها فطيبوا قلوب النافرين وفي الغد خرج الملك من المدينة وخيم عند
 ابوابها ثم سار الى قسطنطينية وفي قلبه حزازات من اهل انطاكية

فبعد اربع سنين اي سنة ١١٤٢ عاد الى سورية ومعه عمسانويل اصغر ابنائه
 وبلغ الى اسوار انطاكية واستأنف ما كان قد طلبه من ريموند ان يقيم حامية في
 قلعة انطاكية فاجب ريموند الاجابة الى مطلوبه فاعزز الملك الى جنوده ان ينهبوا بلاد
 انطاكية فاندفعوا ينهبون ويقطعون الاشجار ويتلفون الحصاد والثمار ويجرقون المزارع
 والقرى وكان يؤمل ان يستحوذ على انطاكية بهذه الوسيلة السيئة فزاد الناس كرهاً
 له ودار في خلدته ان يسير الى اورشليم ويقضي بها فصل الشتاء فسير رسلاً الى
 فولك ملك اورشليم يستأذنه بان يزور الاماكن المقدسة ويعده بانه يجده على
 اعدائه فلم يثق الملك باخلاص ملك الررم ووجس من دخوله اورشليم فلجابه انه
 يسر بقبوله لكنه يخشى ان التحط الحاصل في بلاده لا يمكنه من تقديم الازودة
 الكافية لجيشه فان شاء ان يحضر بعشرة الاف رجل فقط احتق ببقياه وتكريم

مثنوا فادرك ملك الروم سبب رفض قبوله مع جيشه ولم يشا ان يفصل عن جيشه
 فاعاد رسل ملك اورشليم اليه وارسل اليه معهم هدايا نفيسة وقفل الى كيليكية
 متوقفاً سنوح فرصة لاتمام ما نوي الا انه بينما كان يوماً يروح نفسه بالصيد جرح
 بسهم مسم من جعبته لدى عراكه لاحد الضواري ومات من جرحه في ٨ نيسان سنة
 ١١٤٣ وواصي رؤساء جيشه ان يملكوا بعده ابنه عمانويل المذكور فللكود وعاد الى
 قسطنطينية

وتوفي فولك ملك اورشليم سنة ١١٤٤ وفي رواية اخرى سنة ١١٤٢ وله

ابن بودوين واموري

﴿ عد ٨٢٧ ﴾

❦ في ملك بودوين الثالث على اورشليم واخذ المسلمين الرها ❦

بعد وفاة فولك ملك اورشليم انتخب لخلافته ابنه بودوين وهو الثالث بهذا
 الاسم والخامس من ملوك اورشليم ولم يكن له من العمر عند ارتقائه الى سدة
 الملك الا ثلث عشرة سنة وقد اتى غويليموس استقف صور على حسن اخلاقه وحميد
 صفاته ومن اهم الاحداث في ايامه فتح عماد الدين زنكي صاحب الموصل وحلب
 مدينة الرها قال المؤرخون المسلمون في ذلك في سنة ٥٣٩ هـ (سنة ١١٤٥ م)
 فتح البابك عماد الدين زنكي مدينة الرها من الترنج وفتح غيرها من حصونهم في
 الجزيرة ايضاً وكانت مملكتهم بهذه الديار من قرب ماردين الى الفرات مثل الرها
 وسروج واليرة وغيرها وكانت هذه الاعمال مع غيرها مما هو غرب الفرات
 لجوسلين وكان صاحب راي الترنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة
 والمكر وكان زنكي يعلم انه متى قصد حضرها اجتمع فيها من الترنج من يمنعا
 فتعذر عليه فتحها فاشتغل بديار بكر ليوهم الترنج انه غير قاصد بلادهم فراوا انه
 منشغل بغيرهم فاطمانوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات وبلغ زنكي الخبر فتأدى

في عسكره بالرحيل وان لا يتخلف احد عن الرها في غد يومه فساروا الى الرها
 ونازل زنكي المدينة وقاتل اهلها ثمانية وعشرين يوماً وامر بتقب اسوار المدينة ولج
 في قتالها خوفاً من اجتماع الفرنج والمسير اليه فاخذها عنوة وقهراً وحصر قلعها
 فلكها ايضاً ونهب الناس الاموال وسبوا الزرية وقتلوا الرجال واعجبت المدينة زنكي
 فلم يشا خرابها وامر برد ما اخذ منها وجعل فيها عسكراً بحفظها وتسلم مدينة سروج
 وسائر الاماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات الا البيرة فانه حاصرها ولم
 يقدر ان ياخذها حينئذ (ملخص عن الكامل لابن الاثير)

واليك ما قاله المؤرخون النصارى ملخصاً عن معجم تاريخ الصليبيين بعد وفاة
 جوسلين الاول خلقه في كنية الرها ابنه جوسلين الثاني وكان عاكفاً على ملاذه
 متقاعداً عن الاهتمام بشؤون امارته ترك الاقامة في قصبتها الرها واقام في طوربال
 على عدوة الفرات لاهياً بما يلذ له وكان زنكي هائماً بفتح الرها فخدع جوسلين
 بما ينوي وهاجم الرها بقتة سنة ١١٤٤ واقام عليها الحصار ولم تجدها ارملة فوكل
 ملك اورشليم التي كانت تدبر الملكة لصغر ابنها وكان ريموند امير انطاكية عدواً
 لجوسلين فلم يثاء ان يناصره فانقرده اهل الرها بتناصبة زنكي آمليين ان تجدهم امة
 الفرنج واستروا على ذلك ثمانية وعشرين يوماً فلم يكن منجد ولا معين وفتح
 عسكر زنكي منافذ في اسوار المدينة ودخلوها فقتلوا كثيرين من سكانها رجالاً
 ونساء واطفالاً وشيوخاً ونهبوا بيوتها وكنائسها وجروا اسقفاً ارمياً في شوارعها
 ثم جلدوه وقتلوا الاسقف اللاتيني واكليسسه وارسلوا رؤوس بعض القتلى الى بغداد
 واسروا من بقي من الاهلين وقال ابو الفرج بن العبري في تاريخه السرياني ان اهل
 الرها كباراً وصغاراً حتى الرهبان ايضاً تسارعوا الى اسوار المدينة للذب عنها وكانت
 النساء يحملن الى المحاريرين الحجارة والماء والزاد وعرض زنكي عليهم عند ثقب
 الاسوار والابراج ان يستسلموا اليه فابوا معللين نفوسهم بوصول جوسلين وملك

اورشليم اليهم وكان في اسفل بعض الابراج اخشاب التي زنكي النار فيها فتداعت
 فتسارع السكان الى ذلك المحل ليمنعوا دخول الاعداء منه وختت الاسوار من عدد
 كاف لصد المهاجمين فثقب جنود زنكي السور ودخلوا المدينة فانهمز سكانها الى القلعة
 فلم يفتح لهم الفرنج حراسها الابواب الى ان يرجع رئيسهم الذي كان قد سار للذب عن
 المدينة ولما عاد ازدحم الناس في الباب حتى هلك منهم خلق كثير واصيب الرئيس بسهم
 فمات وبعد ان استحوذ زنكي على المدينة والقلعة امر جنوده ان يعمدوا سيوفهم
 وسمح لبعض السريان والارمن ان يعودوا الى السكنى بالرها واطلق النساء
 والاولاد ولما قتل زنكي سنة ١١٤٧ عند حصاره حصن جمبر اغرى جوسلين
 سكانها النصراني بان يسلموها اليه فدخل اليها وملكها وحاصر قلعتها فدهمه نور الدين
 بن زنكي من حلب في عسكر جرار وارغمه على ترك الرها ونهب المدينة واسر
 اهلها وانهزم بعضهم الى اماكن اخرى واما جوسلين فقبض عليه نور الدين بجيلة
 وسجنه بحلب حيث توفي سنة ١١٤٩ وبذل عمانويل كومنانس ملك الروم مالا
 جزيلا لارملة جوسلين فتخلت له عن طوربال وغيرها من المدن التي بقيت لها
 على عدوة الفرات وراى ملك اورشليم ان لا طاقة له على حفظ كنية الرها
 فارتضى بتركها لملك الروم واحضر ارملة جوسلين الى انطاكية مع اسرات الفرنج
 التي كانت في الرها على ان ملك الروم لم يستطع ايضا ان يبقى لنفسه على الرها
 وهي في وسط املاك المسلمين فامست فريسة لنور الدين ابن زنكي وقد عادت
 الى ملك الولاة المسلمين بعد ان ملكها الافرنج نحواً من نصف قرن

﴿ عدد ٨٢٨ ﴾

— في حملة الصليبيين الثانية على سورية —

في سنة ١١٤٥ سار اسقف جيلة الى البابا اوجانيوس الثالث وهو في فيترو

بايطاليا يلتمس المساعدة لكنيسة المشرق وكان يروي اخبار اخذ المسلمين مدينة الرها

وتنفجر من عينه ينابيع الدموع فانفذ البابا اوجايوس الثالث رسالة الى لويس السابع ملك افرنسة يحضه بها على امداد الافرنج الذين بسورية ومما قاله في هذه الرسالة لا نستطيع ان نقول دون اسف شديد وذرف الدموع السخيفة ان مدينة الرها وقعت في يد الاعداء هي وغيرها من المدن وان رئيس اساقفة الرها قتل واتبعوا به اكبره كاهن وذخائر القديسين اهينت ودرست والحطرح يحف بكيسة الله في المشرق ، فعزم الملك لويس ان يسير الى المشرق وكاشف بقصده بعض الولاة والاعيان فاشاروا عليه ان يستدعي القديس برنردس ويستشيريه فاجابه القديس انه لا يجزم بشي قبل امر البابا له ولما حثه الخبر الروماني على ان يخطب ميثاق لزوم انجاد الافرنج في الاماكن المقدسة اندفع يخطب وصنع الله آيات كثيرة على يده واكثر من الرسائل الى انحاء كثيرة قتالت جموع وافرة العدد وفي واسها الملك لويس السابع ومعه كثيرون من ولاة افرنسة واعيانها وكوزاد ملك المانيا ومعه كثيرون من ولاة مملكته واعيانها ولما بلغ المكان في جيشهما الى ارض مملكة الروم اكثر الملك من بعث الوفود لملقاتهم وكان هولاء الوفود يبالغون في اطرائهم للملكين حتى كان كل سامع من الافرنج يشتمن من هذا الغلو ويميل من سماعه وقد روى اودون دي دويل الذي كان مرافقاً الملك لويس وكتب تاريخ رحلته هذه ان غودفروا اسقف لانكر الذي كان في معية الملك احتدم من كثرة التعظيم للملك يخطب وفود ملك الروم فقاطعهم الحديث قائلاً حسبكم اخواني ما جئتم به تكراراً في مجد الملك وعظمته وحكمته وورعه فهو عالم بنفسه ونحن عالمون به فقالوا الان سريعاً ما تريدون وكان ملك الروم يخشي ان يثل الملكان عرشه فاراد ان يلتقيهما بالترحاب والتجلة ويضمر لهما الخديعة والمكر مقتدياً بجده الكسيس كومانس وابيه يوحنا وقد روى نيقيطا المؤرخ اليوناني (في كتاب تاريخه السنوي ك١ من مجموعة التاريخ البيزنطي الذي طبع في البندقية) اخبار معاملة الروم للملكين لويس وكوزاد

منها ان الملك كوزاد مرض احد انسابه عند مروره بادرته فتركه بها فدخل بعض جنود الروم الى مخدعه فاحرقوه فماد ابن اخي الملك فاحرق الدير الذي حرق به نسيه وجزى المجرمين بما جنت ايديهم وكان الروم يكمنون للافرنج في طرقهم ويتالون من تخلف منهم ولما كان الافرنج يأتون المدن ليمساروا طعاماً كان الروم يوصدون الابواب وكانوا يدلون من اعلى الاسوار جبلاً فيأخذون اولاً ما يتطلبون من الثمن ثم يعطونهم ما يحسن لهم من الخبز او الطعام وكانوا احياناً يأخذون الثمن وينيون عن الاسوار دون ان يعطوهم شيئاً ويخلطون الدقيق احياناً بكاس فيؤذي آكله ولا اعلم ان كان ذلك كله بعلم الملك والذي اعلمه علم اليتيم ان الملك سلك نقوداً زيفاً ليعطاها الفرنج اذا باعوا شيئاً كل هذا من كلام نقيطا المذكور ولما بلغ ملك افرنسة الى قسطنطينية خرج للقائه جميع الشرفاء من الاكابر والشعب وسالوه متذللين ان يتعطف ويزور الملك فهو واجد لرؤيته فسار بعده قليلة من حاشيته فلاقاه الملك بنفسه وعانقه ثم دخلا القصر فجلسا على كرسيين لا يمتاز احدهما عن الاخر واكثر ملك الروم من الملاطفة والمجاملة والوعود وليتها صادقة ثم سار ملك افرنسة ومعه اشرف المملكة الى القصر المدله وكان ملك الروم يادب المآدب الفاخرة له ويصحبه لزيارة كنيسة القديسة صوفيا وغيرها من غرائب القسطنطينية واما كوزاد ملك المانيا فلم يشا ان يحل في قسطنطينية واقتصر ان يقابل عمانويل ملك الروم وكل منهما على جواده مع النسابة بينهما لان عمانويل كان متزوجاً باخت زوجة كوزاد وسار كوزاد في طريق الاماضول قبل ملك افرنسة واصحبه ملك الروم بكتائب من جيشه ليهدوهم الطريق والاولى ان يقال ليظوهم الطريق ويتعدوا بهم ولما بلغوا الى بلاد المسلمين اعلم هولاء الخونة قادة الالمان ان يعدوا زاداً يكفيهم بعض ايام لانهم سوف يعبرون بربة قاحلة ليأخذوهم في طريق اقرب الى قونية المدينة النضرة الفاخرة واقتادوهم في طرق وعرة خشنة ولما لم يبلغوا

غاية سفرهم بعد ايام عتبه الملك كوزاد ولا مهم فتركوا المسكر ليلاً ولم يبق من يهديهم السيل فتوغلوا في بلاد صعبة السالك وليس من يهديهم الى طريق للخروج منها

وروي كثيرون من المؤرخين منهم ابن العبري ان الملك عمانوئيل اخبر سلطان قوية بمسير الفرنج وحسن له اغتيالهم فجمع السلطان جمعاً ودهم الالمانين من كل جهة وهم ناهون تبون لا زاد معهم ولا علف لحيلهم فرجعوا القهقري فقتبهم الاتراك يقولون من تخلف عنهم او عجز عن لحاقهم واقتحم بعض شجعانهم الخطر مدافعين عن الضعفاء ودخلوا في مضيق فاكتفهم الاتراك وقتكوا باوليك الشجمان ومن تصدوا للدفاع عنهم واصاب كوزاد نفسه سهمان وهو بين فرسانه وظل القتلى والجرحى والمرضى على قارعة الطريق وكان جيش الحاربيين من الالمان نحو سبعين الفاً من اتبعهم فلم ينج منهم الا عشرةم وانهمز الملك كوزاد وعاد الى نيقية فالتقى هناك بلويس ملك افرنسة فماتق احدهما الاخر وبكيا وقص كوزاد ما جرى له متحجباً ورافق ملك افرنسة الى افسس وعاد الى قسطنطينية يقيم فيها فصل الشتاء

واما ملك افرنسة وجيشه فساروا في طريق افسس وكانت بينهم وبين الاتراك مناوشات ظهروا بها عليهم الى ان انتهوا الى طريق حجر معلق بين مهاو من جهة وصخور متراكمة من اخرى وكان الجيش الافرنسي مقسوماً الى مقدمة وقلب وساقة وكانت الملكة اليونورا في مقدمة الجيش فلم تشا ان تنظر باقيه ولما تلمصت من ذلك المضيق رات سهلاً رجلاً اسرعت اليه في من معها لتخيم به فوثب الاتراك على قلب الجيش حيث كان الضعفاء والاعزال وجهاز العسكر واعملوا سيوفهم باوليك الضعفاء وكان الملك في ساقة الجيش وسمع الصراخ فاسرع بفرسانه والحلم القتال مع الاتراك فنجوا من بقي من قلب الجيش واستمر الملك والاعداء مشتبكين بالقتال

الى ان اخذ الملك باغصان شجرة من على جواده ورمى بنفسه على صخر وكان يرد
النبال المرشوقة عن بعد بترسه وسيفه عامل بمن دنا منه فاعتدته شجاعته وظلام
الليل ولحق عسكره وهم يكون عليه ثم ساروا نحو سالتالية وهي اضية فكانت
مناوشات بينهم وبين اعدائهم كان الظفر للفرنسيس بها ولكن اخرج الاعداء
القرى في طريقهم فاصابتهم مجاعة ذبحوا فيها خيولهم واعتدوا بلحمها واتهوا بعد
مسيرة اثني عشر يوماً الى اضية وكان سكانها من الروم وهي من املاك ملكهم
فاغلقوا ابواب المدينة ومنعوا الترحج من الدخول اليها فكثرت التدمر بينهم لانهم لم
يتولوا قسطنطينية عند مرورهم بها كما كان راي بعضهم وهو ان ياخذوا اضية
فاقوا واليها يعرض على الملك انه يقدم لهم سفناً يسرون بها الى انطاكية فقبل الملك
ما عرضه الوالي ولكن مرت خمس اسابيع ولم يحضر السفن واخيراً حضر منها ما
لا يكفي لشحن المسكر كله فسار الملك وجماعته بهذه السفن وترك الملك للوالي
مبلغاً عظيماً من المال ليصرفه على المرضى وتسيير جند يصحبون الافرنسيين الى
ان يعبروا كيليكية على انه في غداة سفر الملك رأى الترحج الاتراك مقبلين اليهم
عوضاً عن الجنود الذين وعد الوالي ان يسيرهم ليمدوا الترحج الطريق ويامنوهم به
فدافع الترحج عن نفوسهم مدافعة الاجال اياماً ولكن انهكهم التعب والجوع فسالوا
الوالي ان يسمح لهم بالدخول الى المدينة فاجب وانهم بعض رؤسائهم والله يعلم كم
قتل منهم وهرب وبقي منهم تأييين في كيليكية

واما الملك ومن سار معه الى انطاكية فلما وصلوا اليها نسوا ما اصابهم ولم
يالوا بمن خفقوهم في اضية وعكفوا على الخفلات والملاهي وكانت الملكة اليونورا
حلة ذلك فهي كانت بنت اخي ريموند دي بواتيا امير انطاكية وحبة للقصف واليو
وغير راسخة في الادب وكان ريموند عمها يريد بقاء الملك في انطاكية ليساعده على
فتح حلب فاجابه الملك انه يجب قبل كل شيء ان يبلغ اورشليم ليفي نذره بالحج اليها

فتغير ريموند وجاهر بمقاومة الملك حتى هم ان يفصل الملكة ابنة اخيه عن زوجها
ودرى الملك بذلك فاسرع بالخروج من انطاكية وكان ملك اورشليم واعيانها يخشون
طول اقامة الملك بانطاكية فارسلوا يسألونه ان يجعل مسيره اليهم فمبر الملك سورية
وفونيقي ولم يجب الى سوال كنت اطرابلس ان يمك مدة عنده ليعاونه على
توسيع تخوم ولايته ولما انتهى الملك الى اورشليم خرج لملتقاء الامراء والشعب
والاكليس حاملين سعف النخل والزيتون محيين الملك بالتسايح التي حيي بها المخلص
وطابت القلوب بقدومه وانتش بهم الرجاء والامل ثم بلغ الى هناك كونراد ملك
المانيا متكرراً مع جماعته بيئة حجاج وبعد ان اتم الملكان زيارتهما عقد اجتماع في
عكا شهده الملكان وملك اورشليم وكثيرون من الاساقفة والامراء والاعيان
واتفق رايهم في هذا الاجتماع ان يحاصروا دمشق وعين موعداً لذلك اليوم
الخامس والعشرون من ايار سنة ١١٤٨ في طبريه (ملخص عن كثيرين من المؤرخين
ولا سيما غوليلمس السوري في تاريخ الحرب)

﴿ عد ٨٢٩ ﴾

﴿ في حصار دمشق ﴾

عز المؤرخون المسلمون حصار دمشق الى ملك الالمان فقالوا ما ملخصه في
سنة ٥٤٣ هـ (سنة ١١٤٨ م او سنة ١١٤٩) سار ملك الالمان من بلاده في خلق
كثير وجمع عظيم من الفرنج فلما وصل الى الشام قصده من بها من الفرنج وخدموه
وامتلوا امره فامرهم بالمسير معه الى دمشق ليحصرها ويملكها فساروا معه
وحصروها وكان صاحبها مجير الدين ابق بن محمد بن نوري بن طغتكين وليس له
من الامر شيء وانما الحكم لعين الدين انز مملوك جده طغتكين فجمع العساكر
وحفظ البلد واقام الفرنج يحاصرونه ثم زحفوا بفارسهم وراجلهم فخرج اليهم اهل
البلد والعسكر فقاتلوهم وصبروا لهم وقوي الفرنج وضعف المسلمون فتقدم ملك

الامان حتى نزل بالمدان الاخضر فايقن الناس بانه يملك البلدة وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعوه الى نصرته المسلمين وكف العدو فجمع عساكره وسار الى الشام واستصحب معه اخاه نور الدين محموداً من حلب فنزلوا في حمص وارسل الى الفرنج يهددهم ان لم يرحلوا عن دمشق فكف الفرنج عن القتال فقوي اهل البلد على حفظه واستراحوا من ملازمة الحرب وارسل معين الدين الى الفرنج الغرباء يهددهم بحضور سيف الدين والى فرنج الشام يقول باي عقل تساعدون هؤلاء عاينا وان ملكوا دمشق اخذوا ما بيديكم من البلاد واما انا فان رايت ضعفي عن حفظ دمشق سلمتها الى سيف الدين وان ملك الشام فلا يبقى لكم معه مقام فاجابوه الى التخلي عن ملك الامان وبذل لهم حصن بانياس وحسنوا لملك الامان ترك دمشق فرحل عنها وعاد الى بلاده. هذا ما قاله المؤرخون المسلمون وهم غير عالمين بدخالة الفرنج

واما المؤرخون الفرنج فقالوا ان عساكرهم قصدت دمشق وحاصرتها وان ملك اورشليم كان في طلائع الجيش ومن خلفه نصارى المشرق ومن بعدهم عسكر لويس ملك افرنسة واما ملك المانيا فكان في من جمعهم من عساكره في ساقية الجيش ليحفظ المحارين من وثوب عدو من الورا وصر المسلمون على القتال ببسالة عند عدوة النهر الذي يحترق البساتين ولما راى كوتراد ملك الامان ذلك اسرع بفريق من رجاله الى مقدمة الجيش وانقض على المسلمين كصاعقة فوثب عليه رجل من المسلمين طويل القامة شديد الباس فعاجله ملك الامان بضربة سيف بين العنق والكتف فشقته نصفين فارتاع المسلمون وانهزموا الى المدينة وبقي الافرنج مالكين عدوة النهر وايقن سكان دمشق بعجزهم عن الدفاع وهموا ان يخلوا المدينة والقوا على ابواب المدينة ومداخل الافرنج حجارة ضخمة ليتيسر لهم الفرار بعيالهم واموالهم قبل ان يدركهم الفرنج

وتيقن الافرنج امتلاك المدينة ولم يبق لهم لروسائهم الا بان يعرفوا لمن تكون
الولاية على دمشق بعد فتحها ورجع كنت فلاندرنا على مزاجيه فاخذت الغيرة
اشراف الفرنج في سورية من تفضيله عليهم واخذ بعضهم ياملون على حبط مسعاهم
واشاروا على رؤساء الجيش ان يتركوا موقفهم في البساتين ويرتحلوا الى جهة اخرى
قاحلة والاسوار تجاهها منيعة وورد الخبر بان اميري حلب والموصل قادمان بجيش
جرار وتجد عشرون الف من المسلمين وطلبوا المصاف فلم يخجل الفرنج وملك
افرنسة والمانيا ان يرحلوا عن دمشق الى فلسطين وهناك تحادثوا بان يحاصروا عسقلان
فلم يتفق رايهم على شيء وعاد ملك المانيا الى بلاده خجلاً آسفاً وبقي ملك افرنسة
في اورشليم الى عيد التصح سنة ١١٤٩ ثم عاد الى افرنسة دون ان يصنع شيئاً يذكر
فلم تكن نتيجة صالحة من هذه الحملة بل كان منها اشتداد الضغينة بين ملوك الفرنج
وملك الروم وزيادة قوة المسلمين وجراتهم وذل التصاري ووهن قوتهم وعله
كل ذلك الحسد والطمع واختلاف الاراء الناشء عن ذلك وقد تعزى وناسى
القديس برنردس الذي دعا الناس الى هذه الحملة وغيره من المتورعين بان من
توفوا من اهل هذه الحملة ماتوا في سبيل الله وكفروا عن اناهم واثام غيرهم

﴿ غد ٨٣٠ ﴾

﴿ في اخذ الافرنج مدينة عسقلان ﴾

كانت مدينة عسقلان قد استمرت كل هذه المددات تحت ولاية الخلفاء العلويين
بمصر وكان بقاؤها كذلك وبالآ على الفرنج وعلى ملك اورشليم خاصة اذ لم يكن
حاجز يصد المصريين عن مهاجمة مملكة اورشليم في طريق عسقلان بل كانوا كل
ما شاؤوا يرسلون عسكرياً الى عسقلان فينكل بالفرنج وقد قصدوا الفرنج مرات فلم
يتيسر لهم فتحها الى ان استغنموا فرصة الخلاف بين الوزراء في مصر وشنوا الغارة
عليها فلكوها وقد روى ذلك ابن الاثير في الكامل فقال في تاريخ سنة ٥٤٨ هـ

سنة ١١٥٤ م في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة الظاهر بالله العلوي المصري وكان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون الى ملكها سيلاً وكان للوزراء بمصر الحكم في البلاد والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته وكان الوزراء يرسلون اليها كل سنة من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها فلما كان في هذه السنة ان قتل ابن السلار الوزير واختلفت الالهواء في مصر وولي عباس الوزارة فاغتمم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر اهلها وقاتلوهم قتالاً شديداً وردوا بعض الفرنج الى خيامهم متهوزين وتبعهم اهل البلد اليها فايس الفرنج من فتح المدينة فيناهم على عزم الرحيل اذ قد اتاهم الخبر ان البلد قد وقع بين اهله خلاف لادعاء كل طائفة منهم ان النصر كانت من جهتهم وعظم الخلاف حتى قتل من الفريقين قتلى فطمع الفرنج وعادوا الى حصار المدينة ولم يجدوا من ينصهم فلكوها

وقال المؤرخون الفرنج في ذلك ان عسقلان كانت باباً لملوك مصر يدخلون منه كلما شاءوا الى مملكة اورشليم براً وبحراً وكان هؤلاء الملوك يرسلون كل سنة اليها اموالاً واسلحة ويدفعون ارزاقاً لكثيرين من اهلها فهم بودوين الثالث بان يريح نفسه ومملكته من شر اهل هذه المدينة ويفتح باخذها سيلاً الى مصر فخصن قلعة غزة التي كانت خربة ومهملة وعهد بحراستها الى فرسان الهيكل (وهم جماعة تالبوا في ذلك العصر) وكانت غزة بين عسقلان ومصر وبها محط نجدات ملوك مصر لعسقلان فحاول المصريون ان يملكوا تلك القلعة فلم يتيسر لهم اخذها ولم يبق لهم سبيل الى شن الغارات على بلاد الفرنج او الى انجاد عسقلان الا بالبحر وفي سنة ١١٥٢ م اتى كثيرون من الامراء الذين يدعون حق الولاية على اورشليم في جمع كبير وخيموا في جبل الزيتون فخرج النصارى اليهم وظهروا عليهم وتبعوا اناهم الى الاردن وعاونهم الفرنج من نابلس وغيرها فقتلوا كثيرين وعادوا الى

اورشليم غائين شاكرين لله وحملهم هذا الظفر ان يسيروا الى ضواحي عسقلان
وجناتها فارتاع منهم اهل عسقلان وهربوا الى المدينة فعزم القرنيج ان يحاصروها
ودعا الملك بودوين اكابر القرنيج والقرسان واساقفة اليهودية وفونقي فساروا
وبطريك اورشليم يحمل امامهم خشبة الصليب وحاصروا المدينة براً وبحراً وكان
لبيرار كنت صيدامة اسطول مؤلف من خمس عشرة سفينة واستمر الحصار
شهرين وقدم نحو القصح جمع من الحجاج خفل في عكا ويافا فاستجدهم الملك فاسرعوا
الى معسكر النصارى وانضم بعضهم الى جنود جيرار في الاسطول فشدوا الحصار
على عسقلان واتها نجدة في البحر من مصر فلم توهن عزم القرنيج بل ازدادوا حمية
ونخوة وصنعوا برجاً من خشب ارفع من الاسوار فالتقى العسقلانيون ليلاً بين
البرج والسور كثيراً من المواد المحرقة فالحبواها فهب هواء حول المهيّب نحو المدينة
حتى اصبحت حجارة السور كسماً فسقط بعض السور وتسارع فرسان الهيكل
ودخلوا المدينة واقاموا خفراً على الثلثة في السور كيلا يدخل غيرهم فيشاطرهم
الغنيمة والفخر ولما رأى حامية المدينة واهلها عدد الداخلين قليلاً وقد اشتغلوا بالتهب
عن القتال وثبوا بهم قتلوا منهم وهزموا باقيهم وسدوا الثلثة فاستولى الكندر
والاسف على القرنيج وعادوا الى معسكرهم واستدعى الملك والاعيان والاساقفة
للمشاوره فرأى بعضهم الرحيل عن الحصار ورأى غيرهم العود اليه فعادوا في الغداة
الى الحصار واستمر القتال النهار كله وكثر القتلى في الفريقين فطلب العسقلانيون
هدنة لدفن موتاهم ثم طلبوا الصلح على شريطة ان تفتح لهم ابواب المدينة ويباح
لهم الخروج منها واخراج اموالهم واثقالهم مدة ثلاثة ايام فقبل الملك شرطهم وعمل
به فخرجوا واصحبهم الملك بمن يتخفهم الى تخوم مصر ودخل في ١٢ آب سنة ١١٥٤
الملك والبطريك والاساقفة واعيان القرنيج وعسكرهم الى عسقلان (ملخص عن
تاريخ غويلمس الصوري لهذه الحرب)

﴿ عدد ٨٣١ ﴾

﴿ ذكر غير ذلك من الحوادث في أيام بودوين الثالث ﴾

مما ذكره المؤرخون المسلمون في تاريخ سنة ٥٤٤ هـ سنة ١١٥٠ م ان نور الدين محمود بن زنكي غزا بلاد الفرنج من جهة انطاكية وقصد حصن حارم وهو للفرنج فجمع البرنس صاحب انطاكية الفرنج وسار الى نور الدين فاقتلوا فانصر نور الدين وقتل البرنس وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وملك بعد البرنس ابنه جند وهو طفل وزوجت امه برجل اخر وتسمى البرنس ثم ان نور الدين غزا هم غزوة اخرى فهزمهم وقتل فيهم واسر وكان في من اسر البرنس الثاني زوج ام جند فتمكن حينئذ جند في ملك انطاكية

ومما قاله المؤرخون الفرنج ان في ذلك ان ريموند دي بواتيا امير انطاكية هاجم نور الدين بن زنكي على غير روية لان الشجاعة به كانت تتصل الى الجسارة وانهور واصلى الحرب وليس معه الا قبائل من الفرسان ينتظر وصول باقي العسكر فقتل في هذه الحرب وترك ارملة وابنين وبنتين فعني اميريكس بطريك انطاكية اللاتيني بالذب عن البلاد واتى ملك اورشليم لنجدة اهل انطاكية واوقف تادي نور الدين وساطان قونية السلجوقي عن مد سلطانها في بلاد الفرنج

ومما رواه المؤرخون المسلمين في تاريخ سنة ٥٤٩ هـ سنة ١١٥٥ م ان نور الدين محمود بن زنكي اخذ دمشق من صاحبها حينئذ مجير الدين از بن محمد بن نوري بن طغتكين وكان سبب حرصه على ملكها ان الفرنج لما ملكوا عسقلان في السنة السالفة لم يكن نور الدين طريق لاذاحتهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان وقويت شوكة الفرنج بعد ملكهم عسقلان حتى استعرضوا كل مملوك وجارية من النصارى بدمشق فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهراً شاء صاحبه ام ابى وكان لهم على اهلها كل سنة قطيعة ياخذونها منهم فكان رسالهم

يدخلون البلد وياخذونها منهم فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى للمسلمين بالشام مقام فراسل نور الدين مجير الدين واستماله وواصله بالهدايا وظهر له المودة حتى وثق اليه وكاتب من بها من الاحداث واستمالهم فوعده ان يسلموا المدينة اليه وسار نور الدين الى دمشق فراسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا في جمع فارسهم وراجلهم ايرحلوا نور الدين عن دمشق فقبل ان يجتمع لهم ما يريدون تسلم نور الدين البلد فعادوا بخفي خنين لانه لما حاصر نور الدين دمشق ثار الاحداث الذين راسلهم وسلموا البلد اليه ودخل من الباب الشرقي وحصر مجير الدين في القلعة وراسله في تسليمها وبذل له اقطاعاً في جلته مدينة حمص فسلم القلعة اليه وسار الى حمص فاعطاه عوض حمص بالس فلم يرضها مجير الدين وسار عنها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها داراً (عن الكامل لابن الاثير)

وفي سنة ٥٥٢ هـ وهي سنة ١١٥٨ م كان بسورية زلازل كثيرة شديدة خربت كثيراً من البلاد وهلك فيها ما لا يحصى فخرّب منها بالمرّة حماة وشيزر وكفرطاب والمرة وافامية وحمص وحصن الاكراد وعرقا واللاذقية واطرابلس وانطاكية وخربت اماكن كثيرة في باقي البلاد وتهدمت اسوار وقلاع ومما حكاه ابن الاثير في وصف هذا الخراب قوله كان بمدينة حماة معلم للاولاد وذكر انه فارق المكتب وجاءت الزلزلة فخرّبت البلد وسقط المكتب على الصيوان جميعهم فلم يات احد يسال عن صبي كان له في المكتب

وفي سنة ١١٦٢ م سار بودوين الثالث ملك اورشليم الى جهات انطاكية فاصابته حمى شديدة فحملوه الى اطرابلس ثم الى بيروت فتوفي بها في ١٣ من شهر شباط واخذت جثته الى اورشليم فدفنت في مدفن اسلافه الملوك وحزن عليه الفرنج كثيراً لانه كان عادلاً حليماً شجاعاً صبوراً على الاتعاب ورعاً مكرماً لخدمة

الدين مجاً لمادتهم ولم يكن له ولد فخلفه اخوه اموري

✽ ٨٣٢ ✽

✽ في اموري الاول وما كان في ايامه ✽

بعد وفاة بودوين الثاني اختير للملك في اورشليم اخوه اموري ويسمى الماريك
ايضاً وتوج في ١٨ من شهر شباط سنة ١١٦٢ وقد اتى غوليمس استقف صور في
تاريخه على كثير من مناقبه وفضائله ولم يفض على ذكر بعض معائبه ونقائصه ومن
الاحداث في ايامه انه في سنة ٥٥٨ هـ وهي سنة ١١٦٤ م قصد نور الدين بن
زنكي اطرابلس ونزل في البقعة تحت حصن الاكراد فكبسه الفرنج فانهزم منهم الى
بحيرة حمص وتلاحق به من سلم من المسلمين وكان هرب اليه شاور وزير العاضد
لدين الله الخليفة العلوي بمصر واستجده ليعود الى وزارته وبذل لنور الدين ثلث
اموال مصر بعد رزق جندها ان اعاده الى الوزارة فارسل نور الدين شيركوه
بن شاذي احد امرائه ومعه عسكر من سورية وشاور المذكور الى الديار المصرية
فقتلوا ضرغام الذي كان قد تغلب على الوزارة بمصر بعد انهزام شاور واعادوا
شاور الى الوزارة ثم غدر شاور بنور الدين ولم يف له بشي مما وعد فاعاد شيركوه
الى مصر واستولى على بليس واشرقية فاستجد شاور بملك الافرنج على اخراج
شيركوه من البلاد فارسل الملك اموري عسكراً من الفرنج الى مصر واجتمع معهم
شاور بعسكر مصر وحصروا شيركوه ببليس ودام الحصار ثلثة اشهر وحاصر نور
الدين حارم وهي بيد الفرنج واخذ وقتل واسر من الفرنج وكان في جملة الاسرى
البرنس صاحب انطاكية والكت صاحب اطرابلس ولما بلغت هذه الاخبار الفرنج
وهم محاصرون ببليس راسلوا شيركوه في الصلح وفتحوا له فخرج من بليس بمن
معه وعادوا الى سورية ورجع الفرنج ايضاً ثم سار نور الدين الى بانياس وفتحها
وكانت بيد الفرنج من سنة ١١٤٩ الى هذه السنة وفي سنة ١١٦٦ فتح نور الدين

حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج وفي سنة ١١٦٨ جوز نور الدين عسكره وسيره الى مصر مع شيركوه فاستولى على بعض اعمالها وارسل شاور المذكور يستجد الفرنج فساروا في اثر شيركوه الى جهة الصعيد والتقوا على بلد يسمى ايوان فانهزم الفرنج والمصريون واستولى شيركوه على بلاد الجيزة واستغناها ثم سار الى الاسكندرية وملكها وجعل فيها ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب وعاد شيركوه الى جهة الصعيد فاجتمع عسكر مصر والفرنج وحصروا صلاح الدين بالاسكندرية مدة ثلاثة اشهر فسار شيركوه اليهم فاتفقوا على مال يحملونه الى شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية ويعود الى الشام فسلم المصريون الاسكندرية وعاد شيركوه بابن اخيه صلاح الدين المذكور وعسكره واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على ان يكون للفرنج بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار وفي السنة المذكورة قتح نور الدين صافيتا والغربية ويروى والعربية

وفي سنة ١١٦٩ سار شيركوه بعسكر الى مصر وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس قهراً ونهبوها وقتلوا اهلها واسروهم وزلوا على القاهرة وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر القديمة خوفاً من ان يملكها الفرنج وامر اهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تمرقها اربعة وخمسين يوماً فارسل العاضد الخليفة العلوي الى نور الدين يستغيث به وصانع شاور اتفرنج على الف دينار يحملها اليهم وحمل اليهم مائة الف دينار وراهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال فرحلوا وجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وانفق فيهم المال واعطى شيركوه الف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وارسل معه عدة امراء منهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب على كره منه احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهب الملك من بيته وكره

صلاح الدين المير وفيه سعاده وملكه وعسى ان تكرر هو شيئاً وهو خير لكم
وعسى ان تجبوا شيئاً وهو شر لكم ولما قرب شيركوه من مصر رحل الفرنج
الى بلادهم واجتمع شيركوه بالعاقد الخليفة فخلع عليه واجرى عليه وعلى عسكره
الاقامات الوفرة وشرع شاور يماطل شيركوه في انجاز ما وعد من المال لنور الدين
وافراد تلك البلاد له وعزم شاور على ان يعمل دعوة لشيركوه وامراء عسكره
ويقبض عليهم ففعله ابنه الكامل من ذلك وعزم عسكر نور الدين على الفتك بشاور
واتفق على ذلك صلاح الدين وغيره من الامراء فهاهم عن ذلك شيركوه واتفق
ان شاور قصد شيركوه ليزوره على عادته فلم يجده بل لقي صلاح الدين فوثب
صلاح الدين ومن معه على شاور والتوه الى الارض عن فرسه وامسكوه وهرب
اصحابه وسمع العاقد الخليفة بذلك فارسل يطلب من شيركوه انقاذ راس شاور
فقتله وارسل راسه الى العاقد ودخل شيركوه بعد ذلك القصر فخلع عليه العاقد
خلمة الوزارة ولقبه الملك المنصور امير الجيوش وقتل شيركوه بعد ذلك الكامل بن
شاور واستتب له الامر

على ان شيركوه لم يلب الوزاره الا شهرين وخمسة ايام وانه اجله فاحضر العاقد
صلاح الدين وولاه الوزارة وسماه الملك الناصر وثبت قدم صلاح الدين على انه
نائب لنور الدين وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين اباه ايوب واهله فارسلهم
نور الدين اليه واعظاهم صلاح الدين الاقطاعات بمصر وتمكن بالبلاد وضعف امر
الخليفة العاقد وفي سنة ١١٧٠ سار الفرنج الى دمياط وحاصروها وشحنها صلاح
الدين بالرجال والسلاح والذخائر وخرج نور الدين وغار على بلاد الفرنج فاضطروا
ان يرجعوا على اعقابهم ولم يظفروا بشي . وفي سنة ١١٧٢ امر نور الدين صلاح الدين
ان يقطع الخطبة العلوية ويخطب للخليفة العباسي فقطعها صلاح الدين وخطبوا للمستضي
بالله العباسي ثم توفي العاقد الملوي فاستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على

قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه ونقل اهل العاصد الى موضع من القصر واخرج جميع من فيه من عبد وامة فاتقضت بالعاصد دولة العلويين الفاطميين بعد ان قام منهم اربعة عشر خليفة وكان ابتدا خلافتهم سنة ٢٩٦ هـ سنة ٩٠٩ م الى ان انقرضت دولتهم سنة ٥٦٧ هـ سنة ١١٧٢ م فمدة خلافتهم ٢٧١ قرية و ٢٦٣ شمسية وسبعتان من لا يتغير ولا يزول

اما صلاح الدين الايوبي فالأظهر والأصح ما قاله فيه المؤرخون المسلمون قال ابن الاثير ان شيركوه وايوب ابني شاذي اصلهما من الاكراد الروادية وقصدا العراق وخرما بهروز شحنة السلجوقية ببغداد وكان ايوب اكبر من شيركوه فجعله بهروز مستحفظاً لقلعة تكريت ولما انكسر عماد الدين زنكي خدمه ايوب وشيركوه فاحسن اليهما واعطاهما اقطاعات جليلة ولما ملك زنكي قلعة بعلبك جعل ايوب مستحفظاً لها ولما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكي سلم القطعة اليهم على اقطاع كبير شرطوه له وبقي ايوب من اكبر اصراء عسكر دمشق وبقي شيركوه مع نور الدين بن زنكي وارسله الى مصر مرات الى ان تسلم وزارتها وكان ابن اخيه صلاح الدين بن ايوب معه ثم خلفه بعد موته كما وايت

وبعد خلافة صلاح الدين لعمه شيركوه وموت العاصد وقطع الخطبة للعلويين والخطبة للمستضي من العباسيين وارسال الخليفة العباسي الخلع لصلاح الدين والاعلام السوداء شعار العباسيين اظهر صلاح الدين الامتثال لنور الدين وانه يلي مصر من قبله ولكن وقعت بينهما وحشة باطنة فان صلاح الدين ساعد ونازل الشويك وهي للترنج ثم رحل عنه خوفاً من ان ياخذها فلا يبقى ما يعوق نور الدين عن قصد مصر وبلغ ذلك نور الدين فكتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين وجمع صلاح الدين اقاربه وكبراء دولته وقال بلغني ان نور الدين يقصدنا فما الراي فقال عمر ابن اخيه نقاله وتقصده فانكر ايوب ابوه ذلك وقال انا ابوك لو رايت نور الدين

نزلت وقت الارض بين يديه بل اكتب الى نور الدين لو جاءني من عندك انسان واحد وربط المديبل في عنقي وجرتني اليك سارعت الى ذلك واخذ صلاح الدين خلوة وقال له لو قصدنا نور الدين انا كنت اول من يمنعه ولكن اذا اظهرنا نحن كذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما تكون العاقبة واذا اظهرنا له الطاعة تتمادى الوقت بما يحصل ما به الكفاية عند الله فكان كما قال ايوب وفي سنة ٥٦٨ هـ سنة ١١٧٣ م سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا عليها وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك وخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل عن الكرك وارسل تحفا الى نور الدين واعتذر ان اباه مريض ويخشى ان يموت فتذهب مصر فعلم نور الدين مقصده وقبل عذره في الظاهر وكان صلاح الدين واهله خائفين من نور الدين واتفق رايهم على اخذ مملكة غير مصر حتى اذا هزمهم نور الدين عن مصر التجأوا الى تلك المملكة فجهاز صلاح الدين اخاه توران شاه الى اليمن فاستولى عليها واستقرت في ملك صلاح الدين وثار عليه بعض اعيان مصر فعلم بهم وصلبهم عن اخرهم واتفق ان قد توفي نور الدين هذه السنة بدمشق وكان قد شرع يتجهز للدخول الى مصر واخذها من صلاح الدين فاتاه امر الله الذي لا مرد له وهو الذي بنى اسوار مدن الشام مثل دمشق وحمص وحماء وحلب وشيزر وبعبك وغيرها لما تهدمت بالزلزال وقام بدمه ابنه الملك الصالح اسماعيل وعمره احدى عشرة سنة وتولى تدير الملك الامير شمس الدين محمد المعروف بابن المقدم واظهر صلاح الدين الطاعة له انتهى ماخوذاً عن ابي القداء في تاريخ السنين المذكورة

وبعد موت نور الدين قاتى اصحاب الاقطاعات بسورية وهم كل منهم ان

يستبد بعمله ويزيده ما امكن فراسلوا الافرنج وعتدا معهم عهديات على ان يفوهم

جزية ان حاربوا صلاح الدين وحاصر اموري ملك اورشليم بايلاس التي كان نور الدين قد اخذها فاسترضاء الامراء المتولون دمشق بمال وباطلاق بعض الاسرى النصارى فعاد الى اورشليم وبعد ايام توفي بها في ١١ تموز سنة ١١٧٣ م

﴿ عد ٨٣٣ ﴾

﴿ في بودوين الرابع وبعض ما كان في ايامه ﴾

وبعد وفاة اموري الاول ملك اورشليم قام بالملك بعده في ١٥ تموز سنة ١١٧٣ ابنه وسمي بودوين الرابع ولم يكن عمره وقتئذ الا ثلث عشرة سنة وقال فيه غوليمس اسقف صور الذي كان ابوه قد عهد اليه في تربيته وتثقيفه انه كان منذ صغره يعشق المعالي والحق والعدل على انه اعتراه البرص ثم العمى فلم يدبر الملك نفسه واختلف في من يدبر الملك فاختر بعضهم مليون دي بلانسي والي ناحية من بلاد العرب واختر غيرهم ريموند احد اهفاد ريموند دي سان جيل كنت اطرابلس فتغلب هذا وسلم اليه تدبير شؤون المملكة وكان الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين صغيراً ايضاً مقيماً في دمشق يتنازع كثير من الامراء في حاشيته تدبير مملكته واتفق ان شمس الدين ابن الداية المقيم بحلب ارسل يستدعي الملك الصالح بن نور الدين الى حلب ليكون مقامه بها ففسار اليها واخذ سعد الدين كشتكين مدبراً للملك فلما تمكن كشتكين قبض على شمس الدين ابن الداية وعلى غيره من اعيان حلب واستبد بتدبير الملك فخافه ابن المقدم الذي كان يدبر الملك في دمشق واتفق مع غيره من الامراء بدمشق وكتبوا صلاح الدين واستدعوه ليملك عليهم ففسار من مضر في سبع مئة فارس ولما بلغ الى دمشق خرج كل من كان فيها من العسكر والتقوه ونزل بدار والده ايوب المعروفة بدار العقيقي وعصت عليه القلعة وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم اسمه ربحان فاستماله صلاح الدين فسلم القلعة اليه فصعد اليها صلاح الدين واخذ ما فيها من الاموال وبعد ان قرر امر دمشق

واستخلف فيها اخاه سيف الاسلام طغتكين سار الى حمص فلما عصى عليه
 القلعة فترك حولها من يضيق عليها ورحل الى حماه فلما كان بقلعتها الامير عز
 الدين جرديك فامتنع في القلعة فارسل صلاح الدين يقول له ان لا غرض له
 سوى حفظ البلاد للملك الصالح بن نور الدين وانما هو نائبه ويريد ارسال جرديك
 في رسالة له الى حلب وسار جرديك بتلك الرسالة الى حلب واستخلف اخاه في
 قلعة حماه فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كمشكين مدبر الملك وسجنه .
 وعلم اخوه بذلك فسلم القاعة الى صلاح الدين ثم سار صلاح الدين الى حلب
 وحصرها وبها الملك الصالح فاجتمع اهل حلب وقتلوا صلاح الدين وصدوه عن
 المدينة وارسل سعد الدين كمشكين الى سنان مقدم الاسماعيلية اموالاً ليقتلوا صلاح
 الدين فقتلوه دونه واستمر صلاح الدين محاصراً لحلب الى ان نزل الفرنج على حمص
 فسار اليها ورحل الفرنج عنها وملك حينئذ قلعتها التي كانت قد عصت عليه اولاً
 وسار الى بعلبك فلما وارسل الملك الصالح من حلب الى ابن عمه سيف الدين
 غازي صاحب الموصل يستجده على صلاح الدين فجز جيشه صحبة اخيه عز الدين
 مسعود بن مودود بن زنكي فوصل هذا الجيش الى حلب وانضم اليهم عسكر
 حلب وقصدوا صلاح الدين فارسل هو يبذل حمص وحماه وان تقر بيده دمشق
 وان يكون فيها نائباً للملك الصالح فلم يجيوه الى ذلك وساروا الى قتاله واقتلوا
 عند قرون حماه فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم عسكر صلاح الدين اموالهم
 وتبعوهم حتى حصروهم في حلب وقطع حينئذ صلاح الدين خطبة الملك الصالح
 بن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة فراسلوه في الصلح على ان
 يكون له ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقي بيده منه فصالحهم على ذلك
 ورحل عن حلب سنة ٥٧٠ هـ سنة ١١٧٥ م انتهى ملخصاً عن تاريخ ابي الفداء
 (مجلد ٣ صفحة ٥٩ وما يليها)

وما ذكره المورخون الفرنج في هذه الأثناء ان الفرنج غزوا الاعمال الواقعة وراء لبنان بامرة كنت اطرابلس والملك بودوين واتصلوا في الغزوة الاولى الى داريا على خمسة اميال من دمشق ثم غزوا ثانية من صيدا فدخلوا البقاع وبلغوا الى بعلبك التي سماها غوليمس الصوري في تاريخه اميكارا وهو غلط وقد التبس عليه اسم بعلبك باسم تدمر وعادوا الى صيدا غانمين وكانوا يقصدون بهذه الغزوات ايقاف نجاح صلاح الدين الذي كان يتولى على حمص وحماء ومحاول فتح حلب ايضا كما رايت ويعني بتشييد اركان دولة الايوبيين

وفي سنة ٥٧١ هـ سنة ١١٧٦ م كانت وقعة بين صلاح الدين وسيف الدولة غازي المذكور بتل السلطان وكان مع سيف الدولة صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرها فانهزم سيف الدولة ومن معه مرعوبين واستولى صلاح الدين على اثقال عسكرهم وسار الى بزاعة فحصرها وتسلمها والى منبج فحصرها وفتحها عنوة وكان فيها نبال بن حسان المنجي فاسره ثم اطلقه ثم سار صلاح الدين الى اغراز فتسلمها ووثب عليه اسماعيلي فضربه بسكين في راسه فجرحه فاصابك صلاح الدين يدي الاسماعيلي وبقي يضرب بالسكين فلا توثر حتى قتل الاسماعيلي ووثب اخر عليه فقتل ايضا ولما ملك اغراز رحل عنها الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح بن نور الدين وساله اخيرا اهل حلب في الصلح فاجابهم اليه واخرجوا اليه بنتا صغيرة لنور الدين اخت الملك الصالح فاكرمها صلاح الدين واعطاها شيئا كثيرا وقال لها ما تريدين فقالت اريد قلعة اغراز وكانوا قد جاموها ذلك فسلمها اليهم سنة ١١٧٧ واستقر الصلح بين صلاح الدين وبين الملك الصالح وسيف الدولة صاحب الموصل وصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وتماقروا على ان يكونوا كلهم عوناً على الناكث الغادر ورحل صلاح الدين عن حلب وقصد بلد الاسماعيلية فبه وخربه واحرقه وحصر قلعة مصياف فارسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين

الحارمي خال صلاح الدين يسأله ان يسعى في الصلح فسال صلاح الدين الصلح
 عنهم فصالحهم ورحل عنهم وعاد الى مصر بعد ان استقر له ملك الشام وامر ببناء
 السور الدائر على مصر القاهرة والقلمة التي على جبل المقطم ولم يزل العمل بهذا
 السور الى ان مات صلاح الدين (انتهى ملخصاً عن ابن الاثير وابي الفداء في
 تاريخ هذه السنين)

لما عاد صلاح الدين الى مصر غزا الفرنج بعض الاعمال في ناحية انطاكية
 وعلم صلاح الدين بتوجيه عسكرهم الى تلك الناحية فاستنم الفرصة لسطو عليهم
 في فلسطين واليك ما قاله المورخان المذكوران في هذه الحملة في سنة ٥٧٣ هـ سنة
 ١١٧٨ م سار السلطان صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج ووصل
 الى عسقلان فهب وشرق عسكره في الاغارات وبقي السلطان في بعض العسكر
 فلم يشعر الا بالفرنج قد طلعوا عليه فقاتلهم اشد القتال وكان لثقي الدين ابن اخي
 صلاح الدين ولد اسمه احمد من احسن الشباب فاصره ابوه بان يحمل على الفرنج
 فحمل عليهم وقاتلهم واثر فيهم اثراً كثيراً وعاد سالماً وامره ابوه بالعود
 اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل وتمت الهزيمة على المسلمين وقارت حملات الفرنج
 السلطان فضى منهزماً الى مصر في البرية ومعه من سلم فلقوا في طريقهم مشقة وعطشاً
 شديداً وهلك كثير من الدواب واخذ الفرنج من كانوا متفرقين في الاغارات اسرى
 او قتلوهم قال ابن الاثير زابت كتاباً بخط يد صلاح الدين الى اخيه توران شاه
 نائبه بدمشق يذكر له هذه الواقعة وفي اوله :

ذكرتك والخطي (١) يحظر بيننا وقد نهلت (٢) منا المثقنة (٣) السمر
 ويقول فيه لقد اشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله منه الا لامر يريد
 سبحانه وتعالى. وما ثبتت الا وفي نفسها امر

وقال المورخون الفرنج في ذلك سار صلاح الدين الى فلسطين ولما علم ملك اورشليم بذلك سار في من تيسر له جمعه من الفرسان الى عسقلان وبلغ صلاح الدين اليها وخيم في جوارها وراى عسكر المسلمين ان النصارى محاصرون في المدينة ففترقوا للاغارات والغنيمة في السهول فاحرقوا الرملة وخرّبوا عمل اللد وانهزم الاهدون وعظم الرعب في جبل اليهودية حتى اورشليم فخرج المحاربون النصارى وقصدوا عسقلان وتلال الرمل فحجبت عنهم النظر حتى اشرفوا على المحل المنخيم به صلاح الدين واندفعوا للقتال فاستدعى صلاح الدين عسكره المشتت وهيج من كان معه على القتال وكان بودوين الملك في طليعة جنده وامامه خشبة الصليب ولم يكن معه الا ثمانية وخمسة وسبعون فارساً فصبر المصريون على القتال وقتل كثير من ممالك صلاح الدين وحاشيته وتمت الهزيمة على صلاح الدين وذويه فقتب الفرنج ارضهم الى جبل جرار وكان المصريون يلتقون في الطريق دروعهم وخودهم وضايقتهم الجوع والعطش فمات كثير من منهم وغنم الافرنج ما كان في معسكرهم من اثقال وسلاح وخيل وجمال واسروا كثير من كانوا متفرقين وقتلوا كثيرين وانهزم صلاح الدين راكباً هجياً الى مصر وعزا ابو الفرج بن العبري في تاريخه السرياني انقلاب المصريين الى ريح عاصفة هبت في وجوههم وانارت الرمل على عيونهم (انتهى ملخصاً عن غوليمس الصوري في تاريخ الحرب كتاب ٢٠ وبرنردس الخازن في مكتبة الصليبيين وغيرها)

﴿ عدد ٨٣٤ ﴾

﴿ في حروب واحداث اخرى في ايام بودوين الرابع ﴾

بعد ان عاد صلاح الدين مدحوراً الى مصر تقوى الفرنج وساروا من جهة انطاكية وحصروا مدينة حماة وكان توران شاه اخو صلاح الدين ينوب عنه في دمشق وليس عنده كثير من العسكر وكان كثير الانهماك في انذات مائلاً الى

الراحات وكان بمحماه شهاب الدين الحارمي خال صلاح الدين لكنه كان مريضاً وشد
الفرنج الحصار على هذه المدينة وكادوا يلكونها قهراً ولكن جد المسلمون في القتال
واخرجوا الفرنج الى ظاهر السور واقاموا كذلك اربعة ايام ثم رحلوا عن حماه الى
حارم وحاصروها اربعة اشهر فارسل اليهم الملك الصالح صاحب حلب مالا فصالحوه
ورحلوا عن حارم فارسل اليها الملك الصالح عسكراً فسلمها اهلها اليه وكانت
لصلاح الدين واستتاب بها مملوكاً لا يبه اسمه سرخك

وفي سنة ٥٧٤ هـ سنة ١١٧٩ م طاب توران شاه من اخيه السلطان صلاح
الدين بعلبك وكان السلطان قد اعطاها لابن المقدم لما سلمه دمشق كما مر فارسل
الى ابن المقدم ايسلم بعلبك الى اخيه فعصى بها فارسل السلطان وحصره بعلبك
وطال الحصار الى ان اجاب ابن المقدم الى تسليمها بعوض فعوضه السلطان عنها
هذا ما رواه ابو القداء ولم يرد من ذكر العوض الذي ناله ابن المقدم عن بعلبك
وفي السنة المذكورة سير السلطان صلاح الدين ابن اخيه تقي الدين عمر الى
حماه وابن عمه محمد بن شيركوه الى حمص وامرها بحفظ بلادها فاستقر كل منهما
بيده . وفي سنة ٥٧٥ هـ سنة ١١٨٠ م سار صلاح الدين الى الشام وفتح حصناً
كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحران وفي نسخة الاجران وفي الكامل الاخران
بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب وفي ذلك يقول تلي بن محمد الساعاتي الدهشقي
تمين ادي ايمانها وهي تخلف
نصحتكم والنصح للدين واجب ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

يريد صلاح الدين الذي هو يوسف ابن ايوب هذا ما رواه ابو القداء وروى
ابن الاثير الخبر باكثر تفصيل فقال ما ملخصه سار صلاح الدين من دهشق الى
بانياس وبث الغارات على بلاد الفرنج ثم سار الى الحصن وحصره ليخبره ثم يعود
اليه عند اجتماع العساكر فقاتل من به من الفرنج ثم عاد عنه الى بانياس وخيله

متكبراً وعاد صلاح الدين فاخذ الحصن ودكه الى الارض (انتهى ملخصاً عن تاريخ
غوليلمس اسقف صور كتاب ٢١)

وفي سنة ٥٧٧ هـ سنة ١١٨٢ م توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين
بحلب وعمره نحو تسع عشرة سنة بمرض القولنج ولما اشتد عليه وصف له الاطباء
الخرافات ولم يستعمله واوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود
صاحب الموصل فسار اليها وبعد ان استقر في ملكها كاتبه اخوه عماد الدين صاحب
سنجار في ان يعطيه حلب وياخذ سنجار فاجابه الى ذلك فسار عماد الدين الى
حلب وتسلمها وسلم سنجار الى اخيه عز الدين

وفي سنة ٥٧٨ هـ سنة ١١٨٣ م سار السلطان صلاح الدين من مصر الى الشام
ومن عيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرج الاعيان لوداعه وكان كل منهم
يقول شيئاً في الوداع ورافقه اشده معلم بعض اولاده قول الشاعر:

تمتع من شميم عرار (١) نجد فما بعد العشية من عرار

فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه لان ذلك شعر بانه لا يعود الى
مصر وكان كذلك مع طول مدة حياته واغار صلاح الدين في طريقه على بلاد
الفرنج وغنم واجتمع الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه فانهز فرخشاه ابن
اخيه ونائبه بدمشق الفرصة وسار الى الشقيف بعساكر الشام وفتحها واغار على ما
يجاوره من بلاد الفرنج وارسل يبشر عمه السلطان بذلك

وفي السنة المذكورة سار صلاح الدين من دمشق وزل قرب طبرية وشن
الاغارة على بلاد الفرنج مثل بانياس وجنين والقور فغنم وقتل روى ذلك ابو
القاء وقال ابن الاثير وجاء الفرنج وزلوا بطبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن
اخيه الى بيسان فدخلها قهراً وغنم ما فيها واغار على القور فاقدم اهله قتلاً واسراً

تغير على بلاد المدو وارسل جماعة من عسكره مع جالبي الميرة فلم تشعرا الا والفرنج مع ملكهم خرجوا عليهم وعلم صلاح الدين فسار في العساكر مجداً حتى وافاهم وهم في القتال فقاتل الفرنج قتالاً شديداً وكادوا يزيلون المسلمين عن مواقعهم ولكن تغلب المسلمون في اخر الامر وقتلوا من الفرنج مقتلة كثيرة واسروا كثيرين منهم ابن بيرزان صاحب الرملة وابلس وهو اعظم الفرنج محلاً بعد الملك ثم صاحب جيل وصاحب طبرية وغيرهم من كبار فرسانهم ونجا ملكهم وروي ان هذه الواقعة كانت في مرج عيون ثم عاد صلاح الدين من محل المعركة وتجهز لمحاصرة الحصن ونادى بالزحف اليه والجد في قتاله فزحفوا واشتد القتال وكان الفرنج قد اجتمعوا بطبرية فالح المسلمون في قتال الحصن خوفاً من وصول الفرنج اليهم وادركهم الليل فاناموا في حياله . فلما كان الغد تقبوا الحصن وعمتوا القرب واشعلوا النار فيه ليسقط فلم يسقط لانه كان عريضاً تسعة اذرع وعاد التقابون فخرقوا السور والقوا النار فيه فسقط ودخل المسلمون الحصن واسروا كل من فيه واطلقوا من كان به من اسرى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرين من اسرى الفرنج وادخل الباقين الى دمشق ولم يبرح صلاح الدين الحصن حتى هدم وغنا اثره والحقه بالارض

والذي رواه المؤرخون الفرنج ان الملك بودوين بنى سنة ١١٧٨ حصناً على ضفة الاردن في المحل المسمى معبر يعقوب ليصد غزوات العرب وغارات الاعداء وقد سمي هذا المحل بهذا الاسم لانه يظن ان يعقوب عبر الاردن في هذا المحل بعد عوده من ما بين النهرين وسلم الملك هذا الحصن الى فرسان الهيكل وحاصر صلاح الدين الحصن الحديث واغار في مدة الحصار في فريق من عسكره الى نواحي صيدا فكان هناك قتال شديد فظهر المسلمون على الفرنج وقتلوا واسروا كثيرين منهم اوردون دي سان امان رئيس فرسان الهيكل وكان رجلاً شريفاً

وجاءت العرب فاغارت على جنين واللجون وتلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا وسار الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب (كوكبة) فقدم صلاح الدين اليهم وارسل المساكين عليهم يرمونهم بالنشاب فلم يبرحوا ولم يتحركوا لقتاله فامر ابني اخيه تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه فحلا على الفرنج في من معهما فقاتلوا قتالاً شديداً وانحاز الفرنج الى حاميتهم فلما راي صلاح الدين ما قد ائتمن فيهم وفي بلادهم عاد عنهم الى دمشق

وكان صلاح الدين قد امر الاسطول المصري بالبحر الى بيروت فساروا اليها وازلوها وناغروا عليها وعلى بلدها ووافاهم صلاح الدين ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدة ايام وكان عازماً على ملازمتها الى ان يشتمها لكنه خاف اجتماع الفرنج عليه فتركها وعاد الى دمشق

ثم سار صلاح الدين نحو الجزيرة وعبير الفرات من اليرة فاخذ حراز وحصن كيفا والرها والركة وقرقيسيا واستولى على الخابور جميعه وعلى نصيبين وحاصر الموصل ولما راي حصارها يطول رحل عنها الى بسنجار فلما كان في سنة ٥٧٩ هـ سنة ١١٨٤ م اخذ حصن آمد بعد حصار وقتال ثم عاد الى الشام وقصد تل خالد من اعمال حلب وملكه ثم سار الى عنتاب فحاصرها وملكها ثم سار الى حلب وبها صاحبها عماد الدين زنكي المار ذكره وطال الحصار وكان امراء حلب وعسكرها قد اكثروا من الاقتراحات عليه وقد ضجر من ذلك وكره حلب فسلها الى السلطان صلاح الدين على شرط ان يعوض عنها بسنجار ونصيبين والخابور والركة وسروج واتفقا على ذلك وسلم حلب الى صلاح الدين وكان اهلهما ينادون عليه يا حمار بعت حلب بسنجار وشرط السلطان عليه ان يحضر بنفسه وعسكره اذا استدعاه ولا يتحج بحجة وكان فتحه حلب في شهر صفر ومن الاتفاقات العجيبة ان محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح السلطان بتصيدة قال فيها :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
فوافق فتوح القدس في رجب سنة ٥٨٣ هـ سنة ١١٨٨ م كما ستري. ولما ملك
السلطان حلب ارسل الى حارم وبها سرخك الذي كان الملك الصالح قد ولاد اياها
وجرت بينهما مراسلات فلم ينظم بينهما حال. وكاتب سرخك الفرنج فوثب عليه
اهل التلمة وقبضوا عليه وسلموا حارم الى صلاح الدين وهو بعد ان قرر امور
حلب وما جاورها وجعل في حلب ولده الملك الظاهر غازي عاد الى دمشق ظافراً
غانماً وقد دانت له مصر وبلاد العرب والجزيرة والقسم الاكبر من سورية ولم
يبق من يخافه الا الفرنج محصورين في وسط املاكه وله اسطول في شواطئ مصر
(انتهى ملخصاً عن ابن الاثير في الكامل وابي اتمدء في تاريخه)

✽ عد ٨٣٥ ✽

حـ في سوء حال الفرنج في هذه المدة ✽

قد عرفت مما مر ما الت اليه حال السلطان صلاح الدين من العظمة والمهابه
وانبساط ملكه واستفحال امره. واما الفرنج فكانوا حينئذ في اسوأ حال لان الملك
بودوين الرابع كان مريضاً بالبرص وقد اشتد مرضه حتى لم يعد يستطيع حراكاً وامسى
اعى واصابته حمى وهو بالناصرة واستمر متردداً في النخلي عن الملك فاختر بحضرة
اشراف مملكته والملكة امه وهرقل بطريك اورشليم كوي لوستيان كنت يافا
وعسقلان مدبراً لملكه وكان متزوجاً بسبيلا بنت اخيه الملك اموري وابقى الملك
لنفسه السطة الملكية والحق على استيفاء عشرة الاف ريال من ذهب على انه راي
بعد مدة ان كوي ليس اهلاً لتدبير المملكة وقد اسخطه بعض اعماله فخله من
المنصب الذي كان قد عهد اليه به ورغب في ان لا يكون له امل في الخلافة له
بعد موته فخلى عن الملك لابن اخته سبيلا المذكورة وسماه بودوين الخامس وتوجه
باختقال وكانت اخته المذكورة قد تزوجت اولاً بالمرکيز دي مونتى فرانا فرزقت

منه هذا الولد وتزوجت ثانية بكوي دي لوسنيان وليكن لم يكن عمر هذا الملك الحديث حينئذ الا خمس سنين وكال في ٢٠ من شهر تشرين الثاني سنة ١١٨١. فلم يثبت العقلاء نخلع كوي لبناء الملك دون مالك لعجز بودوين الرابع من قبل مرضه وصغر بودوين الخامس فازوى كوي دي لوسنيان في عسقلان وابي الطاعة للملك جهاراً وسمى الملك ريموند كنت اطرابلس مدبراً للملك ابن اخته

وكان الملك يرى ان السلطان صلاح الدين يزداد كل يوم سلطة وعظمة وانبساطاً لملكه فارسل الى المغرب هرقل بطريك اورشليم وارنود رئيس الفرسان الميكليين وروجه رئيس فرسان الاسيغال (جماعة او جمعية اسمت للناية بالحجاج والمرضى منهم) فمضوا اولاً الى فارونا (بايطاليا) حيث كان الحبر الروماني البابا لوشوس وفريدريك ملك المانيا فشرحوا مذبذبين الدموع حالة النصارى الغربيين في سورية والتسوا امدادهم وانجادهم برجال واموال ليقوموا على مناصبة اعدائهم وقالوا ان القبر المقدس وغيره من الكنائس يحف بها الخطر فرثى الملك لهم واشفق عليهم ووعد بانة عند عودته الى المانيا يبدل قصارى جده في امدادهم ومساعدتهم ودفع اليهم البابا رسائل توصية الى ملكي افرنسة وانكترا فبات رئيس الميكليين في فارونا وسار البطريك ورئيس الاسيغاليين الى افرنسة وبلغا الى بريس في ١٥ كانون الثاني سنة ١١٨٥ قبلهما رئيس اساقفة بريس بالترحاب والاجلال ولما عرف الملك فيليب اغوسطس بقدمهما ابدى لهما صنوف التكريم وقدم له مقايح اورشليم وكنيسة القبر المقدس وجمع الملك الاساقفة والاعيان في بريس واصر الاساقفة ان يعطوا في الكنائس محرضين رعاياهم على السفر الى اورشليم واصر عماله كذلك وأشار عليه اعوانه ان لا يسير بنفسه الى اورشليم بل يرسل ملاً وفرساناً وجنوداً نجدة للصليبيين

وسار البطريك ورفيقه الى انكترا وبلغاها في اوائل شباط سنة ١١٨٥ قبلهما

الملك اريكس الثاني بالاكرايم وقدما له الراية الملكية ومفاتيح كنيسة القبر المقدس
 وبرج داود ومدينة اورشليم وسلامه رسالة البابا حيث كان يسط له شرح الخالم
 السيئة التي كانت عليها وقسمت الارض المقدسة وذكر الوافد ان الملك بوعد كان قد ابرزه
 للبحر الروماني وحلف علي ان يسير الى فلسطين وينجد الفرنج كفارة عن سعيه بقتل
 توما استقف كنتبري فوعد الملك بامدادات عظيمة ولكنه اعتذر عن المضي بنفسه
 الى فلسطين والمخ البطريك عليه بالسير حتى بكلام خشن جارح فبقي الملك يعتذر
 فخلق البطريك وهدده بان الله ينتقم منه وراى الملك قد استشاط قد غفقه وقال
 للملك اقتلني كما قتلت اخي توما فخير لي ان تقتلني انت في انكرا من ان يقتلني
 المسلمون في سورية ثم سكن جيش غضبهما واتفقا على ان الملك اريكس يسير الى
 افرنسة فيستشير فيليب ملك افرنسة وسار البطريك بجميته الى نرمنديا وسار ملك
 افرنسة اليها وقد راى الملك ان يمدا الصليبين بمال ورجال على ان الذين ساروا
 من اوربا الى سورية لتجدة اخوانهم في هذه المرة كانوا قليلين وعاد البطريك
 هرقل الى اورشليم حزينا آسفا على انه لم يلق في الغرب حينئذ تلك الحجة التي
 كانت لاهلها قبلا في الذب عن الدين وقد اقم البابا لوشوس لان مسعاه لم يصادف
 النجاح الذي كان يامله فكتب الى السلطان صلاح الدين رسالة يساله بها ان يخلي
 سبيل الاسرى الذين في حوزته من النصارى ولم يبق لنا الايام رسالة البابا هذه
 ولكنها ابقت لنا جواب صلاح الدين للبحر الروماني ذكره رادولف دي ديشاتو
 في كتابه تاريخ الصور صفحة ٦٢١ وباجيوس في تاريخ سنة ١١٨٤ واليك ترجمة
 هذا الجواب عن الافرنسية. من الملك صلاح الدين اعظم ملوك المشرق الى
 سيادة البابا رفعت الينا رسالة قد استكم ونحن نعلم ونوقن ان لكم المحل الاول في
 هذا العالم ونعلم ان الله خويكم المجد والتفخار لتكونوا في العظمة التي اتم عليها ونعرف
 ايضا ان النصارى اجمعين يادونكم الطاعة ويهابونكم وقد قدم لنا هذه الرسالة

سفيركم اوليفيه فيتال فاكرمناه وقابلناه في داخل قصرنا . واجيناه الى كل ما طلبه
 حرمة لكم ولما لكم عندنا من التوقير وقد سررنا كثيراً بكل ما حوته رسالتكم
 وطلبه سفيركم من الصلح مع النصارى وتخليّة سبيل الاسرى فعلى الذين هم لكم
 مطيعون ان يرسلوا الينا من كانوا من رعايانا اسرى عندهم ونحن نرسل اليهم بكل
 طيبة خاطر من كانوا منهم اسرى عندنا وعظمتكم تعلم ان الاسرى الذين عندنا من
 النصارى هم من الاعيان والاشراف وجنودنا الذين اسرهم النصارى هم من
 عامة الناس وسفلة القوم فنحن نتمن ان حسن لديكم الاسرى الذين عندنا والنصارى
 يتمنون الاسرى الذين عندهم ومن نقص له من الثمن يعوض عنه باسرى اخرين
 ويعلم الله انه لما راينا رسالتكم ووفود عظمتكم شملنا سرور لا مزيد عليه وحمدناه
 تعالى لذلك .

وكتب البابا ايضاً الى اخي السلطان صلاح الدين فاجابه برسالة مؤرخة في ٢٦
 ايار سنة ١١٨٤ ومما قاله فيها مترجماً عن الافرنسية : قد علمت من كلام سفيركم
 انكم ترغبون في المحافظة على المعاهدة التي عقدها الملك صلاح الدين مع سائقكم
 اسكندر ذي الذكر المقدس في شان تخليّة الاسرى بين النصارى والمسلمين (يظهر
 من كلام الملك العادل اخي صلاح الدين انه قد كانت معاهدة سابقة بين البابا
 اسكندر والسلطان صلاح الدين) فاذا اراد النصارى الذين في اورشليم وملكهم
 وسكان بلاد صور ان يطيعوا امركم مع جميع النصارى وان يحافظوا بحسب ارادتكم
 على القرار الذي جرى بيننا على الصلح وتخليّة سبيل الاسرى الذين في سجوننا
 فعد نحن ايضاً بان نتمم كل ما ترغبون فيه لتوطيد هذا الصلح ونسأله تعالى ان
 يلمهم ويلهمنا لتضع بنعمته كل ما يكون عائداً لنفع النصارى والمسلمين امين . ذكر
 هذه الرسالة ايضاً من ذكروا الرسالة الاولى

ان الملك بودوين الرابع الابرص توفي سنة ١١٨٥ وترك خليفة له ابن اخته

بودوين الخامس وعمره تسع سنين ولكن توفي سنة ١١٨٦ ودفن في كنيسة القبر
 المقدس وكان اخر ملك دفن فيها فبعد وفاته جمع ريموند كنت اطرابلس اعيان
 المملكة في نابلس وبقي البطريرك ورئيس الهيكلين في اورشليم وقالوا لامرأة
 لوسينان بنت الملك اموري انها يتوجانها ملكة على رغم كل مخالف وارسلوا يقولان
 للاعيان المجتمعين بنابلس ان ياتوا لتكليفها فابوا وارسلوا للبطريرك انهم لا يرضون ان
 تملك عليهم امرأة فاقبلوا ابواب المدينة وسارت سيبيليا الى كنيسة القبر المقدس
 فاخذ البطريرك من الخازن تاجين فوضع احدهما على المذبح والاخر على راس
 سيبيليا ثم قال لها البطريرك مولاتي انت امرأة فينبغي ان يكون معك رجل يدبر
 شؤون المملكة فخذ هذا التاج وتوجي به رجلاً اهلاً لتدبير المملكة فاخذت
 التاج ودعت زوجها لوسينان الواقف امامها وقالت مولاي تقدم الي واقبل هذا
 التاج فاني لا ارى اجدر منك به فثنا امامها فوضعت التاج على راسه فنودي به
 ملكاً وبها ملكة ولما بلغت هذه الاخبار الى مسامع الاعيان المجتمعين بنابلس شق
 ذلك عليهم ولا سيما على بودوين كنت الرملة فقال خرب البلاد فخرام علي ان
 اسكنه ثلث الام بخراجه وانا فيه فاشد ريموند كنت اطرابلس كنت الرملة ان يشفق
 على النصارى وان لا يبرح البلاد ليساعد الاعيان على نجاته الملكة من الاخطار
 المحدقة بها وقال عندنا هنا همفروا دي توروون زوج ايزبال ابنة اموري الثانية فسير
 الى اورشليم وتوجه ملكاً فكل اعيان المملكة محازبون لنا ولا نخشى ان يقاومنا
 المسلمون بل هم يساعدوننا لاني عقدت هدنة معهم فاتفق راي الاعيان على ذلك
 على ان همفروا ابى ان يكون ملكاً وتسارع الى اورشليم فقال للملكة اوثر راحتي
 وحياتي على تاج الملك فاعتم الاعيان ولكن اثر السواد الاعظم منهم الاذعان للملك
 على خراب البلاد وترك كنت الرملة عمله وسار الى انطاكية واقام فيها ومضى ريموند
 كنت اطرابلس فاقام في طبرية التي له من جهة امراته واتفق مع صلاح الدين ان

ينجده اذا مسه لوسينيان بضر فهدته كانت حال الافرنج وصلاح الدين واقف لهم
بالمرصاد (انتهى ملخصاً عن كثيرين من مورخهم)

﴿ عد ٨٣٦ ﴾

﴿ في وقعة حطين الشهيرة ﴾

كان بين الفرنج وصلاح الدين هدنة كما سبقت الاشارة الى ذلك واليك ما
كان بعدها على ما روى المؤرخون المسلمون قالوا في سنة ٥٨٢ هـ وهي سنة ١١٨٧ م
غدر البرنس صاحب الكرك واخذ قافلة عظيمة من المسلمين واسرهم فارسل
السلطان صلاح الدين يطلب منه اطلاقهم بحكم الهدنة فلم يفعل فغدر السلطان انه
ان اظفهره الله به قتله بيده وفي سنة ٥٨٣ هـ سنة ١١٨٨ م جمع السلطان عساكره
وسار بفرقة منها وضائق الكرك خوفاً على الحجاج من صاحبها وارسل فرقة اخرى
مع ولده الملك الافضل فاناروا على بلاد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئاً كثيراً وسار
السلطان وزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة وناخرت القلعة وكانت طبرية
للقومص (الكنت) صاحب اطرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته
فارسل الفرنج القسوس والبطرك يهونه عن موافقة السلطان ويوبخونه فصار معهم
واجتمع الفرنج للملقى السلطان فركب صلاح الدين من طبرية والتقى الجمعان في حطين
واشتد بينهم القتال ولما راي القومص شدة الامر حمل على من قدامه من المسلمين
وكان هناك تقي الدين صاحب حماه فافرج له وعطف عليهم فنجوا القومص ووصل
الى اطرابلس وبقي مدة يسيرة ومات غيباً واحدق المسلمون بالفرنج من كل ناحية
وابادوهم قتلاً واسراً وكان في جملة من اسر ملك الفرنج الكبير والبرنس ارنولد
(ارنولد) صاحب الكرك وصاحب جيبيل وجماعة من السبتارية (جماعة الاسيتاليين)
وما اصيب الفرنج من حين خرجوا الى الشام الى الان بحصية مثل هذه الوقعة
ولما اتقضى المصاف جلس السلطان في خيمته واجلس ملك الفرنج الى جانبه وكان

المرشيداً فسقاه ماءً مثالوجاً فسقى ملك الفرنج منه البرنس انولط صاحب الكرك فقال له السلطان هذا الملعون لم يشرب الماء باذني ووخ البرنس وقرعه على غدره وقصده الحرمين وقام السلطان بنفسه فضرب عنقه فارتعدت فرائص ملك الفرنج فسكن السلطان جاشه وعاد الى طبرية وفتح قلعتها بالامان وهذا ما قاله المؤرخون الفرنج ان رانود دي شاتيلون والي الكرك كان قد غزا العربية قاصداً الحجاز ومكة المكرمة فرد عن غزواته وفي سنة ١١٨٧ اخذ قافلة كانت سائرة من مصر الى بلاد العرب وسجن المسافرين غير مبالٍ بالهدنة التي لم تكن قد انقضت مدتها ولما علم صلاح الدين بذلك ارسل يساله ان يطلق من اسرهم ويهدده بان يعامل النصارى الذين يمرون بارضه معاملته للمسلمين فاجاب رانود تخلياً سبيل السجن ففتح السلطان صلاح الدين وحلف على ان يبني النصارى واعلان انتقاض الهدنة ونذر ان يقتل رانود بيده ان اظفره الله به وجمع عساكره ودخل ارض النصارى في عسكر يزيد على خمسين الف مقاتل وسارت فرقة من جيشه باصرة احد اولاده نحو الناصرة فتسارع سكان القرى الى الناصرة ينادون وصل المسلمون فهلموا للدفاع عن مدينتكم فبب الفرسان الميكيون والاسبتياليون واجتمع مئة وثلاثون فارساً وثلث او اربع مئة راجل وصافوا عسكر المسلمين وكان نحواً من سبعة الاف مقاتل وقال مؤرخو ذلك العصر ان هؤلاء الابطال ابدوا في هذه الحرب آيات البسالة واشوا كثيراً على شجاعتهم وجهادهم ومن امتاز منهم مرشال من الميكيين اسمه يعقوب ماليا فانه كان راكباً جواداً ابيض فقتل ارفاقه وهو صابر يقاتل وحده بين جيشهم والنبال المصوبة اليه يتكسر بعضها على بعض الى ان وقع به جواده فقفز وسيفه بيده ودم جراحه يسيل وهجم على صفوف الاعداء وما برح يقاتل الى اخر نسمة من حياته حتى توهم المسلمون انه الحضر اي القديس جيورجوس وبعد مقتله كرموا جيشه وتبركوا باخذ فلذات من ثيابه وسلاحه ولم

ينج من هذه المعركة الا رئيس الهيكليين وفارسان من فرسانه وكانت هذه
الوقعة اليوم الاول من ايار سنة ١١٨٨

اما لوسينيان ملك اورشليم الذي كان يفكر اولاً بمحاربة ريموند كنت
اطرابلس راى من السداد ان يكتفي بتوحيه وان يعول على رايه وعرف ذلك
ريموند فاقسم على انه نسي كل ما كان له من الاهدآت واتي الى اورشليم فخرج
لوسينيان للقتاه وابدى له عواطف حبه فتعاقبا على مشهد الشعب كله وتصافحا وتخالفا
ان يقاتلا معاً الى المات

وكان عسكر صلاح الدين يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف
مقاتل وحاصر قلعة هذه المدينة وكانت فيها امراة ريموند كنت اطرابلس واجتمع
عسكر النصارى في الجليل في صحراء صفورية وصاروا نحواً من خمسين الف مقاتل
وكان كنت اطرابلس وطبرية من املاكه يرى ان ترك طبرية لصلاح الدين خير من
تعرض عسكر النصارى للهلكة في البرية الحشنة القالحة الواقعة بين طبرية و صفورية
والاولى بالنصارى ان يصدموا المسلمين في هذه البرية وهم بعيدون عن الافودة
والماء من ان يعرضوا نفوسهم للمخاطر بالحروج على المسلمين فخالف بعضهم راي
ريموند هذا واثبتته الملك لوسينيان ولكن ارتأى رئيس الهيكليين بان لا يعمل براى
ريموند لانه خائن وبان يأمر العسكر بالمسير فامر ومار الجيش في الناك
من شهر تموز وبلغوا الى معابر ضيقة حجرة قبل ان يصلوا الى بحر الجليل فالتقاهم
المسلمون هناك والعطش اخذ منهم كل ماخذ والحرب يصليهم وكان كنت اطرابلس في
مقدمة الجيش فارسل يقول للملك ان يسرع ليصل الى شاطي البحيرة فوثب عسكر
صلاح الدين بفته على ساقه عسكر الفرنج فشتوا الهيكليين والاسييتالين الذين
كانوا يجرسون مؤخر العسكر فلم يجسر الملك ان يتقدم الى ما قدام وما عاد يعلم ما
يعمل فامر بضرب ثيامه وسمعه الناس يقول ويلاه ويلاه خرب البلاد وازف

الاجل ولم تبرح رحي الحرب دائرة الى ان اسبل الليل ستاره والتي المسلمون انار
 في المشيم المتراكم هناك فصرف النصارى ليلهم معذنين بالحرق والدخان ورشق السهام
 والجوع والمعطش وفي الغد خرج صلاح الدين من طبرية واوقد نار الحرب على
 النصارى وانحاز الرجالة من الفرنج الى اكمة هناك بدلاً من ان يمضدوا الفرسان
 المجاهدين وصبر الهيكليون والاسيتاليون على القتال في ساقية الجيش ولكن كثر
 العدى عليهم وكانوا في كل ساعة يزيدون عدداً فدعوا الملك لتجديتهم لكنه راي ان
 للرجالة انقطع عليهم طريق العود اليه وانه لم يبق حوله من يذب عنه فاصر ان
 يرفعوا الخيام عساه ان يستطيع ان يوقف وثوب الاعداء عليه وترك كثيرين من
 الجنود صفوفهم واجتمعوا حول خشبة الصليب فخلخلت الصفوف ولما راي كنت
 اطرابلس ما حاق بالملك والفرسان والعسكر من سوء الحال والموقف راي نفسه
 مفرداً والاعداء يحدقون به من كل جهة فاخترق صفوفهم وفتح طريقاً بينهم عبر
 به مع ثلاثه وما برحت النجدات تاتي المسلمين واصاب سهم قاتل اسقف عكا
 الذي كان يحمل خشبة الصليب فترك الخشبة المقدسة الى اسقف اللد ووثب فريق
 من المسلمين على الرجالة الذين كانوا قد انحازوا الى الاكمة فلم يكن منهم غير قتيل
 او اسير ونجا باليان والي نابلس ومن تمكن من الانهزام واطنين الجث وتسارع
 عسكر المسلمين الى المحل الذي كانت فيه خشبة الصليب وملك اورشليم فاخذوا
 هذه الخشبة المقدسة واسروا اسقف اللد وكل من كان معه وقبضوا على الملك
 وغيره من الاعيان وقتل من سلم من الهيكليين والاسيتاليين من القتل او الاسر
 هذا ما رواه راول كونغسهال الذي كان شاهداً لهذه الحرب وقد روى ابن الاثير
 اخبارها كما رويناها عن راول المذكور وهذا ما قاله ابن الاثير في اخذ خشبة الصليب
 واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه
 قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم فكان اخذه عندهم

من اعظم المصائب عندهم وايقنوا بعده بالقتل والهلاك .
وفي الغداة اشخص صلاح الدين الفرسان الميكيين والاسيتالين الذين
اخذوا اسرى فعنا عن رئيس الميكيين لانه برائه عزم الفرنج على مهاجمة السلطان
فكان هذا النصر له وكان حول صلاح الدين جماعة من الامراء والفقهاء فاعز الى
كل منهم ان يقتل فارساً من الفرسان الفرنج فابي بعضهم تورعاً وباقيهم اخذوا
يقتلون اولئك الفرسان وهم مكبلون بالاغلال وقد اقبلوا على الموت بسرور
وبشاشة بل كان بعضهم يلحون بانزال العقاب بهم ويتسابقون على الموت . وفتح صلاح
الدين قلعة طبرية بالامان وارسل امرأة ريموند كنت اطرابلس اليه (انتهى ملخصاً
عن كثيرين منهم ولا سيما ميشود وروهرنج)

﴿ عدد ٨٣٧ ﴾

﴿ في ما فتحه صلاح الدين من بلاد الفرنج بعد وقعة حطين ﴾
هذا ما رواه المؤرخون المسلمون لما فرغ صلاح الدين من طبرية سار الى
عكا وقد صعد اهلها على سورها يظفرون الامتاع فمجب هو والناس من ذلك
بعد ما حل بالفرنج فصمم صلاح الدين على الزحف ليفتح المدينة عنوة اذ خرج
كثير من اهلها يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وخيرهم بين الاقامة والظن
فاختاروا الرحيل وساروا متفرقين وحملوا ما امكنهم حمله من اموالهم وتركوا الباقي
فقتله المسلمون وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه لان المدينة كانت مقصداً للتجار
الفرنج والروم وغيرهم وسلم صلاح الدين البلدان الى ولده الافضل
وفي مدة مقام السلطان بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا
وصفورية ومعليا والشقيف والقولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فلما كوها ونهبوها
واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وارسل تقي الدين ابن اخيه تنزل على تبين
ليقطع الميرة عنها وعن صور وسير حسام الدين عمر بن لاجين في عسكر الى نابلس

فأتى بسببها (السامرة) وبها قبر زكريا فأخذه من أيدي النصارى وسلمه إلى المسلمين ووصل إلى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من بها بالامان وتسلم القلعة وكتب إلى صلاح الدين ابن أخيه عن تبين يقول إن أهلها امتنعوا عليه ويحثه على الوصول إليه فصار إليه وحاصر المدينة وضائقها وهي من القلاع المهمة على جبل ولما اشتد الحصر اطلقوا من عندهم من الأسرى المسلمين فلم يرض السلطان ذلك وبقوا مصرين إلى أن أرغموا على طلب الامان فامتهم ووفى لهم وسار إلى صيدا واجتاز في طريقه إلى صرند فأخذها صفواً عفواً بلا قتال ولما سمع صاحب صيدا بمسيره نحوه رحل عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع قسملها صلاح الدين ساعة وصوله إليها وسار عنها من يومه إلى بيروت وهي أحسن مدن الساحل وازدها واطيها ورأى أهلها قد صعدوا على سورها وأظهروا القوة والجأء وقاتلوا على سورها قتالاً شديداً واعتروا بحصانة بلادهم وبينما الفرنج يقاتلون إذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة وآلامهم من أخبرهم أن المسلمين دخلوا المدينة من جهة أخرى فأسلوا ينظرون ما الخبر وإذا ليس له صحة وأرادوا تسكين من بالمدينة فلم يمكنهم ذلك وخافوا على أنفسهم من الاختلاف الواقع فأسلوا يطلبون الامان فامتهم صلاح الدين على نفوسهم وأموالهم وتسلم المدينة وكانت مدة حصرها ثمانية أيام

وأما جيل فكان صاحبها من جملة الأسرى الذين سيروا إلى دمشق فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جيل على شرط اطلاقه وعرف بذلك صلاح الدين فأحضره مقيداً عنده ولما حضر سلم إلى صلاح الدين حصنه وأطلق الأسرى المسلمين الذين كانوا به فاطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جيل من أعيان الفرنج وأصحاب الرأي والمكر وكان اطلاقه من الأسباب الموهنة

وكان صلاح الدين لما هزم الفرنج بطبرية ارسل يبشر اخاه العادل بمصر
ويامره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر فصارع الى ذلك ونازل حصن مجدل
بابا وحضره وغنم ما فيه وسار منه الى مدينة يافا فحصرها وملكها عنوة ونهبها واسر
الرجال وسبي الحريرم وجرى على اهلها ما لم يجز على احد من تلك البلاد قال ابن
الاثيره كان عندي جارية من يافا وانا بحلب ومعها طفل سقط من يدها فانسأخ
وجبه فبكت عليه كثيرا فاعلمتها ان ليس بولدها ما يوجب البكا فقالت است ابكي
له بل ابكي لما جرى علينا كان لي ستة اخوة هلكوا كلهم وزوج واختان لا اعلم
ما كان منهم هذا من امراة واحدة

وبعد ان ملك صلاح الدين ما ملكه كان امر عسقلان والقدس اهم عنده
لانهما على طريق مصر فيختار اتصال ولاياته ببعضها ليسهل خروج العسكر منها
ودخوله اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيد العظيم له فساد من
بيروت الى عسقلان واجتمع باخيه العادل وازلا عسقلان وملك الفرنج مع صلاح
الدين اسيرا فقال له ان سلمت هذه البلاد الى فلك الامان فارسل الملك الى من
بعسقلان من الفرنج يامرهم بتسليم المدينة فلم يسمعوا امره فلما راي صلاح الدين ذلك جد
في قتال اهل المدينة ونصب المنجنيقات وزحف مرة بعد الاخرى وتقدم النقاون الى
السور وملكهم يكرر المراسلات اليهم وهم لا يجيبون الى ما يقول ولكن راوا انهم
كل يوم يزدادون ضعفا وان لا نجدة لهم ينتظرونها فراسلوا صلاح الدين في تسليم
البلد على شروط اقترحها فاجابهم صلاح الدين اليها وسيرهم صلاح الدين ونساءهم
وولادهم واموالهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان (كل هذا خلاصة ما قاله
ابن الاثير وغيره في هذه الاحداث)

وما قاله المؤرخون الفرنج لا يخالف ما قاله المؤرخون المسلمين فقد روا
ما ملخصه ان صلاح الدين اراد ان يستمر انظف الذي ناله فساد الحال الى عكا

وحصر هذه المدينة يومين فسلمت اليه وغنم ما كان في هذه المدينة الموعبة بسلع
التجارة وما القاه انتصاره من الرعب في القلوب سهل له فتح نابلس واريحا والرملة
وغيرها من المدن كقيصرية وارسوف ويافا وبيروت ولم يبق من مدن ساحل البحر
يد التفرنج الا صور واطرابلس وعسقلان وكان فتح عسقلان اهم عند صلاح الدين
من فتح غيرها من المدن فحاصرها فوجد بها مناعة لم تكن له في الحسبان وقاتله
اهلها شديد القتال وكان قد احضر معه ملك اورشليم فارسيل بشير على اهل المدينة
ان يستسلموا الى صلاح الدين فلا يجديهم دفاعهم فائدة وان يشفقوا على عيالهم
ويجبوا دماء النصارى ولما ضايقتهم صلاح الدين واخذ القباون يحفرون تحت الاسوار
خرجت لجنة منهم فقالت لصلاح الدين لم تقدم اليك جبا بانفسنا بل شفقة على
نساءنا واولادنا فانفع حياة زائلة ونحن نتوقع حياة خيرا منها ولا نضل اليها الا
بالموت فقد اولاك الله النصر على النصارى لكنك لا تدخل ابنة عسقلان ان لم
تشفق على عيالنا وتخلي سبيل ملكنا فكان لهذا الكلام وقع عظيم في قلب صلاح
الدين واجاب الى شروطهم لكنه لم يخل سبيل ملك اورشليم الا بعد سنة (انتهى
مأخضا عن ميشود وروهر بنجر)

﴿ عد ٨٣٨ ﴾

﴿ في فتح صلاح الدين اورشليم ﴾

اليك ما قاله المورخون المسلمون ان صلاح الدين فتح بعد عسقلان الرملة
وغزة والخليل وغيرها وكان قد اخرج من مصر الاسطول الذي بها فاقام في البحر
يقطع الطريق على التفرنج وكل ما راوا مركباً غرقوه ثم سار الى بيت المقدس وكان
به البطرك المعظم عندهم وهو اعظم شائناً من ملكهم وبه ايضاً باليان بن بيرزان
(يسميه التفرنج باليان دي ايبالين) صاحب الرملة ومن خلص من فرسانهم من
حطين وقد جموا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحي وغيرها في القدس وكانوا

كاهم يرون الموت ايسر عليهم من ان يملك المسلمون البيت المقدس ويرون ان بذل
 انفسهم ومالهم بعض ما يجب عليهم في سبيل حفظه وقد حصنوه في تلك الايام
 وصعدوا على سورده وعزموا على المناضلة دونه ولما قرب صلاح الدين من القدس
 تقدم امير من المسلمين في جماعة غير محتاط ولا حذر فلقه جمع من الفرنج فقاتلوه
 وقتلوه وجماعة ممن معه فاهم المسلمين قتله وساروا حتى زلوا على القدس فراوا
 على اسواره ما هالهم وبقي صلاح الدين خمسة ايام يطوف حول المدينة لينظر من
 ان يقائلها وعمد الى جهة الشمال نحو باب عمود او كنيسة صهيون ونصب المنجنيقات
 ورعى بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها واشتد القتال بينهم
 وكل يراه ديناً وحتماً وكان خيالة الفرنج يخرجون كل يوم الى ظاهر البلد يقاتلون
 ويبارزون وحمل المسلمون حملة رجل واحد فازالوا الفرنج عن مواقعهم وادخلوهم
 بلدهم ووصل المسلمون الى الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور فقبوه وزحف الرماة
 يحمونهم والمنجنيقات توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الاسوار ولما رأى الفرنج
 شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي وتمكن التائبين من النقب اجتمع
 مقدموهم يتشاورون في ما ياتون فاتفقوا عليهم على طلب الامان وتسليم المدينة الى
 صلاح الدين وارسلوا جماعة من كبرائهم في طلب الامان فامتنع السلطان من اجابتهم
 وقال لا افعل بكم الا كما فعلتم باهل هذا البلد حين ملكتموه ولما رجع الرسل
 خائين ارسل بالينطان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين
 فاجيب الى ذلك وحضر ورغب في الامان فلم يجبه صلاح الدين اليه واستعطفه فلم
 يعطف واسترحمه فلم يرحم ولما ايس من ذلك قال ايها السلطان اعلم اننا في هذه
 المدينة خلق كثير وانما يفترون عن القتال وجاء انك تجيبهم الى الامان وهم يكرهون
 الموت ويرغبون في الحياة فاذا وانا الموت لا بد منه فوالله لنتلن ابائنا ونساءنا
 ونحرق اموالنا وامتعنا ولا نترككم تغمون منها ديناراً واحداً ولا تسبون وتاسرون

رجالاً ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرها من
المواقع ثم تقتل من عندنا من اسرى المسلمين وهم خمسة الاف اسير ولا نترك
لنا دابة ولا حيواناً الا قتلناه ثم خرجنا عليكم كلنا مقاتلين قتال من يحمي دمه
ونفسه وحيث لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء او نظفر كراماً

ولما سمع صلاح الدين هذا الكلام دعا اصحابه واستشارهم فاجمعوا على اجابتهم
الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا تدري عاقبته فاجاب صلاح الدين
الى بذل الامان للفرنج واستقر ان يؤخذ من الرجل عشرة دنانير غنياً كان ام فقيراً
ومن المرأة خمسة دنانير والطفل ديناران فن ادى ذلك الى اربعين يوماً نجا ومن لم
يؤد ما عليه صار مملوكاً فبذل باليان عن الثغراء ثلاثين الف دينار وسلدت المدينة
ورفعت على اسوارها الاعلام الاسلامية ورتب صلاح الدين على ابوابها امناء من
الامراء ياخذون من كل خارج منها ما فرض عليه فقسم الامناء الاموال وتفرقت
ايدي سبا ولو اديت في ذلك الامانة لملأ الخزان وعم نفعه وادعى جماعة من الامراء
ان جماعة من اقطاعه مقيمون بالقدس فاطلقهم واخذ قطيعتهم وبعضهم كان يلبس
الفرنج ذي المسلمين ويخرجهم وياخذ قطيعتهم واستوهب بعضهم من صلاح الدين
عدداً من الفرنج فوهبهم لهم واخذوا ما عليهم وبالجملة فلم يصل الى خزينته الا القليل
واطلق صلاح الدين ملكة القدس وسارت الى زوجها الذي كان محبوساً بقلعة
نابلس وخرج البطريرك الكبير ومعه من اموال البيع منها الصخرة ولا تصي ما
لا يعلمه الا الله وكان له من المال مثل ذلك وقيل لصلاح الدين ان ياخذ ما معه
ويقوي به المسلمين فقال لا اغدر به ولم ياخذ منه الا عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم
من يحميهم الى مدينة صور

ورد صلاح الدين بعض ابنة القدس الى ما كانت عليه في ايام المسلمين وامر

بتطهير المسجد والصخرة وبعمارة المسجد الاقصى واستفاد الوسع في تحسينه

وترصيفه ومحو ما كان في تلك الابنية من الصور ونقل الى الصخرة المصاحف
الحسنة والربعات الجيدة وباع الفرنج ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم واموالهم بارخص
الاتمان واما النصارى اهل القدس غير الفرنج فطلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم
من الاقامة في مساكنهم وياخذ منهم الجزية فاجابهم الى ذلك (انتهى ملخصاً عن
الكامل لابن الاثير)

واما المؤرخون الفرنج فرووا اخبار فتح صلاح الدين اورشليم كما رويناها عن
المؤرخين المسلمين وقل ما زادوا عليها وما زادوه كان المؤرخون العرب اولى منهم
بذكره فانهم اثنوا على سماحة صلاح الدين وكرم اخلاقه واشفاقه على الفقراء
والمساكين بهذه النازلة من ذلك قولهم ان صلاح الدين عند رؤيته جمعاً من النساء
والاطفال خارجين من القدس يكون والديهم واولادهم وازواجهم الذين قتلوا
او اسروا في وقعة حطين رق لهم ورد الى الامهات اولادهم والى النساء ازواجهن
الذين كانوا بين الاسرى وقد راي ايضاً كثيرين تركوا امتعتهم وحملوا على ظهورهم
بدلاً منها انسابهم او اصحابهم العاجزين عن المشي فراقه عملهم واكثر جوائزهم لهم
وسمح للاسيثاليين ان يبقوا في المدينة للعناية بالزائرين وبمن اقعدهم مرضهم او مانع
اخر عن الرحيل من المدينة ودفع الملك العادل اخو صلاح الدين فدية النبي اسير
فاقتدى به السلطان اخوه وكسر اغلال كثيرين من الفقراء والايتام وقد اشار عليه
بعض المسلمين ان يدك حيثك كنيسة القبر المقدس وسائر الكنائس ليمنع النصارى
من الحج الى القدس او من ان يندرعوا بتكريتها الى الاستيلاء على هذه المدينة فآثر
ان يخالفهم في بقاء الكنائس ولا سيما كنيسة القبر اقتداء بعمر بن الخطاب اذ بقى
هذه الكنائس للنصارى في صدر الاسلام وقال لو تقضنا البناء فلا يبرح النصارى
ميجون الى محلها وتقضها يثير نصارى المشرق فينضمون الى نصارى المغرب وابعاح
النصارى ان يستمروا على زيارتهم لهذه المآبد كما كانوا على شرط ان ياتوا الى القدس

دون صلاح وان يفوا ضريته ما انتهى ملخصاً عن كثيرين منهم

﴿ عدد ٨٣٩ ﴾

﴿ في حصار صلاح الدين لمدينة صور وفتح بعض مدن غيرها ﴾ -
 ان صلاح الدين بعد ان دبر امور القدس سار الى مدينة صور وهذا ما رواه
 المؤرخون المسلمون في ذلك قالوا ان انساناً من الفرنج الذين داخل البحر يقال له
 المراكيش (وهو كوزاد ابن المراكيز دي مونتا فراما السابق ذكره) خرج في البحر
 يمال كثير الزيارة والتجارة وارسى بعكا ولم يكن يعلم ان صلاح الدين اخذها وبلغه
 ان صور ما برحت بيد الفرنج فقصدتها وقد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير ولم
 يكن لهم راس يجمعهم ولا مقدم يقاتل بهم فتقوى نفوسهم وضمن لهم حفظ المدينة
 وبذله ما معه من المال فولوه عليهم وكان شجاعاً بالحروب وقال في حقه ابن الاثير
 « كان من شياطين الانس حسن التدبير والحفظ وله شجاعة عظيمة وشرع في تحصين
 صور فجدد حفر خنادقها وعمل اسوارها وزاد في حصانيتها واتق من بها على
 حفظها والقتال دونها » واتي صلاح الدين الى عكا واقام بها اياماً ولما سمع المراكيش
 بوصوله الى عكا جد في عمل سور للمدينة وعمق خنادقها ووصلها من البحر الى
 البحر من الجانب الاخر حتى صارت المدينة كالجزيرة ورحل صلاح الدين من عكا
 وخيم بجانب صور وقسم القتال على عسكره فكانوا يتأوبون مثل ولده الافضل وولده
 الظاهر واخيه العادل وابن اخيه تقي الدين وكان للفرنج شواني وحرقات يركبون
 بها في البحر جانبي محل القتال فيقاتلون اهل البلد المسلمين من امامهم ويرمي عليهم
 اصحاب الشواني من جانبيهم فكثرت الجراحات والقتل في المسلمين ولم يتمكنوا من
 الدنو من البلد فارسل صلاح الدين عشر شواني جآته من مصر فكانت في البحر
 تمنع شواني اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من
 القرب الى البلد فقاتلوه براً وبحراً وضائقوه حتى كادوا يظفرون بجآء الاقدار

بما لم يكن في الحساب وذلك ان خمس شواني من شواني المسلمين باتت لينة مقابل
 مينا صور لينخوا من الدخول اليها والخروج منها ولما كان السحر ناموا وما شعروا
 الا وشواني الفرنج قد نازاتهم وضايقتهم وقتلوا من ارادوا قتله واخذوا الباقين
 بمرآبهم وادخلوهم مينا صور ورمى جماعة من المسلمين انفسهم من الشواني فنههم
 من مبيح ونجا ومنهم من غرق وامر السلطان الشواني الباقية بالمسير الى بيروت
 لعدم انتفاعه بها لقلتها فسارت وتبعهم شواني الفرنج ولما راي المسلمون الفرنج
 مجدين في طلبهم القوا نفوسهم من شوانيتهم الى البر فنجوا وتقص صلاح الدين هذه
 الشواني وعاد الى مقاتلة صور في البر وكان ذلك قليل الجدوى وفي بعض الايام
 خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين واشتد القتال بين الفريقين ودام الى اخر النهار واسر
 من الفرنج فارس كبير مشهور ولما راي صلاح الدين ان امر صور يطول رحل
 عنها الى عكا (انتهى ملخصاً عن ابن الاثير)

وايك ما قاله المؤرخون الفرنج في ذلك ان صلاح الدين بعد ان فتح كثيراً
 من مدن الفرنج سار الى صور وحاصرها وضايقتها وكاد يملكها لو لم يكن فيها كثراد
 ابن المر كيزدي مونتني فرأنا الذي اسره صلاح الدين في وقعة حطين وكان كثراد
 هذا قد اشهر بحروبه بايطاليا مدافعة عن البابا من اعتداء الملك فريديريك بربا دوسا
 (ذي اللحية الحمراء) ثم سار في كثير من الفرسان الى سورية سنة ١١٨٦ لمحاربة
 المسلمين وعند مروره بقسطنطينية اخمد ثورة على اسحق ملك الروم وقتل رئيس
 العصاة فلقبه الملك بقيصر وزوجه باخته فتركها في قسطنطينية وسار الى فلسطين
 فوجد اهل صور عازمين على ان يستسلموا الى صلاح الدين فتوى قلوبهم وشجعهم
 على القتال وولى امرهم فراسله صلاح الدين بانه يجلي سبيل ابيه ويقطعه ما شاء
 من الاقطاع بسورية اذا فتح له ابواب صور وهدده بان يقتل اياه ان لم يدعن
 لطلبه فاجابه مزدرياً بكل هبة من قبله وان مصالحة النصارى اهم عنده من حياة

ايه واذا قتل المسلمون شيخاً استسلم في الحرب فيفتخر بانه ابن شهيد وبهمة كثراد وشجاعته وتدبيره لم يتمكن صلاح الدين من فتح صور مع بذله كل جده في ذلك وقد تمكن كثراد بعد ذلك ان يخلص والده من الاسر لان اهل صور اسرو احد الامراء المسلمين فاطلقه على شرط اطلاق ابيه وكان كذلك. وكان صلاح الدين عند فتحه تبين كما مر اقام جماعة من جنده على قلعة هونين يمنعون من حمل الميرة اليها فلما كان يحاصر صور ارسل من فيها يطلبون منه الامان فامنهم ونزلوا منها ووفى لهم بامانهم

وكان لما سار الى عسقلان جبل على قلعة كوكب وهي مطلة على الاردن من يحصرها ويحفظ الطريق للمجتازين وسير طائفة اخرى من العسكر الى قلعة صند فحصرها وكان بعض الفرنج قد لجأوا الى هاتين القلعتين عند انكسارهم بحطين ففي ليلة كثر فيها الرعد والبرق والريح والمطر وثب الفرنج على المسلمين المحاصرين قلعة كوكب فقتلوهم جميعاً واخذوا ما كان عندهم من طعام وسلاح وغيره وعادوا الى قلعتهم فتقوا بذلك وامكنهم ان يحفظوا قلعتهم وخير صلاح الدين بذلك فغظم عليه لاخذ شوانيه في صور واضطراره الى الرحيل عنها ورتب على حصن كوكب جماعة اخرى من الجنود فحصرها وفي سنة ٥٨٤ هـ سنة ١١٨٩ م سار صلاح الدين من عكا الى قلعة كوكب فحصرها وازالها وكان يظن ان ملكها سهل فلما راهها منيعة والوصول اليها متعذر سار منها الى دمشق وترك عليها من يستديم حصارها وحصار قلعة صند والكرك لانه كان قد ملك كل البلاد الساحلية من عكا الى الجنوب ما عدا هذه الحصون وكان يود ان لا يبقى في وسطها ما يشغل قلبه اما الكرك فاستمر الملك العادل اخو صلاح الدين محاصراً لها حتى فيت ازواد الفرنج بها واكوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبور مجال فراسلوا الملك العادل يطلبون الامان فامنهم وتسلم القلعة وما يجاورها كالشوبك وغيرها واما قلعة صند فعاد اليها

صلاح الدين بعد غزوته في الشمال وضايق اهلها وفرغ زادهم فارسلوا يطلبون الامان فامنهم وتسلم القلعة وساروا الى صور ثم حاصر قلعة كوكب وصبر الفرنج فيها حتى اخذ النقاون يتقون بسورها فاستسلموا الى صلاح الدين فامنهم وتسلم القلعة منهم وساروا الى صور روى كل ذلك ابن الاثير وقال : اجتمع بصور من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صديد فاشتدت شوكتهم وحمت جمرتهم وآبوا الرسل الى المغرب يستغيثون ويستجدون والامداد كل قليل تاتيهم وكان ذلك بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنابه ندماً وانساً حيث لم ينفعه ذلك

﴿ عدد ٨٤٠ ﴾

﴿ في غزوة صلاح الدين في شمالي سورية ﴾

زروي اخبار هذه الغزوة عن ابن الاثير الذي قال انه كان مع السلطان فيها سار صلاح الدين من دمشق سنة ٥٨٤ هـ سنة ١١٨٩ م وزل على بحيرة قدس غربي حمص وطلب العساكر فاته اولاً رجال عماد الدين زنكي صاحب سنجار ونصيبين والخابور ثم تلاحت الرجال من الموصل والجزيرة وغيرها وسار حتى نزل تحت حصن الاكراد فاقام يومين وسار بكتيبة من الفرسان فدخل الى بلاد الفرنج واغار على صافيتا والعريمة ويحمور حتى وصل الى قريب طرابلس وابصر البلاد وعرف من اين ياتيها واين يسلك منها ثم عاد الى معسكره تحت حصن الاكراد واتاه قاضي جبلة وهو منصور بن تيبيل وكان مسوع الكلبة وله الحرمة الوافدة عند عميد امير انطاكية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها فاستدعى السلطان ليسلم جبلة اليه فسار صلاح الدين معه وزل بانطوطوس (طرطوس) فاخلى الفرنج المدينة واحتموا في برجين حصينين فغرب المسلمون دورهم ومساكنهم ونهبوا ما وجدوا ودكوا احد الحصنين بعد طلب المحاصرين به الامان والقوا حجارته في البحر وترك

صلاح الدين الحصن الاخر محطوراً ورحل الى مرقية وقد اخلاها اهلها وساروا الى المرقب وفيها حصن لا تحدث احداً نفسه بذلك لملوه ومنعته واتفق ان صاحب صقلية من الفرنج سير نجدة في ستين شانية وكانوا بطرابلس ولما سمعوا بمسير صلاح الدين اتوا ووقفوا في البحر تحت المرقب لينعوا من يجتاز بالسهام وكان هناك مضيق لا يسلك الا الواحد بعد الاخر ولما راي ذلك صلاح الدين امر بالطاريقات والجنثيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من اول المضيق الى اخره وجعل وراءها الرماة لينعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن اخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جيلة وتسلمها صلاح الدين وقت وصوله وتحصن الفرنج بتاعتها وما زال قاضي جيلة يخوفهم ويرغبهم حتى استزلهم بالامان

ولما فرغ السلطان من امر جيلة سار عنها الى لاذقية فترك الفرنج المدينة ليعجزهم عن حنظها واحتماو بحصنين على الجبل فدخل المسلمون المدينة وحصروا الحصنين وتقبوا الاسوار وعظم القتال فايقن الفرنج العطب ودخل قاضي جيلة فخوفهم فطلبوا الامان فامنهم صلاح الدين وكان اسطول صقلية الذي تقدم ذكره وصل الى اللاذقية ولما راي تسليم اهلها سريماً حث عليهم وطلب مقدم الاسطول الامان ليحضر عند صلاح الدين فامنه وحضر وقال انك سلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فذلوا فتركهم يكونوا ممالكك وجندك تفتح بهم البلاد وترد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فاجابه صلاح الدين مزدرياً بكل من يجي من البحر وانهم ان خرجوا اذاتهم ما اذاق اصحابهم

وسار صلاح الدين عن لاذقية وقصد قلعة صهيون وهي منيمة شاهقة صعبة المرتقى فحصرها وضائق من فيها وتجدلوا بالقتال ولكن ارغموا اخيراً على طلب الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه اولاً ثم قرروا على انفسهم قطعة كقطعة اهل القدس فتسلم صلاح الدين الحصن فخصه وجعله احصن الحصون ولما ملك

قلعة صهيون تفرق جنده في تلك النواحي فلما حاصروا حصن بالاطنوس وحصن العيد وغيرها

وسار صلاح الدين عن صهيون الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشجر فلما قلعة بكاس ونازل قلعة الشجر فراها منيعة وحصينة ورماتها بالمنجنيقات فلم تصل الحجارة اليها وبقي المسلمون عليها اياماً لا يرون فيها مطمئناً وكان الفرنج الذين بها قد اسلوا يمين امير انطاكية يستمدونه لانهم محصورون فلم يمدهم فسلموا القلعة الى صلاح الدين فاقام بها اميراً اسمه قلعج ورحل عنها الى قلعة برزية وهي تقابل حصن اقاميا (اياميا) وتناصفا في اعمالها وبينهما بحيرة من ماء العاصي وعيون تنبج من الجبل وكانت هذه القلعة منيعة جداً ولا يمكن ان تقاوم من جهة الشمال والجنوب اذ لا يمكن ان يصعد على جبالها من هاتين الجهتين فنصب صلاح الدين عليها المنجنيقات من جهة الغرب فلم يؤثر بها فاصم بالزحف وقسم عسكره ثلاثة اقسام حتى كلما كل قسم استراح وزحف الاخر فاتعب الفرنج النهار كله واخيراً اختلط المتقاتلون ودخلت طائفة من عساكر المسلمين مع الفرنج الى القلعة فلما قتلوا واسروا من فيها

ورحل صلاح الدين الى جسر الحديد الذي على العاصي بالقرب من انطاكية وسار الى قلعة درب ساك ورماتها بالمنجنيقات ثم زحف جنوده اليها وكشفوا الرجال عن سورها ونقبوا برجاً منها فسقط واستمد اهل القلعة يمين فطال الوقت ولم يمدهم فطلبوا الامان من صلاح الدين فامنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بشيبه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث ثم اخرجهم وسيرهم الى انطاكية وسار الى قلعة بفراس وهي بالقرب من انطاكية فحاصرها وضائقها حتى طلب اهلها الامان فامنهم على شرط تأمين اهل درب ساك

وعزم صلاح الدين على حصر انطاكية وخاف يمين من ذلك فارسل الى

السلطان يطلب الهدنة وبديل اطلاق كل اسير مسلم عنده فاستشار صلاح الدين عماله في النواحي وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليمود الجنود ليستريحوا ويجددوا ما يحتاجون اليه واتفق صلاح الدين ويمند على هدنة ثمانية اشهر اولها اول تشرين الاول واخرها اخر ايار واطلق يمند الاسرى المسلمين وكان صاحب انطاكية حينئذ اعظم الفرنج شأناً واكثرهم ملكاً لان الفرنج كانوا قد سلموا اليه طرابلس وجميع اعمالها بعد موت ريمند صاحبها واقام بها ابنه وعاد صلاح الدين الى حلب ثم سار الى دمشق فدخل اول رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر قتال العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقي بيد الفرنج حصون كوكب وصفد والكرك فلا بد من اخذها وسار اليها واخذها كما مر في الفصل السابق

﴿ عد ٨٤١ ﴾

﴿ في حملة الفرنج الثالثة على سورية ﴾

بعد ان ملك صلاح الدين اورشليم سير الفرنج وفوداً كثيرين الى المغرب يستجدون ملوكه ولما بلغت هذه الاخبار المغرب عم الحزن والكآبة سكانه وكان البابا اوربانس الثالث في فراوا (بايطاليا) وكان شيخاً فاخذ الحزن به كل ماخذ حتى مرض ومات في ١٩ تشرين الاول سنة ١١٨٧ وفي ٢١ من الشهر المذكور انتخب البابا غريغوريوس الثامن واهتم للجال بانجاد الفرنج في المشرق وانفذ رسائل الى ملوك المغرب واساقفته يحضهم على اعانة اخوانهم واوفد رسلاً وقصداً الى الممالك يعطون بذلك وسار الى بيزا ليصلح بين اهلها واهل جنوا وكانت هاتان المدينتان حينئذ متوفره فيهما الثروة والقوة مجراً وبراً ولكن دهمته المية هناك في ١٦ كانون الاول تلك السنة فانتخب للكرسي الروماني البابا اكليمنضس الثالث ومذ ارتقائه الى السدة الحبرية العظمى امر بتقديم التضمرعات لله لايقاع السلم والصلح بين ملوك المغرب ولنجاة كنائس المشرق وارسل وفوداً الى الملوك والامراء ودعاة

يدعون الناس الى التجند لانجاد الفرنج في المشرق وكان في جملة هؤلاء الدعاة
استقف اسمه غويليمس قال بعضهم انه غويليمس استقف صور صاحب التاريخ وقال
غيرهم ان صاحب التاريخ كان قد مات من قبل وهذا غويليمس اخر واسند هؤلاء
رايهم الى قول احد مكلمي تاريخ غويليمس الصوري وائاً كان هذا فبعد ان اوقد
نار الفيرة بايطاليا صار الى افرنسة وشهد اجتماعاً التقى به انريكس الثاني ملك انكترا
وفيليبوس اغوستوس ملك افرنسة وكانت بينهما عداوة شديدة فخطب هذا الداعي
خطبة حملت المجتمعين على التفجع واستنزفت الدموع من جميع العيون حتى قام
الملكان المتحاربان وعانق احدهما الاخر وبكيا واتقيا ان يسيرا الى المشرق واخذنا
حينئذ الصليب شعار الصليبيين وتبعهما كثيرون من الامراء والولاة والاعيان واجمع
الامراء والاساقفة على فرض ضريبة سموها عشور صلاح الدين يتختم بها على كل من
لا يسير بهذه الحملة ان يودي عشر مدخوله وعشر قيمة اناثه الى التاجن المقامة لجباية
هذه الفريضة بموجب نظام سنوه لذلك واما ملك انكترا فدعا اغنياء مملكته وامرهم
ان يودوا عشر دخلهم ومن تردد عن ذلك القاه في السجن فنشأ عن ذلك بعض
القلق ثم استؤنفت العداوة بين ملكي انكترا وفرنسة واجتمعا بتحريض الاساقفة
والاعيان في محل الاجتماع الاول فلم يتوافقا الى ان مات انريكس الثاني ملك
انكترا وخلفه ابنه ريشار الملقب بقلب الاسد سنة ١١٨٩ وتذكر بين ابيه على انجاد
نصارى المشرق فجد في التاهب لهذه الحملة فنشأت في الانكيزحمية شديدة لتخليص
الارض المقدسة لكنهم ابتداوا في اضطهاد اليهود فقتلوا جماعاً غفيراً في لندره ويورك
فالحاجة الى المال في هذه الهام واحراز اليهود من ذلك العصر اكثر ثروة البلاد
الساكنين بها كانا يحملان الناس متواثراً على الاستعانة باموالهم لسد الفاقة الماسة
واجتمع ملك افرنسة وملك انكترا وقرروا ان يكون سفرهما بحراً وفرضاً نظاماً
استسير الجنود بمقتضاه وفي جملة منع النساء من السفر الى فلسطين وحلف احدهما

للاخر على حفظ الامانة والصداقة ما دام حيين وقررا ان يسافر ملك افرنسة من جنوا وملك انكترا من مرسيلا فسافر ملك فرنسا من جنوا في ٣٠ اذار سنة ١١٩١ وبلغ الى شواطئ فلسطين في ١٣ نيسان من السنة المذكورة وسافر ريشار ملك انكترا من مرسيلا الى مسينة في صقلية ثم سار من مسينة في ١٣ نيسان من تلك السنة فثار باسطوله عاصف شديد نسف تلك شواني على ساحل لاميسون بقبرص ومن نجا من الفرق وقع على الشاطئ بدهية اقسى من العاصف فان اسحق كومنانس ملك الروم كان هناك وكانت قبرص من املاكه وقد حالف صلاح الدين فقبض على اوليك المساكن عند خروجهم من الماء واقامهم في السجن ليموتوا جوعاً ووصل الى هناك مركب اخر يقل اخت ريشار الملك وخطيبته بنت ملك نافارا فلم يؤذن لهما بالدخول الى المينا واذا قبل الملك ريشار بعودة من شواني اسطوله خالصهما وطلب من ملك الروم اطلاق من سجنهم من الانكايز فابي بل هدد ملك الانكايز بان يعامله كذلك ان وضع رجله في جزيرته فاستشاط ريشار وامر بنزول عساكره الى البر فقتلوا كثيرين من الروم وهزموا الباقين وفي جملة ملك الروم ثم اوقعوا بالروم وقعة اخرى حتى اضطر ملك الروم ان يذعن لكل ما شرطه ملك الانكايز وحلف له يمين الامانة واقر له بملك قبرص ولما مان بينه اسره وكتبه بقيود من فضة وملك الجزيرة كلها ثم سار بجزراً الى سورية فالتقى باحدى شواني المسلمين مشحونة بالرجال والاسلحة والزاد ففرقتها بعد قتال شديد وبلغ الى عكا في ٨ حزيران سنة ١١٩١

واما المانيا فقد تكاثر وفود الفرنج من سورية اليها وارسل الحبر الروماني كثيرين من الرسل والدعاة الى نواحيها وهبت الحمية في اهلها بعد رقدتها واخذ ملكها فريدريك برباروسا (اي الاحمر الحية) يتاهب للمسير الى الارض المقدسة وينتقي نخبة الرجال لمعيته وقام قائد جيشه بجمع الاثين تحت رايته في راينزون

من عيد الميلاد الى نصف الصوم وسار الملك بحاشيته قرب عيد الغصرة سنة ١١٨٩
وقبل مسيره اتخذ وفوداً الى الامراء النصارى والمسلمين الذين سوف يمر ببلادهم
حتى كاتب صلاح الدين وكان قد سبق له مخابرة معه فقال له في رسالته لا اقدر
ان ابقى صديقاً لك ومملوكي نائرة علي ان لم تتخل عن اورشليم وترد خشبة
الصليب فلم يكن جواب صلاح الدين الا اعلاناً للحرب وكاتب ايضاً قليج ارسلان
سلطان قونية وكان اصحابه يقولون انه تابع لبدعة الفلاسفة ويظن في اوربا انه تنصره
وقد حفظت رسالة من البابا اسكندر الثالث يشير عليه بها كيف يتدبر باصر تنصره
وكان ملك الروم قد تزلف الى ملك المانيا فارسلم يخبره بمسيره في عسكره ويقال
ان ملك الروم اتفق حينئذ مع صلاح الدين على محاربة الفرنج . وعند اجتياز
الملك فريدريك بجيشه بالخمسة والمجر لم يلق الا التكريم وتقدمة الازواد لجيشه ولكن
لما بلغ بلغاريا اضطر جيشه ان يسير في الغابات ويتحمل المشاق والدفاع حتى قتل
البلغاريون من تخلف من الجيش او وجدوه مريضاً . ولما بلغ الملك فريدريك الى
فيلسوبولي عرف ان الرسل الذين كان قد ارسلهم الى قسطنطينية طرحوا في السجن
ولم يخل سيولهم الا بعد عدة اسابيع وعند عودهم الى المعسكر اخبروا بما راوا من
عزم الملك اسحق والروم على قطع الطريق على الصاييين فاخذ الملك فريدريك
ادرنه وكاليولي وكل مدن الساحل وطلب من البندقية وانكونا وجنواشواني كبيرة
وصغيرة لحصر قسطنطينية فذل حينئذ ملك الروم وتواضع ووقع على معاهدة بينه
وبين الملك فريدريك واذعن لكل ما طلبه هذا الملك منه وحلف اليمين في كنيسة
القديسة صوفيا هو واعيان مملكته على انه يحفظ كل ما وقع عليه من الشروط وقدم
رهائن الملك المانيا على صحة يمينه لكنه كتب الى صلاح الدين يقول ان حجاج المغرب
اصبوا عاجزين عن المضرة به وانه قطع اجنحة انتصارهم وكان سلطان قونية قد
ارسل رهائن للملك المانيا فامسكهم في قسطنطينية واجتاز الالمانيون البحر عند كاليولي

وبلغوا اللاذقية باسيا الصغرى

وفي سفر الالمانيين من اللاذقية الى قونية رسائل عديدة كتبها من كانوا في ذلك العصر واختار ميشود رسالة كتبها احد المسافرين مع الملك فريدريك الى الحبر الروماني وأثبت ملخصها ومنها يتبين ما قاسوه من المشاق في هذا السفر وما عانوه من الحرب وكانوا فيها ظافرين وما اصابهم من الجوع وحرهم مع قليج ارسلان سلطان قونية واخذهم مدينته ولم يقوا فيها الا يومين وساروا نحو بلاد النصارى فارسل امير ارمينية الى الملك فريدريك وفوداً يستعطفه ويمد بامداده وانجاده له على ان يسيرهم في طرق جبل طورس الوعرة ومضايقه المخوفة بالمخاطر من كل جهة قد انتهكهم واذاهم وانقص عديدهم وبلغوا بشق النفس الى اطراف كيليكيا وخيموا في جانب نهر فقيل ان الملك نزل يستحم به فغرق وقيل وقع في الماء وهو عابر النهر فنشل منه ولا روح فيه فعظم المصاب وعمت الكآبة العسكر عن اخره وتولاهم اليأس فعاد بعضهم الى بلادهم وآه بعضهم في البرية واسف جميع مؤرخي ذلك العصر كل الاسف على وفاة هذا الملك واذهلتهم اسرار العناية الربانية

وسار من بقي من العسكر والحزن ملؤ قلوبهم يحملون جثة من كان يحملهم على الشجاعة والنخوة واختاروا اميراً عليهم فريدريك دوك دي سواب واتقسموا في سيرهم قسمين فريق اخذ طريق انطاكية وبلغوا اليها فاصابهم وباء اهلك كثيرين منهم وفريق سار في طريق حلب فوثب عليهم المسلمون وقتل من نجا منهم حتى ان هذا الجيش الذي سار من اوطانه وهو لا يقل عن مئة الف مقاتل لم يبلغ منه الى فلسطين الا نحو خمسة الاف مقاتل سنة ١١٩٠ واما جثة فريدريك ملكهم فن قائل انها دفنت في انطاكية ومن قائل بل دفنت في صور (انتهى ملخصاً عن كثيرين من مشاهير المؤرخين) واستعظم ابن الاثير حملة الافرنج هذه وشدة همتهم وغيرتهم وتوافر عديدهم وقال في ملك الالمان خاصة ولولا الله تعالى لطف بالمسلمين

واهلك ملك الالمان لما خرج على الشام والا كان يقال ان الشام ومصر كانتا
للمسلمين ، وأثبت ان ملك الروم اخبر صلاح الدين بقدم الالمان ووعدته انه
لا يمكنهم من العبور ببلاده ولما وصل ملكهم عجز عن منعه ووجدت رسالة من
صلاح الدين الى الخليفة ببغداد يتبين منها هلعه وشكواه من كثرة الفرنج الوافدين
في كل يوم الى الشام وقال انه كلما قتل واحدا منهم اتى الف

﴿ عد ١٤٤ ﴾

﴿ في حصار الفرنج عكا ﴾

ان صلاح الدين كان قد اتقى لوسينيان ملك اورشليم مكبلاً بقيوده ولما اخذ
الكرك وحصني كوكب وصفد خلى سبيله بعد ان اكرهه على ان يحلف يمينا بالانجيل
على انه يتخلي عن ملك اورشليم ويسير الى اوروبا فاستفتى لوسينيان العلماء في يمينه
فاقتوه انها لا تازمه لصدورها عن اكراه ولان الحيلة تدفع بحياة ولان صلاح الدين
كان قد حلف لاهل عسقلان ان يطلق ملكهم فلم يطلقه حينئذ وكان صلاح الدين
نفسه يعلم ان ملك اورشليم لا يبرئ يمينه ولم يطلقه الا خوفاً من ان يختار الفرنج
ملكاً اشد باساً منه او لامله ان يختلقوا في اقامة ملك عليهم واتى لوسينيان الى صور
فلم ينشأ كنزاد الذي كان قد حفظها وملكها ان يعرفه ملكاً فطاف لوسينيان في ملكه
يصحبه بعض الامناء له فجهز نحواً من تسعة الاف مقاتل واتى فحاصر عكا وهذا
ما قاله المورخون المسلمون في ذلك في تاريخ سنة ٥٨٥ هـ سنة ١١٩٠ م قد اجتمع
في صور خلق كثير من الفرنج ووصل منهم في البحر عالم لا يحصون كثرة وساروا
الى عكا ونازلوها وضائقوها واحاطوا بسورها من البحر الى البحر ولم يبق للمسلمين
اليها طريق فسار اليهم السلطان صلاح الدين وقاتلهم وحمل تقي الدين عمر صاحب
حماة من مينة السلطان عليهم فازالهم عن موقفهم والتزق بالسور وافتح الطريق
الى المدينة فادخل السلطان عسكرياً اليها نجدة وبقيت الحرب سجالاً ثم صافوا

السلطان وحماوا على قلب جيش المسلمين فازالوه واخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا خيمة السلطان فانحاز الى جانب وانضاف اليه جماعة وعطف على الفرنج الذين خرخوا القلب فافنؤهم قتلاً وكانت قتلاهم نحو عشرة الاف نفس وانهمز بعض المسلمين عند خرق القلب ووصل بعضهم الى طبرية وبعضهم الى دمشق وحصل للسلطان قولنج فاشار عليه الاطباء بالانتقال من ذلك المحل فرحل عن عكا الى الحروبة فتمكن الفرنج من حصر المدينة وانبطوا في تلك الارض ووصل اسطول المسلمين الى عكا وتمكن من ازال عسكر اليها ووصل الملك العادل اخو السلطان بعسكر مصر فتويت قلوب المسلمين

ثم دخلت سنة ٥٨٦ هـ سنة ١١٩١ م وعاد السلطان من الحروبة الى عكا وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة ابراج من خشب وشحنوها بالسلاح والمقاتلين فحبل المسلمون واحرقوا البرج الاول والحقوا به البرجين الاخرين ووصل الى السلطان العساكر من كل البلاد وكان ملك الالمان سار من بلاده بمائة الف مقاتل واهتم المسلمون لذلك وايسوا من الشام بالكلية فسلط الله على الالمان الغلا والوباء فيك اكثرهم في الطريق ولما وصل ملكهم الى بلاد الارمن زل في نهر هناك يقتل فرقوق واقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره جماعة الى بلادهم ولم يصل منهم الى عكا غير تقدير الف مقاتل مع ابن ملك الالمان (الذي في كتب الفرنج ان اريكس السادس ابن فريدريك ملك المانيا لم يسر الى فلسطين والذي سار في الالمان الى عكا انما هو فريدريك دوك سواب) وكثرت المناوشات بين السلطان والفرنج على عكا وخرجوا ذات يوم من خنادقهم بالفارس والراجل وازالوا الملك العادل عن موضعه فعطف عليهم المسلمون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فعادوا الى خنادقهم ولولا منقص اصاب السلطان لكانت هذه الوقعة هي الفيصلة وقوي الشتاء واشتدت الرياح فارسل الفرنج مراكبهم عن عكا الى صور خوفاً عليها

ان تكسر فافتحت الطريق الى عكا في البحر وارسل البدل اليها فكان الخارجون
 منها اضعاف الداخلين اليها فحصل التفریط بذلك لضعف البدل
 وفي سنة ٥٥٨٧ سنة ١١٩٢ م احاط الفرنج بعكا من البحر الى البحر وحفروا
 عليهم خندقاً فلم يتمكن السلطان من الوصول اليهم واشتد حصارهم لعكا وطال
 وضعف من بها عن حفظها وعجز صلاح الدين عن كف العدو عنهم فخرج الامير
 سيف الدين علي بن المشطوب وطلب الامان من الفرنج على مال واسرى يقومون
 به للفرنج فاجابوهم الى ذلك وظهرت اعلام الفرنج على عكا وحبسوا المسلمين في
 اماكن من البلد وقالوا انما نجيبهم ليقوموا بالمال والاسرى وصيلب الصلوات
 (خشبة الصليب التي كان المسلمون اخذوها) وكتبوا الى صلاح الدين فحصل ما
 امكن تحصيله من المال وطلب منهم اطلاق المسلمين فلم يجيبوه الى ذلك وقتلوا
 كثيرين منهم واستمروا بالباقيين في الاسر وبعد تقرير امر عكا رحل الفرنج عنها
 الى قيسارية (انتهى ملخصاً عن كثيرين منهم ولا سيما ابو القداء)

وهذا ما قاله المؤرخون الفرنج في ذلك ان الفرنج اخذوا في حصار عكا في
 غاية اب سنة ١١٨٩ ودام الحصار نحو ستين وكان مع لوسينيان عند اول حصارها
 نحو تسعة الاف مقاتل ثم وصلت شواني اهل بيزا (بايطاليا) واحتلوا على شاطي
 البحر وفي اليوم الثالث بعد وصولهم هاجموا المدينة واقاموا السلام على الاسوار
 واوشكوا ان ياخذوها حينئذ لولاء شيوع الخبر بوصول صلاح الدين والانكفاف
 عن وثبتهم رهبةً وذعراً ثم راوا اسطولاً مقبلاً فاذا به اثنا عشر الف مقاتل من
 فريز والدانيرك واسلحة وازواد وتلا هذا الاسطول اسطول اخر يقل كثيرين من
 انكلترا وفلاندر و عرف صلاح الدين بكثرة نجدات الفرنج فترك غزوته في فونيتي
 وسار الى عكا وحل على جبل قريب اليها وهاجم المسلمون الفرنج مرات فلم يستطيعوا
 ان يزيلوهم عن مواضعهم ف ضرب صلاح الدين مصافحاً عاماً وارغم الفرنج ان يتركوا

موقفهم في شمال المدينة واتصل الى اسوار المدينة واخذ بعض حرسها وحصر الفرنج في معسكرهم ورتب المدينة واقام فيها نخبة من رجاله وعاد الى معسكره وحفر الفرنج خنادق حول معسكرهم فهال ذلك المسلمين وروعهم وفود مراكب الفرنج كل يوم واتى حينئذ الصليبيون من مدن ايطاليا ثم من شماليا وغيرها من اعمال افرنسة ثم من المانيا وجوز كنراد ماركيس صور اسطولا وعسكراً وانضاف الى الصليبيين حتى كان حول عكا اكثر من مائة الف مقاتل ولم يكن ملكا افرنسة وانكاترا وصلا بعد فاشار على صلاح الدين بعض حاشيته ان يتجى من وجه هذا الجيش العرمرم وكان مصاف في السهل الفسيح الكائن بين المعسكرين وكان الافرنسيون والفرسان الاستباليون باصرة ملك اورشليم وكتاب الانجيل يحمله اربعة فرسان امامه وكان البنادقة والدمبرديون وعسكر صور على ميسرة الجيش وكان في التلب الالمانيون والبيزاويون والانكيز وكان رئيس فرسان الهيكل وغيره مع العسكر المستخفظ الذي يسير حيث تدعوه الحاجة واصطف امامهم المسلمون فكسرت في اول كرة ميسرة جيش المسلمين التي كانت باصرة تقي الدين ابن اخي السلطان وبلغ بعض الفرنج الى خيمة صلاح الدين وانهزم كثير من المسلمين حتى طبرية وفر العبيد من معسكر المسلمين واتهبوا ما كان فيه على ان الفرنج اشتغلوا بالنهب عن القتال وتشتوا فعطف عليهم المسلمون وقتلوا كثيرين منهم ودنا فصل الشتاء فاشار على صلاح الدين امراء جيشه ان يريح عسكره ويستريح هو مدة فضى صلاح الدين فاقام مع عسكره في المحل المدعو الخروبة

فحسب الفرنج هذه العزلة عن الحرب خوفاً وانبسطوا في انحاء عكا وحصنوا في هذه المدة موافقهم واصطنعوا ثلاثة ابراج من خشب ولما انقضى الشتاء عاد صلاح الدين من الخروبة ومعه عساكر الجزيرة وسورية وعادت نار الحرب تتاجج فاحرق المسلمون الابراج المذكورة وبعد مغالبات كثيرة بين الفرنج والمسلمين ووصل ملك

انكلترا وملك افرنسة وبقايا عسكر ملك المانيا الى عكا ارتاع المسلمون وضايقتهم الفرنج واصاب صلاح الدين مرض اعجزه عن ان يشهد الحرب مع جنوده فطلب المسلمون الامان فاجابهم الفرنج اليه وتسلم الفرنج عكا في ١٣ تموز سنة ١١٩١ بعد حصارها نحو ستين وكان من شروط الصلح ان يطلق صلاح الدين الاسرى النصارى ويطلق الفرنج الاسرى المسلمين وان يدفع الى الفرنج مائتي الف دينار وان يرد عليهم خشبة الصليب واتقضى زمان ولم ينجز صلاح الدين وعده فهدده الفرنج بقتل المسلمين الذين في حوزتهم ان اخلف وعده ولما لم يجبههم الى طلبهم اخذوا الفين وسبعمائة اسير وقتلوهم قرب محلة صلاح الدين فخرج عليهم المسلمون وقتلوهم ولم تكن جدوى من قتالهم وقد ذكر المؤرخون المسلمون قتل هؤلاء الاسرى وسموهم شهداء ولما وادى صلاح الدين انه لا بد من استئناف الفرنج الحرب وخشي زيادة الانخدال خلى سبيل النفي اسير من الفرنج ودفع اليهم مئتي الف دينار ورد عليهم خشبة الصليب

وفي مدة حصار عكا ماتت سيبيليا بنت اموري الملك وزوجة لوسينيان ملك اورشليم وتوفي ولداها فكان ذلك سبباً للخلاف بين الفرنج فان كوزراد والي صور تزوج بايزبال اخت الملكة خلافاً لرسوم الكنيسة لانها كانت مزوجة وادعى الملك واراد خلع لوسينيان وكان لكل منهما محازبون وكان في اخر الامر ان ريشار ملك انكلترا اعطى لوسينيان تبرس وسماه ملكاً عليها وقام هو في مقام ملك اورشليم وكان ملكا افرنسة وانكلترا يظهر احدهما الورداد للآخر في اول الامر ثم وقع بينهما التحاسد والغيرة ومرض فيليب ملك افرنسة فحمله مرضه والتحاسد بينهما على العود الى ملكه فعاد في اخر تموز السنة المذكورة وترك من جنوده عشرة الاف مقاتل بامرة اوغو الثالث دوك بركونيا فمات هذا الدوك في صور السنة التالية اي سنة ١١٩٢ وبقي ريشار ملك انكلترا وحده على امرة الصليبيين (انتهى ملخصاً عن كثيرين منهم)

عد ٨٤٣

﴿ في المدن التي اخذها الفرنج من المسلمين بعد فتح عكا ﴾

هذا ما قاله المؤرخون المسلمون في ذلك ان الفرنج بعد تقريرهم امر عكا ساروا نحو يافا فضايقهم المسلمون في مسيرهم وارسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقهم فاسروا جماعة وقتلوا جماعة وعاد ملك الانكايز الى الساقية فجمها وجمعها فاخذ الفرنج قيسارية وساروا منها الى ارسوف ووقع بينهم وبين المسلمين مصاف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها وحلوا عليهم عند وصولهم اليها حتى الحقوهم بالبحر فاجتمع الفرنج وحملت فرسانهم على المسلمين حملة رجل واحد قولوا منهن مين لا يلوي احد على احد ووصلوا الى سوق المسلمين وقتلوا من السوق وغيرهم خلقاً كثيراً ثم سار الفرنج الى يافا وقد اخلاها المسلمون فلما الفرنج ثم راي صلاح الدين تخريب عسقلان مصلحة لثلا يحصل لها مما حصل لعكا فسار اليها واخلاها وخربها ورب الحجارين في تليلق اسوارها فدكها الى الارض ثم خرب حصن الرملة وخرب كنيسة لد ثم سار الى القدس ورب اموره وعاد الى مخيمه بالنظرون ثم ترسل الفرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك انكرا ويكون للملك العادل القدس وكل ما بيد المسلمين من الشام ويكون لامراته عكا وكل ما بيد الفرنج فانكر القيسيون على اخت الملك ذلك الا ان يتصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال ثم رجل الفرنج من يافا الى الرملة على عزم ان يفتحوا القدس وكان في كل يوم يقع بين المسلمين وبينهم مناوشات وعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت في العسكرين باللقاء واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما واعطى صلاح الدين الدستور لعسكره ليستريحوا وسار هو الى القدس واخذ في تحصينها وتجديد ما رث منها وكان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه ليقتدي به العسكر وسار الفرنج من الرملة الى النظرون

قاصدين القدس وكانت بينهم وبين المسلمين وقعات اسر في وقعة منها نحو خمسين فارساً من مشهوري الفرنج وعاد الفرنج الى الرملة لتقطع المسلمين طريق الميرة عنها وفي سنة ٥٥٨٨ هـ سنة ١١٩٣ م رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا في عمارتها وكان صلاح الدين بالقدس وكان قتال شديد بينهم وبين المسلمين فاستولى الفرنج على حصن الداروم فخرّبوه ثم ساروا الى القدس وصلاح الدين فيه فبلغوا بيت نوبة ولم يكن عند صلاح الدين الا بعض العساكر المصرية ولما سمع صلاح الدين بتقربهم فرق ابراج البلد على امرائه وسار الفرنج من بيت نوبة الى قلونية وهي على فرسخين من القدس فصب المسلمون عليهم البلاء فسلم الفرنج انه اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم اسرع والتسلط عليهم امكن فرجعوا اليه فمضى ولما بعد الفرنج عن يافا سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها وقاربوها وكثروا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم ولسروا وغنموا وعلم الفرنج ان بعض اصراء صلاح الدين عادوا اليه ولحقهم العساكر الشرقية عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجان واجتمعت العساكر بدمشق واتفق الفرنج ان لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكا يظهرن العزم على فتح بيروت فامر صلاح الدين ولده الافضل ان يسير اليها في العساكر الشرقية معارضاً للفرنج في مسيرهم الى بيروت وخيم الافضل بمرج عيون فلما بلغ الفرنج ذلك اقاموا بعكا ولم يفارقوها

ولما رحل الفرنج الى عكا سار صلاح الدين الى يافا في عسكر حلب وغيرها فانزلها وملكها عنوةً ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج وزحفت العساكر الى التلعة وقاتلوا عليها اخر النهار وكادوا ياخذونها فخرج البطريك وعدة من الفرنج ووعدوا المسلمين ان يسلموا اليهم التلعة بكرة غد ولما كان الصباح اتهم نجدة وادركهم ملك انكترنا فالخرج من يافا من المسلمين وبرز الى ظاهر المدينة واعترض

المسلمين وحمل عليهم فلم يتقدم احد اليه وعاد صلاح الدين الى الرملة لينظر ما يكون من الفرنج فزرموا يافا ولم يبرخوا منها

وفي هذه السنة قتل كوزاد صاحب صور والذي رواه ابن الاثير ان صلاح الدين راسل مقدم الاسماعيلية وهو سنان ليرسل من يقتل ملك الانكيز وان قتل المرکيز صاحب صور فله عشرة الاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك الانكيز او لم يره سنان مصلحة لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويفرغ للاسماعيلية فمولى الى قتل المرکيز وارسل رجلين بزى الرهبان فقتلاه ولما قتل ولى صور بعد كند (كنت) من الفرنج في داخل البحر يقال له الكند هنري

واما رواية المؤرخين الفرنج لاجبار هذه الاحداث فلا تختلف جوهرًا عن رواية المؤرخين المسلمين لها ومع ذلك نورد ما رووه بما امكن من الايجاز تحقيقًا للاخبار وطمأناً بالفائدة من زيادة التفصيل قالوا ان النصارى بعد ان قرروا امر عكا ساروا نحو يافا وعدد جيشهم نحو مائة الف مقاتل باصرة ريشار ملك انكلترا وكان لهم في مسيرهم مناوشات مع المسلمين الذين ما انفكوا يرمونهم بالسهم ويقطعون الطرق عليهم ولم يكن عسكر الفرنج يتمكن من ان يسير اكثر من ثلثة فراسخ في اليوم ولما دنوا من قيسارية اصاب سهم الملك ريشار بفخذة وكان مسيرهم والبحر على يمينهم وعن شمالهم الجبل مشحون بجنود المسلمين وبعد ان عبروا غابة ارسوف وجدوا في الصحراء هناك مئتي الف مقاتل من المسلمين فاستعد الملك ريشار لقتالهم دون ان يتوقف عن المسير فامر جنده ان لا يتجاوزوا حد الدفاع الا ان يعلتهم بالمجوم ثم الحم بعض الفرسان الحكمة الحرب فحفي وطيسها بين الجميع وكان الملك ريشار يتسارع الى حيث يرى حاجة اليه وكان القتال شديداً والتسطل حالكا وقد دنا المتحاربون بعضهم من البعض حتى قتل كثيرون من الفرنج بايدي الافرنج انفسهم لظلمهم انهم مسلمون ودارت الدوائر على المسلمين

حتى روى بهاء الدين المؤرخ المسلم الذي كان في هذه الحرب انه لم يجد حول صلاح الدين الا سبعة عشر مملوكاً من مماليكه وسار الفرنج نحو ارسوف فاتي بعض المسلمين ووثبوا على ساقه جيشهم فعاد ريشار اليهم وشتت شملهم وخسر صلاح الدين في هذه الحرب ثمانية الاف مقاتل والفرنج انفاً ولما راي صلاح الدين ان بعض الحصون الباقية بيده لا تتحمل شدة وثبات الفرنج وان الرعب استحوذ على قلوب جنوده فلا يمكنهم حفظها عمد على دكاها كما رواه المؤرخون المسلمون ووقع في هذه الاثناء ريشار ملك انكلترا بخطر ذلك انه سار للصيد في غاب سارون ونام في ظل شجرة فاسرعت شرذمة من المسلمين لقتله او اسره فعلا جواده واخذ يدافع عن نفسه واحتاطه الاعداء من كل جهة فصاح احد الفرسان من تبعته سباه المؤرخون غوليمس براتل بانغة العربية انا الملك فاتقدوني فانكف الاعداء عن الملك واحاطوا بهذا انفارس واسروه واتوا به الى صلاح الدين فارسله الى دمشق فقتله الملك بعشرة امراء من امراء صلاح الدين كانوا اسرى عند الفرنج وبعد ان ملك الفرنج يافا وجدوا اسوارها قصدوا اورشليم لكنهم راوا انه لا بد لهم قبل ذلك من ان يحصنوا اسوار بعض المدن وشرعوا في تحصين عسقلان وصادق هولاء المؤرخون على ما رواه المؤرخون المسلمون من محاولة الفرنج حينئذ فتح اورشليم واكراههم على الرجوع عن قصدهم وعودهم الى يافا ثم سيرهم الى عكا واستيلاء صلاح الدين على يافا وعود الملك ريشار بجرأ اليها وطرده المسلمين من المدينة وانتصاره على صلاح الدين في ظاهرها ومما رواه المؤرخون الفرنج انه بينما كان الملك ريشار في عسقلان اتته الاخبار بان اخاه يوحنا يقدر به ويريد اخذ ملكه منه فجمع رجال مشورته وانبأهم بما كان وعانهم بان مصلحة ملكه تضطره الى ترك المشرق وقال ان تركت فلسطين تركت فيها ثلث مئة فارس والنبي رجل من نخبة جيشي فاسف جميعهم لاضطراره ان يرح

فلسطين في هذه الحال وسالوه ان يختار قبل سفره ملكاً لا اورشليم يجمع القلوب اليه ويزيل الخلاف فقال من ترون اهلاً لذلك فاجمع وايهم على المرڪس كـنراد والي صور ولم يكن الملك يحبه بل كان يقدر شجاعته ودرسته حق قدرهما فرضيه وارسل ابن اخيه كنت شمبانيا يشره بذلك وكان كـنراد عقد سراً مع صلاح الدين معاهدة وانفقا معاً فدش من اختيار ريشار له ملكاً ولم يقدر ان يخفي سروره ولكي يبريء نفسه ويظهر وزعه رفع عينه الى السماء فقال الهى ملك الملوك صرتويجي ملكاً ان رايتي اهلاً والا فابعد عن راسي هذا الا كيل ، وبعد ايام قليلة كان مقتل كـنراد كما ذكره المؤرخون العرب ووقعت انظار اهل صور على هنري كنت شمبانيا وكان هنري نسبياً لريشار ملك انكترا وفليب ملك افرنسة وسالوه ان يملك فيهم وان يتزوج ارملة كـنراد ايزبال بنت الملك اموري وقدمت له ايزبال نفسها مفاتيح مدينة صور فتزوجها وعرفه الفرنج ملكاً عليهم واثبت ريشار وتخلي له عن كل ما اخذه في فلسطين وراى ريشار ان مصلحة مملكته تقضي عليه بالرجوع اليها وراى صلاح الدين انه لا طاقة له على حرب الفرنج وريشار الملك فعزم الفريقان على عقد هدنة بالشروط الآتي ذكرها وسار ريشار عائداً الى بلاده وكان نجاحه في المشرق واساته الى كثيرين من الفرنج في سورية قد جملا له اعداء في كل مملكته ولذلك لما قدفت الريح شوانيه في دلماسيا قبض عليه ليوبولد دوك النمسا واراد ان يبيعه وتقدم اعداؤه لشراؤه ولا سيما انريكس السادس ملك المانيا فانتصر له الحبر الروماني وحرّم كل من يهينه فخلي سبيله وعاد الى ملكه (انتهى ملخصاً عن كثيرين وبعضهم من اليهود العيانين)

﴿ عد ٨٤٤ ﴾

﴿ في الهدنة التي عقدت بين الفرنج والسultan صلاح الدين ﴾

هذا ما قاله المؤرخون المسلمون في ٥٥٨ هـ سنة ١١٩٣ م عقدت هدنة بين

السلطان صلاح الدين وملك الفرنج وسبب ذلك ان ملك الانكيز كتاب الملك
العادل يساله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبهم السلطان الى ذلك ثم اتفق
راي الامراء على ذلك لطول اليكار وضجر العساكر ونفاذ نفقاتهم فاجاب السلطان
الى ذلك واستقر امر الهدنة في يوم السبت ثامن عشر شعبان الموافق اول ايلول
وتحالفوا على ذلك في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان (٥ ايلول) ولم
يحلف ملك الانكيز بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون ووقع
السلطان بذلك وحلف الكند (الكنت) هري (هنري) ابن اخيه وخليفته
في الساحل وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج واستحلفوا الملك العادل اخا
السلطان والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماء محمد
بن تقي الدين عمر والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرام شاه
صاحب بلبك وغيرهم من الامراء والمقدمين الكبار وعقدت هدنة عامة في البحر
والبر وجملت مدتها ثلث سنين وثلاثة اشهر وعن ابن الاثير ثمانية اشهر وكانت الهدنة
ان يستقر بيد الفرنج يافا وعملها وقيسارية وعملها وارسوف وعملها وعكا وعملها وحينما
وعملها وان تكون عسقلان خراباً واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية في عقد
هدنته واشترط الفرنج دخول صاحب انطاكية وصاحب اطرابلس في عقد
هدنتهم وان تكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين فاستقرت القاعدة على
ذلك واذن السلطان للفرنج في زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرقوا ثم رحل السلطان
الى القدس وتنفذ احواله وامر بتشييد اسواره وزاد في وقف المدرسة التي عملها
بالقدس وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصند (سنت) حنه يذكرون ان
فيها قبر حنه ام مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل ان يملك الفرنج بالقدس
ولما ملكوا القدس اعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام فلما فتح السلطان القدس
اعادها مدرسة ونفوس تدرسيها ووقفها الى القاضي بهاء الدين بن شداد ولما استقر

امر الهدنة ارسل مائة حجار لتخريب عسقلان وان يخرج من بها من الفرنج ورحل السلطان عن القدس الى نابلس ثم الى بيسان ثم الى كوكب ثم الى طبرية ثم الى بيروت ووصل الى خدمته بمند صاحب انطاكية فاكرمه السلطان وسار الى دمشق وفرح الناس به واقام العدل والاحسان بدمشق واعطى العساكر الدستور (انتهى ملخصاً عن ابن الاثير وابي الفداء)

وقد وافق المؤرخون الفرنج المؤرخين المسلمين على ذلك وقالوا ان مدة الهدنة ثلث سنين وثمانية اشهر كما ذكرها ابن الاثير وان القدس يكون بابه مفتوحاً لزيارة الفرنج يحجون اليه دون سلاح وان مدن الساحل من يافا الى صور تكون بيدهم وكان كل من الفريقين يدعي عسقلان وقر الامر اخيراً ان تكون خراباً وحلف رؤساء جيش المسلمين على القرآن ورؤساء جيش الفرنج على الانجيل وصادقوا على ان ريشار الملك لم يحاف بل اخذ يد المتفوضين بعقد الهدنة . وبعد استقرار الهدنة سار من الفرنج من قصدوا العود الى اوروبا يحجون الى القبر المقدس الذي لم يتمكنوا من انقاذه فدخلوا المدينة افواجاً دون سلاح وبذل صلاح الدين مجهوده في رعاية حق الضيافة لهم وارسل الملك ريشار اسقف ساليسبوري ليحج عنه فعامله صلاح الدين بالتجلة والتكريم وحدثه ملياً في شان الحرب المقدسة

﴿ عدد ٨٤٥ ﴾

﴿ في وفاة السلطان صلاح الدين ومن ملك بعده ﴾

كان صلاح الدين بعد عقد الهدنة مع الفرنج تحسن له نفسه ان يغزو الى اسيا الصغرى ويأخذ ما فيها للمسلمين وملك الروم ويفتح قسطنطينية ويتطرق الى الفرنج ببلادهم فانه كان يألف التعب ويألف الراحة وخرج الى شرفي دمشق متصيداً وغاب خمسة عشر يوماً وعاد ثم خرج للملاقاة الحجاج ورجع بين البسائين الى القلعة وكانت هذه اخر ركباته فقد اصابته حمى واخذ المرض في التزايد وقصده الاطباء فلم تنجع

به ادواؤهم وغشي الناس من الحزن والبقاء عليه ما لا يمكن حكايته وتوفي ليلة
السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩ هـ سنة ١١٩٤ م ودفن في قلعة دمشق في
الدار التي كان مريضاً فيها ثم عمل الملك الافضل تربة قبالة الجامع وكانت داراً
لرجل صالح ونقل رفاة اليها سنة ٥٩٢ هـ سنة ١١٩٧ م وكان مولد صلاح الدين
بتكريت سنة ٥٢٢ هـ سنة ١١٣٨ م فيكون عمره عند وفاته ٥٧ سنة هجرية وكانت
مدة ملكه للديار المصرية نحو اربع وعشرين سنة وملكه الشام قريباً من تسع عشرة
سنة وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وبناتاً واحدة وكان اكبر اولاده الافضل نور
الدين ملك دمشق بعده والبت تزوجها بعد وفاته ابن عمها الملك الكامل صاحب
مصر ولم يخلف صلاح الدين في خزائنه غير سبعة واربعين درهماً وهذا دليل قاطع
على فرط كرمه ولم يخلف داراً ولا عقاراً وقيل انه قبل وفاته امر احد امرائه
ان يطوف بدمشق يكفنه منادياً هذ ما ياخذ صلاح الدين فاتح المشرق من قوجه
وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من
احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان طاهر المجلس فلا يذكر احد
في مجلسه احداً الا باخير

ولما توفي صلاح الدين استقر في الملك بدمشق وبلادها واده الملك الافضل
نور الدين علي وبالديار المصرية ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان وبجلب ولده
الملك الظاهر غياث الدين غازي وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية المائت العادل
سيف الدين ابو بكر بن ايوب وبجماعة وسلمية والمعرة ومنج الملك المنصور ناصر
الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر وبجلبك الملك الامجد مجد الدين بهرام
شاه من انسابه وبحمص والرجة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركود الي غير هؤلاء
والملك الافضل هو الاكبر من اولاد السلطان صلاح الدين والمعهود اليه بالسلطنة
واستوزر ضيا الدين ابن الاثير مصنف المثل السائر وهو اخو عز الدين ابن الاثير

مؤلف التاريخ المسمى بالكامل فحسن للملك الافضل طرد امراء ابيه ففارقوه الى اخويه العزيز بمصر والظاهر بحلب ولما اجتمع اكابر الامراء بمصر حسنوا للملك العزيز الانفراد في السلطنة ووقعوا في اخيه الافضل ملك دمشق فقال الى ذلك وحصلت الوحشة بين الاخوين الافضل والعزيز

﴿ عدد ٨٤٦ ﴾

﴿ في بعض الاحداث الى نهاية هذا القرن ﴾

في سنة ٥٩٠ هـ سنة ١١٩٥ م استحكمت الوحشة بين الاخوين العزيز صاحب مصر والافضل صاحب دمشق ابني صلاح الدين فصار العزيز في عسكر من مصر وحصر اخاه الافضل بدمشق فارسل الافضل يستجد عمه العادل واخاه الظاهر صاحب حلب وان عمه الملك المنصور صاحب حماه فساروا الى دمشق واصبحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى مصر ورجع كل ملك الى بلده واقبل الملك الافضل بدمشق على شرب الخمر وسماع الاغاني والاونار ليلاً ونهاراً واشاع ندمائه ان عمه الملك العادل حسن له ذلك وكان يعلمه خفية وفوض الافضل امر المملكة الى وزيره ضياء الدين ابن الاثير الجزري يديرها براه القاسد ثم اظهر الافضل اتوية عن ذلك وازال المنكرات وواظب على الصلوات وشرع في نسخ مصحف بيده وفي سنة ٥٩١ هـ سنة ١١٩٦ م عاود الملك العزيز صاحب مصر قصد الشام ومنازلة اخيه الملك الافضل فصار نحو دمشق فاضطرب عليه بعض عسكره وفارقوه فعاد الى مصر بمن بقي معه وكان الملك الافضل قد استجد بعمه الملك العادل فلما رحل اخوه العزيز الى مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل ومن انضم اليهما طالين مصر فساروا حتى نزلوا على بليس وقد ترك العزيز فيها جماعة من الصلاحية فقصد الملك الافضل مناجزتهم بالقتال فتمنع عمه الملك العادل وقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فتمنع عمه العادل ايضاً وقال مصر لك متى

شئت وكاتب العادل العزيز بالباطن وامره بإرسال القاضي الفاضل ليصلح بين
 الاخوين فاصالح بينهما واقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الى دمشق
 ولزم الزهد والقناعة وترك الامر لوزيره المذكور فكثير شاكوه وقل شاكروه
 وفي سنة ٥٩٢ هـ سنة ١١٩٧ م بلغ الملك العادل والملك العزيز بمصر اضطراب
 الامور على الملك الافضل بدمشق فاتفقا على ان ياخذوا دمشق من الافضل
 ويسلموها للعزيز الى العادل لتكون الخطة والسكة للملك العزيز بسائر البلاد كما كانت
 لايه صلاح الدين فخرجوا من مصر حتى نزلا على دمشق وكان الملك الافضل
 قد حصنها وكاتب الملك العادل بعض الامراء من داخل البلد وصاروا معه
 ووعده بتسليم البلد فدخلها الملك العزيز من باب الفرج والملك العادل من باب
 توما واجاب الملك الافضل الى تسليم القلعة ايضاً وانتقل منها باهله واصحابه واخرج
 وزيره ضيا الدين المذكور محتقياً بصندوق خوفاً عليه من القتل واطى الملك الافضل
 صرخة فسار اليها باهله واستوطنها وبعد ان دخل الملك العزيز دمشق سلمها الى عمه
 الملك العادل فابقي السكة والخطة بدمشق للملك العزيز

وفي سنة ٥٩٤ هـ سنة ١١٩٩ م وصل جمع عظيم من الفرنج الى الساحل
 واستولوا على قلعة بيروت وسار الملك العادل الى يافا واتته نجدة من مصر ووصل اليه
 منقر الكبير صاحب القدس وميمون القصري صاحب نابلس وهجم على يافا بالسيف
 فلحقها وقتل من كان يقاومه بها وازل الفرنج تبين فارسل الملك العادل الى الملك
 العزيز صاحب مصر فسار الملك العزيز بنفسه بمن بقي عنده من عساكر مصر
 واجتمع بعمه الملك العادل على تبين فرحل الفرنج عنها الى صور خائنين وعاد الملك
 العزيز الى مصر وترك اكثر العسكر مع الملك العادل وجعل اليه امر الحرب
 والصلح فطاول الملك العادل الفرنج فطلبوا الهدنة فاستمرت بينهم ثلث سنين وعاد
 الملك العادل الى دمشق

وفي سنة ٥٩٥ م سنة ١٢٠٠ م توفي الملك العزيز صاحب مصر بحمي اصابته باثر قنطرة عن جواده واشتدت حماه وحدث به يرقان وقرحة في امعائه واحتبس طبعه فمات في السنة المذكورة بعد ان ملك ست سنين الا شهراً فاقام بالملك بعده ولده الملك المنصور محمد وكان عمره حينئذ تسع سنين واتفق الامراء على احضار احد من بني ايوب ليقوم بالملك ووقع اختيارهم على الملك الافضل وهو بصرخد وارسالوا اليه فسار حثيثاً محتفياً خوفاً من عمه الملك العادل فصير اتابك اي امير الاهراء عند الملك المنصور ابن اخيه واثار عليه اخوه الملك الظاهر صاحب حلب ان يتصد دمشق وياخذها من عمه الملك العادل فسار الملك الافضل في العساكر الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره وهو محاصر ماردن فسار الى دمشق ووصل اليها قبل الملك الافضل ثم وصل الافضل الى دمشق وزحف اليها وجرى بينهما قتال واتصل الافضل الى باب البريد ولم يده العسكر فتكاثر اصحاب العادل واخرجوهم من البلد ووصل الملك الظاهر صاحب حلب منجداً لآخيه الافضل مضيقاً المدينة ودام الحصار وقتت الاقوات فيها وعزم العادل على تسليم البلد فحصل بين الاغوين الافضل والظاهر خلاف ادى الى ترك حصار دمشق (انتهى ملخصاً عن ابن الاثير وابي التداء)

واما المؤرخون الفرنج فقالوا في فتحهم بيروت وغيرها ما ملخصه ان البابا شالستينوس الثالث اغتم فرصة وفاة صلاح الدين فدعا امراء اوربا ليهتسوا باسترجاع اورشليم فلبى ازريكس السادس ملك المانيا دعوته مع انه كان محروماً لانه شري ريثار ملك انكلترا وسجنه قتال عسكر في المانيا وايطاليا وساروا بجرأ الى سورية واخذوا بعض المدن الساحلية التي كانت بيد المسلمين منها اللاذقية وجبلة وبيروت وصيدا واستفكوا نحو تسعة الاف اسير ولكن وقع الخلاف بينهم اذ لم يكن ملك يجمع كلمتهم فان هنري دوک شمبانيا ومالك اورشليم سقط به رواق او سقط هو من

شباك فاشج راسه ومات وكان بعض الفرنج المتوطنين بسورية لا يريدون تقض
الهدنة بينهم وبين المسلمين الى ان تقضها الملك العادل بحصاره يافا وفتحها وبمنازاته
الفرنج على تبين وترحيلهم عنها ثم تجددت الهدنة بين الفرنج والمسلمين الى ثلث
سنين وبعد وفاة ملك اورشليم تزوجت ارملة ايزبال بنت اموري الملك زبيجة ثالثة
باموري دي لوسينيان اخي كوي دي لوسينيان ملك قبرس وكال ملكاً سنة ١١٩٧م

الفصل الثاني

❦ في بعض المشاهير الديون في القرن الثاني عشر ❦

❦ عد ٨٤٧ ❦

❦ في المشاهير السوريين ❦

❦ محمد بن الحضرمي ❦

ذكره الصلاح الكتبي في فوات الوفيات قتال هو ابن الحسن بن القاسم ابو
اليمين بن ابي مهزول التوخي المعروف بالسابق من اهل المعرة قال ابن النجار
كان شاعراً مجيداً مليح القول حسن المعاني رشيق الانفاذ دخل بغداد وجالس ابن
باقيا والابوردي والخطيب التبريزي واشدهم شعره وعمل رسالة لقبها تحفة
الندمان اتى بها بكل معنى غريب يشتمل على عشر كرايس ومما ذكره من شعره
واعيد واجه المرأة زهواً فخرق بالصباية كل نفس
وليس من العجائب ان اتى حريق بين مرآة وشمس

ومنه أيضاً

حلمت على السفينة فزاد بغيّاً وعاد فكفه سفهي عليه
 وفعل الخير من شئني ولكن آتت الشر مدفوعاً اليه
 وقال وكانت وفاته بعد الخمماية فسنة الخمماية للهجرة هي سنة ١١٠٧ للميلاد
 فلا نعلم في أية سنة بعدها كانت وفاته

﴿ ابراهيم الغزي الشاعر ﴾

قال في حقه ابن خلكان هو ابو اسحق ابراهيم بن يحيى الى محمد الاشهبي وقال
 ابن النجار في تاريخ بغداد هو ابراهيم بن عثمان بن عباس الى عبدالله الاشهبي الكلابي
 الغزي الشاعر المشهور ذكره الخلفاء ابن عساکر في تاريخ دمشق فقال دخل
 دمشق وسمع بها من التقي نصر المقدسي سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٩ م) ودخل الى
 بغداد واقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ومدح ورثي غير واحد من المدرسين
 بها وغيرهم ثم رحل الى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها وانتشر شعره
 هناك وذكر له عدة مقاطع من الشعر واثني عليه انتهى كلام الخلفاء وله ديوان
 شعر اختاره بنفسه وذكر في خطبته انه الف بيت وله قصيدة تناصر الدين بن الملا
 وزير كرمان ومما قاله فيها

حملنا من الاثام ما لا نطيعه كما حمل العظم الكسير اعصابنا

وقال في قصر الليل

وليل رجونا ان يدب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

وله أيضاً:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مفلت

خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا ملىح يشق

ومن العجائب انه لا يشتري ويحان فيه مع الكساد ويسرق

وقد توفي سنة ٥٢٤ هـ سنة ١١٣١ م ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ونقل
الى بلخ ودفن فيها ونقل عنه انه كان يقول لما حضرته الوفاة ارجو ان يغفر لي ربي
لثلاثة اشياء كوني من بلد الامام الشافعي واني شيخ كبير جاوزت السبعين واني غريب
﴿ ابن منير الطرابلسي ﴾

قال فيه ابن خلكان ابو الحسين احمد بن منير بن احمد بن مفلح الطرابلسي
الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور له ديوان شعر وكان ابوه ينشد الاشعار ويعني
في اسواق طرابلس وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة والاذب وقال الشعر وقدم
دمشق وسكنها وكان رافضياً كثير الهجاء ولما كثرت ذلك منه سجنه بوري بن انا بك
طفتكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه ثم شفّعوا فيه ففاه وكان بينه
وبين ابن القيسراني (الاي ذكره) مكاتبات واجوبة ومهاجاة وكانا مقيمين بحلب
ومتنافسين في صناعتهما كما جرت عادة المائلين ومن شعره من جملة قصيدة :

واذا الكريم راي الحمول زيله	في منزل فالحزم ان يترحلا
فالبدر لما ان تضائل جدّ في	طلب الكمال فحازه متقلا
ساهمت عيشك مرّ عيشك قاعداً	افلا فليت بهنّ ناصية القلا
فارق ترق كالسيف سل فبان في	متيه ما اخفى القراب وانحلا
لا تحسبن زهاب نفسك مية	ما الموت الا ان تعيش مذلا
للقفر لا للفقر هبها انما	منناك ما اغناك ان توتملا
لله علمي بالزمان واهله	ذنب الفضيلة عندهم ان تكملا
طبعوا على لوم الطباع فخيرهم	ان قلت قال وان سكت تقولاً

وكانت ولادته سنة ٤٩٣ هـ سنة ١١٠٠ م بطرابلس وكانت وفاته سنة ٥٤٨ هـ

سنة ١١٥٤ م بحلب ودفن بجبل جوشن بقرب المشهد الذي هناك . قال ابن خلكان

زرت قبره ورايت عليه مكتوباً

من زار قبري فليكن موقناً ان الذي القاه يلقاه
 فيرحم الله امرءاً زارني وقال لي يرحمك الله
 ولكن وجدت في ديوان ابي الحكم عبيد الله ان ابن منير توفي بدمشق
 سنة ٥٤٧ هـ اي سنة ١١٥٣ م ورثاه بايات تدل على انه مات بدمشق منها وهي
 هزلية على عادته

أوابه فوق اعواد تسير به وغسلوه بشطي نهر قلوط
 واستنخوا الماء في قدر مرصصة واشعلوا تحته عيدان بلوط
 وعلى هذا التقدير فيحتاج الى الجمع بين هذين الكلامين فمساءه ان يكون قد
 مات في دمشق ثم نقل الى حلب فدفن بها والله اعلم
 * ابن عساكر الدمشقي *

هو المحافظ ابو القاسم علي بن ابي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن
 الحسين المعروف بابن عساكر الدمشقي كان محدث الشام في وقته ومن اعيان القتهاء
 الشافعية غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه الى ان جمع منه ما لم يتفق لغيره
 وجاب البلاد ولقي المشايخ ثم عاد الى دمشق ثم رحل الى خراسان وصنف
 التصانيف المفيدة وكان حسن الكلام على الاحاديث صنف التاريخ الكبير لدمشق
 في ثمانين مجلدة اتي فيه بالعجائب وهو على نسق تاريخ بغداد وقد استعظمه العلماء
 وقال بعضهم ان العمر يقصر عن ان يجمع الانسان فيه مثل هذا التاليف وله شعر
 لا باس فيه ومنه قوله على ما قيل :

الا ان الحديث اجل علم واشرفه الاحاديث العوالي
 وانفع كل نوع منه عندي واحسنه الفوائد والامالي
 وانك ان ترى للعلم شيئاً تحتمه كافواه الرجال
 فكن يا صاح ذا حرص عليه وخذه من الرجال بلا ملال

ولا تأخذه عن صحف قترى من التصحيف بالداء العضال
ومن المنسوب اليه ايضاً :

ايا نفس ويحك جاء المشيب فماذا التصابي وماذا الغزل
تولى شبابي كان لم يكن وجاء مشيبي كان لم يزل
كافي بنفسي على غرة وخطب المنون بها قد نزل
فيا ليت شعري ممن اكون وما قدر الله لي في الازل

وكانت ولادته اول سنة ٤٩٩ هـ سنة ١١٩٦ م وتوفي سنة ٥٧١ هـ سنة ١١٧٦ م
بدمشق ودفن بها وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين
﴿ ابن الذكي دمشقي ﴾

هو ابو المعالي محمد بن ابي الحسن الى ابان بن عثمان بن عفان الاموي القرشي
الملقب يحيى الدين بن زكي الدين دمشقي الفقيه الشافعي كان ذا فضائل عديدة
من الفقه والاداب وغيرها وله النظم المليح والخطب والرسائل وتولى القضاء
بدمشق سنة ٥٨٨ هـ سنة ١١٩٣ م وكانت له عند السلطان صلاح الدين المنزلة العالية
والمكانة المكيئة ولما فتح السلطان صلاح الدين حلب اشده القاضي المذكور قصيدة
منها البيت المتداول وقد مر ذكره :

وفتحك القلعة الشهباء في صفرٍ مبشر بفتوح القدس في رجبٍ
وفوضه السلطان حيثئذ الحكم والقضاء بحب فاستاب بها زين الدين بنا الباياسي
وله خطبة مشهورة القاها بامر السلطان صلاح الدين بالقدس في اول جمعة بعد
الفتح وكانت ولادته سنة ٥٥٠ هـ سنة ١١٥٦ م ووفاته سنة ٥٩٨ هـ سنة ١٢٠٢ م

﴿ ابن القيسراني ﴾

هو ابو عبد الله محمد بن نصر الى خالد بن الوليد الخزومي الحالدي الحلبي
الملقب شرف المعالي المعروف بابن القيسراني . وكان من الشعراء المجيدين والادباء

المتقين وكان هو وابن منير الطرابلسي شاعري الشام في ذلك العصر وجرت بينهما وقائع ونوادير وملح. وكان ابن منير ينسب الى التحامل على الصحابة ويميل الى التشيع فكتب اليه ابن القيسراني :

ابن منير هجوت مني خبراً افاد الورى صوابه
ولم تضيق بذلك صدري فان لي اسوة الصحابه
ومن محاسن شعره قوله :

كم ليلة بت من كاسي وريقته نشوان امزج سلسالاً بسلسال
وبات لا تحتمي عني مراشفه كأنما نغره نغر بلا والي
قال ابن خلكان قد ظفرت بديوانه وانا يومئذٍ بحلب ونقلت عنه اشياً منها قوله

في مدح خطيب

شرح المنبر صدراً لتلقيك رحيبا
اترى ضم خطيباً منك او ضمخ طيبا
ومن معانيه البديعة :

هذا الذي سلب العشاق نومهم أما ترى عينه ملائى من الوسن
وكانت ولادة القيسراني سنة ٤٨٧ هـ سنة ١٠٨٦ م بمكا وتوفي سنة ٥٤٨ هـ
سنة ١١٥٤ م بمدينة دمشق ودفن بمقبرة باب الفراديس والقيسراني منسوب الى
قيصرية فلسطين وله كتاب في الكلمات المتشابهة انظاً من الاسماء المنسوبة طبع في
لندن سنة ١٨٦٥

﴿ محيي الدين الشهرزوري ﴾

هو ابو حامد محمد القاضي كمال الدين الشهرزوري الملقب بمحيي الدين وقد
دخل بغداد فتفقه على الشيخ ابي مصور ابن الرزاز ثم صعد الى دمشق وولي
قضاءها نيابة عن والده ثم انتقل الى حلب وحكم نيابة عن ابيه ايضاً سنة ٥٥٥ هـ

سنة ١١٦١ م وبعد وفاة والده تمكن عند الملك الصالح اخي نور الدين المذكور قبلاً صاحب حلب غاية الممكن وفوض اليه تدبير مملكة حلب سنة ٥٧٣ هـ سنة ١١٧٨ م ثم وشى به اعداؤه وحساده الى الملك الصالح واقضت الحال انه لزم يته ثم رأى المصلحة مفارقة حلب فانتقل الى الموصل وتولى قضاءها ودرس بمدرسة والده والمدرسة النظامية بالموصل وتمكن عند صاحبها مسعود ابن مودود بن زكي واستولى على جميع الامور وكان محيي الدين جواداً سريراً قيل انه انعم على فقهاء بغداد وادبائها وشعرائها ومحاوليها عند رسالته اليها بعشرة الاف دينار اميرية ويقال انه في مدة حكمه بالموصل لم يعتقل غريباً على دينارين فما دونهما بل كان يوفيهما عنه وله اشعار جيدة منها قوله في وصف جرادة :

لها فخذاً بكر (١) وساقاً نعامة وقاومتا (٢) نسرٍ وجوجو (٣) ضينم
حبها افاعي الرمل بظناً وانعمت عليها جياذ الخيل بالرأس والقم

وله في وصف زول الثلج من التميم :

ولما شاب رأس الدهر غيظاً لما قاساه من قعد الكرام
اقام يميظ عنه الشيب غيظاً وينثر ما اماط على الانام
وكانت ولادته سنة ٥١٠ هـ تقريباً سنة ١١١٧ م وتوفي سنة ٥٨٦ هـ سنة ١١٩١ م
﴿ تقيّة ابنة الصوري ﴾

هي أم علي تقيّة ابنة ابي الفرج ابي جعفر السلمي الارمنازي الصوري كانت فاضلة ولها شعر جيد قصائد ومقاطع وصحبت الحافظ احمد ابن محمد السلمي الاصبهاني زماناً بالاسكندرية وذكرها في بعض تعانيقه واثني عليها وكتب بخطه عشرت في منزل سكناي فانجرح انحصي فشقت وليدة في الدار خرقة من خمارها وعصبته فانشدت تقيّة للحال :

لو وجدت السيل جدت بخدي عوضاً من خمار تلك الوليد
 كيف لي ان اقبل اليوم رجلاً سلكت دهرها الطريق الحميد
 ولما غير ذلك اشياء حسنة ورووا ان تقيّة نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفر
 تقي الدين عمر ابن اخي السلطان صلاح الدين وكانت القصيدة خمرية ووصفت
 الة المجلس وما يتعلق بها بالخر فلما وقف عليها الملك المظفر قال الشيخة تعرف هذه
 الاحوال من زمان صباها فبلغها ذلك فنظمت قصيدة اخرى حرية ووصفت الة
 الحرب وما يتعلق بها احسن وصف ثم صيرت اليه تقول علي بهذا كعلمي بذلك وكان
 قصدها براءة ساحتها مما نسبها اليه وكانت ولادتها سنة ٥٠٥ هـ سنة ١١١٢ م وتوفيت
 سنة ٥٢٩ هـ سنة ١١٨٤ م والارمنازي نسبة الى ارمناز هي قرية من اعمال دمشق
 وقيل من اعمال انطاكية وقيل من اعمال حلب بينها وبين عزاز اقل من ميل ثم
 توطن اهلهما في صور

﴿ ابن بري المقدسي ﴾

هو ابو محمد عبدالله بن ابي بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي الاصل
 المصري المقام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية كان علامة عصره
 ونادرة دهره وله على كتاب الصحاح الجوهري حواشٍ فائقة اتى فيها بالغرائب
 واستدرك عليه بها في مواضع كثيرة وهي دالة على سعة علمه وغزارة مادته وعظم
 اطلاعه وصحبه خلق كثير واشتغلوا عليه ومن جملة من اخذوا عنه ابو موسى الجزولي
 وكان عارفاً بكتاب سيبويه وعاله وكان عليه التصفح في ديوان الانشاءات لا يصدر
 كتاب الدولة الى ملك من ملوك النواحي الا ان يتحصنه ويصلح ما به من خلل
 خفي ويحكي انه كانت فيه غفلة ولا يتقيد بالاعراب بل يسترسل في حديثه كيف
 ما اتفق حتى قال يوماً لبعض تلامذته اشتر لي قليل هندبا بعروقه فقال التلميذ
 هندبا بعروقه فقال له لا تاخذه الا بعروقه وان لم يكن بعروقه فلا اريده قال ابن

خلكان ورايت له حواشي على درة العواص في اوهام الحواص للحريري وله جزء لطيف في اغاليط الفقهاء وله الرد على ابن الحشاب في الكتاب الذي بين فيه غلط الحريري في المقامات فاقصر ابن بري للحريري وما اقصر في ما عمله وكانت ولادته بمصر سنة ٤٩٩ هـ سنة ١١٠٦ وتوفي سنة ٥٨٢ هـ سنة ١١٨٧ م وبري عالم يشبه النسبة

﴿ اسامة بن منقذ ﴾

هو ابو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الى منقذ الكنازي الكبي من الاكابر بني منقذ اصحاب قلعة شيزر واول من ملك هذه القلعة منهم سديد الملك ابن منقذ وكانت بيد الروم فازلها وتسلمها بالامان سنة ٤٧٤ هـ سنة ١٠٨٢ م ولم تزل في يده ويد اولاده الى ان جاءت الزلزلة سنة ٥٥٢ هـ ١١٥٨ م وكان سديد الملك موصوفاً بالذكاء وقوة القطنة وحكي عنه انه جرى له امر خاف منه على نفسه من محمود بن مرداس صاحب حلب فرحل الى طرابلس عند ابن عمار صاحبها فتقدم ابن مرداس الى كاتبه ابن النجاس الحلبي ان يكتب لسديد الملك كتاباً بتشوقه ويستدعيه اليه وفهم الكاتب ان ابن مرداس يقصد له شراً فكتب كما امر وكتب اخيراً ان شاء الله تعالى فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على ابن عمار ومجلسه فاستحسنوه واستعظموا رغبة ابن مرداس في التقرب اليه فقال هو ادى في الكتاب ما لا ترون فكتب الجواب وفي اخره انا الخادم انقر بالانعام وكسر الهمة من انا وشدد النون ولما وصل الكتاب الى ابن مرداس وقف عليه الكاتب وسر بما فيه وطابت نفسه اذ علم ان سديد الملك ادرك المعنى فكان قصد الكاتب من تشديد النون في قوله ان شاء الله الاشارة الى قوله تعالى . **إِنَّ الْمَلَأَ يَأْمُرُونَ عَلَيْكَ لِقَوْلِكَ** ، وقصد سديد الملك بتشديد النون في قوله انا الخادم الاشارة الى قوله تعالى . **إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا** . وقد توفي سديد الملك

سنة ٤٧٥ هـ سنة ١٠٨٣ م ومخلص الدولة بن منقذ الذي ذكرنا ترجمته في القرن
الحادي عشر هو والد اسامة الذي نكتب ترجمته هنا كما يؤخذ عن ابن خلكان في
ترجمة سيد الملك المذكور

ولاسامة بن منقذ تصانيف عديدة في فنون الادب وقد اثني عليه العلماء
وقد سكن دمشق ثم انتقل الى مصر ثم عاد الى دمشق ثم رماه الزمان الى حصن
كيفا فاقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين دمشق فاستدعاه وهو شيخ قد
جاوز الثمانين وله ديوان شعر في جزئين موجود في ايدي الناس قال ابن خلكان
رأته بخطه ونقلته منه ومما نقله عنه قوله في ابن طليب المصري وقد
احترقت داره:

انظر الى الايام كيف تسوقنا
قسراً الى الاقرار بالاقدار
ما اوقد ابن طليب قط بداره
ناراً وكان خرابها بالنار
وقوله يصف ضعفه:

فاعجب اضعف يدي من حملها ولما
من بعد حكم القنا في لبة الاسد
وما كتبه الى ابيه جواباً عن ايات
كتبها ابوه اليه:

وما اشكو تلون اهل ودي
ولو اجدت شكيتهم شكوت
ملت عتابهم ويئت منهم
فا ارجوهم في من رجوت
اذا ارمت قوارصهم فوادي
كظمت على اذاهم وانطويت
ورجت عليهم طاق الحيا
كافي ما سمعت ولا رايت
تجنوا لي ذنوباً ما جنبها
يداي ولا امرت ولا نهيت
ويوم الحشر موعداً وتبدو
صحيقة ما جنوه وما جنبت

وكان مولد اسامة سنة ٥٨٨ هـ سنة ١٠٨٦ م بشيزر وتوفي بدمشق سنة ٥٨٤ هـ

سنة ١١٨٩ م (قد اخذنا اكثر ما في هذا الفصل ملخصاً عن ابن خلكان في

وفيات الاعيان

﴿ عدد ٨٤٨ ﴾

﴿ في بعض من عاصر هولاء المشاهير من امثالهم في غير سورية ﴾
﴿ ابو حامد الغزالي ﴾

هو حامد بن محمد زين الدين الغزالي الشافعي وقد ولد في طوس مدينة خراسان ولذا يصفونه بالطوسي وكانت ولادته سنة ٤٥٠ هـ سنة ١٠٥٩ م ووفاته سنة ٥٠٥ هـ سنة ١١١٢ م ولم يكن للشافعية في اخر عصره مثله وقد اشتهر في علمه وزهده ففي سنة ٤٨٨ هـ سنة ١٠٩٦ م ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق التزهد والانتقطاع وقصد الحج ورجع الى دمشق فاقام مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع ثم انتقل الى بيت المقدس واجتهد في العبادة ثم قصد مصر واقام بالاسكندرية مدة ثم عاد الى وطنه بطوس وكتب مفيدة في عدة فنون منها ما هو اشهرها الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في التفة ومنها احياء علوم الدين وهو من انفس الكتب واجلها وله في اصول التفة المستصفي فرغ من تصنيفه سنة ٥٠٣ هـ سنة ١١١٠ م وله المنحول والمنتحل في علم الجدل وله تهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمظنون به على غير اهله والمقصد الاقصى في شرح اسماء الله الحسنى ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحققة التوامين الى غير ذلك ونسب اليه بعض الشعر ووزع اوقاته في اخر حياته على وظائف الخير الى ان انتقل الى ربه في السنة المذكورة ورثاه الايوردي الشاعر المشهور بابيات منها

مضى واعظم مفقود فجمت به من لا نظير له في الناس يحلقه

(انتهى ملخصاً عن ابن خلكان)

وقد ذكره العلامة المطران اسطفان عواد السمعاني الشهير في كتابه فهرست

الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية بفيرنسا واثني عليه في علمه وورعه وعدد كتبه

وقال انها نحو ستين مجلداً خص بالذكر منها كتابه في علم الدين قسمه الى اربعة اجزاء وكل جزء الى عشرة فصول تكلم فيها على عبادة الله واركان عقائد الدين ووصايا الاسلام والفضائل والرذائل وكتابه في المعارف العقلية تكلم به على صناعة القياس وعلى ما وراء الطبيعة وعلى الغاية والمقاصد في الاعمال وكتابه المنقذ من الضلال بين فيه ما يناقئ او يوافق دين الاسلام من اقوال الفلاسفة وكتابه المظنون به على غير اهله يرد به ما يورده على سبيل الاعتراض على دين الاسلام وكتابه مشكاة الانوار تكلم فيه على الله الذي هو النور الحقيقي ثم على الانوار اثنائية ويريد بها موسى وعيسى ومحمد وكتابه نصيحة الملك يخاطب به السلطان ملك شاه السلجوقي وكتابه الخاتم تكلم به على معنى الجروف العربية وعمها السحري وكتابه الموجز في علم النجوم وكتابه الحاوي ما يعزي اليه من الاشعار الادبية والفلسفية ثم ذكر له كتاباً في ما وراء الطبيعة واللاهوت مقسوماً الى سفيرين تكلم في الاول على الذات والوجود والوحدة والجمع والضروري والممكن وفي حدوث الاشياء والجوهر والعرض وتكلم في الثاني على المعقولات والنفس البشرية وقواها وعلى الارواح الملائكة والشياطين وعلى اسماء الله ووحدة ذاته وعلمه وخلق السماء والارض ووحده وعنايته وعلى النبوة ورسالة محمد النبي وسمو مرتبة الانبياء وعلى الايمان والطاعة والقروض ويوم الدين والقرودوس وجنم وقد اخذ المطران المذكور كل هذه التعليقات عن كتبه الموجودة بالمكتبة المذكورة وجاء في كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ان كتابه المنقذ طبع بباريس سنة ١٨٤٢ ثم في القسطنطينية ومصر وان كتابه مقاصد الفلاسفة طبع منه ما يتعلق بالنطق في لايدن سنة ١٨٨٨ وان له كتاباً يسمى عمدة المحققين وبرهان الدين طبع في القاهرة سنة ١٢٧٧ وكتابه تهافت الفلاسفة طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٣ هـ وله كتاب اجاء علوم الدين طبع مرتين في بولاق سنة ١٢٧٨ وسنة ١٢٨٢ هـ وفي القاهرة مراراً وله ايضاً

المقالة الولدية يخاطب فيها غلاماً بقوله يا ولد طبعتم في فيانا سنة ١٨٢٨ مع ترجمة
المانية وله الدرّة الفاخرة في احوال الاخرة طبعتم في سويسرا سنة ١٨٧٨ مع ترجمة
افرنسية انتهى

﴿ الطغراءي صاحب لامية العجم ﴾

هو علي ما قال ابن خلكان العميد فخر الكتاب ابو اسمعيل الحسين الملقب
مؤيد الدين الاصبهاني المعروف بالطغرائي كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق اهل
عصره بصنعة النظم والنثر وله ديوان شعر جيد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة
بلامية العجم يصف بها حاله ويشكو زمانه واولها :

اصالة الراي صالتي عن الحظير وزينة الفضل زانتي لدى العطل

وهي تليق على ستين بيتاً وهي مشهورة تتداولها الايدي وذكر العماد
الكتاب انه كان يتعت بالامتياز وكان وزير السلطان مسعود بن محمود السلجوقي
بالموصل وانه لما جرى بينه وبين اخيه السلطان محمود المصافى بالقرب من همدان
وكانت النصره فيه لمحمود قتل الطغرائي بمكيدة من وزيره لانه راى اقبال السلطان
محمود عليه وكانت هذه الوقعة سنة ٥١٣ هـ وقيل سنة ٥١٤ هـ وقيل سنة ٥١٨ هـ اي
سنة ١١١٩ م او ١١٢١ او ١١٢٥ وقد جاوز ستين سنة وفي شعره ما يدل على انه
بلغ سباً وخمسين سنة لانه قال وقد جاءه مولود

هذا الصغير الذي وافى على كبري اقر عيني ولكن زاد في فكري

سبع وخمسون لو مرت على حجر ابان تاثيرها في صفحة الحجري

والطغرائي هذه النسبة الى من يكتب الطغراء وهي الطرة التي تكتب في
اعلى كتب الملوك. وعن كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ان ديوانه طبع في
القسطنطينية في مطبعة الجوائب وان قصيدته لامية العجم طبعتم في قسطنطينية سنة
١٣٠٠ هـ وفي اكسفورد سنة ١٦٦١ وفي فرنكفورت سنة ١٧٦٩ ولصالح الدين

الصفدي الذي توفي سنة ١٣٦٢ شرح عليها سماه الغيث المسجم في شرح لامية العجم طبع في القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ وبهامشه شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباتة المصري الذي توفي سنة ٨٦٨ هـ
 ﴿ ابو محمد الحريري ﴾

هو ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي صاحب المقامات المشهورة كان احد ائمة عصره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات واشتمت على شيء كثير من كلام العرب وامثالهم ورموز اسرار كلامهم فاتهما خمسين مقامة وضمنها للوزير جلال الدين علي بن صدقة وزير المسترشد ونسجها على منوال بديع الزمان الهمذاني وابو زيد السروجي الذي عزا اليه هو رجل بصري نحوي لغوي صاحب الحريري واشتغل عليه بالبصرة واما تسميته الراوي بالدارث بن همام فانما عني بها نفسه اخذاً عن الاية كلكم حارث وكلكم همام قالوا كانت مقاماته اربعين مقامة فانكرها بعضهم عليه وقالوا هي لرجل مغربي مات بالبصرة ووقعت اوراقه اليه فادعاها فاستدعاه الوزير الى الديوان واقترح عليه انشاء رسالة فلم يفتح الله عليه فقام وهو خجل فقال فيه بعض عاذليه :

شيخ لنا من ربيعة الفرس يتنف عشونه من الهوس
 انطقه الله بالمشان كما وماه في وسط الديوان بالحرس

وكان يزعم انه من ربيعة الفرس وكان مولماً بتنف لحيته عند انكسرة ويسكن في مشان البصرة ولما عاد الى بلده عمل عشر مقامات اخرى وسيرها الى الوزير واعتذر من عيه وحصره بالديوان بما لحقه من الهابة وللحريري تاليف حسان منها درة الفواص في اوهام الحواص وملحة الاعراب المنظومة في النحو وله ايضاً شرحها وله ديوان رسائل وشعره كثير غير الذي في المقامات ويحكى انه كان ذمياً قبيح النظر فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ منه شيئاً فلما رآه استزرى

شكاه وفهم الحريري ذلك فلما ساله ان يبلي عليه قال له اكتب:
 ما انت اول سار غره قر ورائد اعجبه خضرة الدمن
 فاختر لنفسك غيري اني رجل مثل الميدي فاسمع بي ولا ترني
 فنجل الرجل منه وانصرف عنه وقد ولد الحريري سنة ٤٤٦ هـ سنة ١٠٥٥ م
 وتوفي سنة ٥١٥ هـ وقيل سنة ٥١٦ هـ سنة ١١٢٢ او سنة ١١٢٣ م وكان يسكن
 في سكة بني حرام فنسب الحرامي الى هذه السكة والحريري نسبة الى الحرير
 وعمله او يبعه

وقد طبعت مقامات الحريري مراراً واحسن طبعة هي التي اعنتي بها العلامة
 دي ساسي الافرنسي في بريس سنة ١٨٢٢ مع شرح وافٍ ولما حصل في هذه
 الطبعة بعض الخطأ من مرتبي الحروف طبعت ثانية مصححة مع حواش تاريخية
 وانغوية في بريس سنة ١٨٤٩ بعناية العلامة وارنبورغ وطبعت ايضاً في كلكته سنة
 ١٨٠٩ وسنة ١٨١٢ وفي لابسك سنة ١٨٥٦ وفي بولاق سنة ١٢٨٨ هـ مع شرح
 عليها وطبعت في بيروت مراراً ولاحمد الشريشي (توفي سنة ٦٣٩ هـ سنة ١٢٢٣ م)
 شرح لمقامات الحريري طبع في بولاق مراراً واما كتاب الحريري درة الفواص
 فطبع في قسطنطينية ثم طبع في مصر على الحجر سنة ١٢٧٣ وكتابه ملحمة الاعراب
 طبعت على الحجر مراراً

✽ الفتح بن خاقان ✽

هو ابو نصر الفتح بن محمد بن خاقان الاشيلي صاحب كتاب قلائد العقيان
 وله عدة تصانيف غيره وقد جمع من شعراء المغرب في قلائد العقيان طائفة كبيرة
 وتكلم على ترجمة كل منهم باحسن عبارة والطف اشادة ومن كتبه مطمح الانفس
 ومسرح الناس في ملح اهل الاندلس وهو ثلث نسخ كبرى ووسطى وصغرى
 وهو كتاب كثير الفائدة لكنه قليل الوجود في هذه البلاد وكلامه في كتبه دال

على فضله وغزارة مهارته وكان كثير الاسفار سريع التنقل وتوفي قتيلاً في مدينة كراش سنة ٥٣٥ هـ سنة ١١٤١ م ويروي سنة ٥٢٩ هـ سنة ١١٣٥ م قيل كان خليع العذار في ديناه لكن كلامه في تأليفه كالسحر الحلال والماء الزلال (اشهى ماخصاً عن ابن خلكان)

وتد طبع كتابه قلائد العقيان في بولاق سنة ١٢٨٤ هـ وطبعه الشيخ الكنت رشيد الدحداح في بريس سنة ١٨٦٠ م. واما كتابه مطمح الانفس الذي قال ابن خلكان انه كان قليل الوجود في ايامه فقد طبع في قسطنطينية في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ وعدد التراجم فيه خمس وخمسون ترجمة وهي غير المثبتة في قلائد العقيان

✽ الزمخشري ✽

هو ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري الامام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان وكان امام عصره ووصف التصانيف البديعة منها الكشاف في تفسير القرآن لم يصنف قبله مثله ومنها الحاجات بالمسائل النحوية والمفرد والمركب في العربية وكتاب الفائق في تفسير الحديث ولسان البلاغة في اللغة وربيع الاسرار ونصوص الاخبار ومتشابه اسامي الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرايض في علم الفرائض وكتاب المفصل في النحو وقد اتى بشرحه ذاتي كثير والانتودج في النحو والمفرد والمولف في النحو وروس المسائل في الفقه وشرح ابيات كتاب سيويه وجميم العربية والمستقصى في امثال العرب وسوار الامثال وديوان التمثيل وشقائق النعمان في حقايق النعمان وشافي العي من كلام الشافعي والقسطاس في العروض ومعجم الحدود والمنهاج في الاصول ومقدمة الادب وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسالة الناصحة والامالي في كل فن وغير ذلك وقد سافر الى مكة المشرفة وجاور بها زماناً فلقبوه جار الله وكان هذا علماً

عليه قال ابن خلكان الذي اخذنا هذه الترجمة عنه ان الزمخشري كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به واول ما صنف كتاب الكشاف افتحه بقوله :

الحمد لله الذي خلق القرآن فقيل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب احد فيه فغيره بقوله الحمد لله الذي جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق ورايت في كثير من النسخ الحمد لله الذي انزل القرآن وهذا اصلاح الناس لا اصلاح المصنف ومن شعره يرثي شيخه ابا مضر منصور

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت لها هذا الذي كان قد حشى ابو مضر اذني تساقط من عيني

ويقال انه اوصى ان يكتب على قبره هذان البيتان

الهي قد اصبت ضيفك في الثرى وللضيف حق عند كل كريم

فهب لي ذنوبي في قرابي فانها عظيم ولا يقوى بنير عظيم

وكانت ولادة الزمخشري سنة ٤٦٧ هـ سنة ١٠٧٥ م ووفاته سنة ٥٣٨ هـ

سنة ١١٤٤ م وزمخشر المنسوب هو اليها قرية كبيرة من قرى خوارزم (عن ابن خلكان)

وقد ذكر العلامة المطران اسطفان عواد السمعاني في فهرست المكتبة المارديشية في عد ٤٣٩ من كتبها الشرقية كتاب المفصل للزمخشري في النحو وقال انه قسمه الى اربعة اقسام الاول في الاسماء والثاني في الافعال والثالث في الحروف والرابع في ما يكون منها مشتركاً

وجاء في كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ان للزمخشري معجم جغرافي يسمى كتاب الجبال والامكنة والمياه طبع في لايدن سنة ١٨٥٦ وان كتابه الكشاف طبع في كلكتة سنة ١٨٥٦ م وفي بولاق سنة ١٢٨١ هـ وطبع بالقاهرة سنة ١٣٠٧ هـ وعلى هامشه كتاب الانتصاف لناصر الدين المنير الاسكندري وشرح محب الدين

افندي الايات الواردة في الكشف وسمى شرحه تنزيل الزيات على شرح شواهد
 الايات وطبع كتابه بيولاى سنة ١٢٨١ هـ وللزنجشيري كتاب اطواق الذهب طبع
 في فيانا سنة ١٨٣٥ م مع ترجمة المانية ويشتمل على تسع وتسعين مقالة في المواعظ
 والنصائح ثم طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٢٩٣ هـ مع شرح لالفاظه اللغوية
 وضعه الشيخ يوسف الامير وطبع في بريس سنة ١٨٧٦ م مع ترجمة افرنسية وله خمسون
 مقامة في المواعظ طبعت مع شرحها في مصر سنة ١٣١٣ هـ وقد طبع كتابه المفصل
 في الاسكندرية سنة ١٢٩١ هـ وطبع كتابه الاموذج في النحو في القسطنطينية سنة
 ١٢٩٨ هـ ثم في خرتستيانيا سنة ١٨٥٩ م وكتاب اس البلاغة طبع في مصر بعد ضبط
 المتن على اربع نسخ طبعه يوسف شيت البشراي سنة ١٢٩٩ هـ وطبع كتابه المسمى
 مقدمة الادب في لابسيك سنة ١٨٥٠ وهو مجمع عربي وفارسي وطبع كتابه ربيع
 الاررار ونصوص الاخبار في القاهرة سنة ١٢٩٢ هـ

﴿ الادريسي ﴾

هو ابو عبد الله محمد الشريف الادريسي من ولد ادريس العلويين الذين تولوا
 غربي افريقية الشمالية من سنة ١٧٥ الى سنة ٣١٤ اي من سنة ٧٩١ الى سنة ٩٢٤ م وقد ولد
 سنة ٤٩٤ هـ سنة ١١٠٠ م في مدينة سبتا وكان جده قد لجأ اليها بعد ان خلع من
 الملك واتي الادريسي هذا في صباه الى قرطبه بالاندلس وتخرج بالعلوم فيها ثم
 ساح في هذه البلاد وفي شمالي افريقية واسيا الصغرى واستدعاه روجر الثاني ملك
 صقلية الى ديوانه وكان قد جمع من كتب الجغرافيين القدماء ومن الرحالة المعاصرين
 مادة كبيرة فصنع كرة من فضة رسم عليها خطوط البلاد وشرح ذلك في مقاله
 الجغرافية التي قسمها الى سبعة اقاليم وسبعين بلاداً وتكلم فيها على حاصلات كل
 بلاد ومصنوعاته وحكومته واداب سكانه وبقي من هذا الكتاب موجز طبع في
 العربية سنة ١٥٩٢ م برومة ثم ترجمه العلامة جبرائيل الصهيووني الماروني الى اللاتينية

وطبع ترجمته في بريس سنة ١٦١٩ وسماه جغرافية النوبة ثم وجد امامادي جوبر
 نسخة مخطوطة من هذا التاليف في مكتبة الامة ببرلين سنة ١٨٢٩ فطبعا مع ترجمة
 افرنسية ببرلين سنة ١٨٣٧ الى سنة ١٨٣٩ هذا ما اخذناه عن بعض كتب القرنج
 اذ لم نر ابن خلكان ذكره وقد ذكر المطران اسطفان عواد السمعاني كتاب الادريسي
 في الجغرافية في فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية وقال ان هذا الكتاب
 طبع برومة بالبرية سنة ١٦١٧ بناية الامراء الماديشيين وعن هذه الطبعة ترجم
 جيراثيل الصهيوني ويوحنا الحصري في المارونيان هذه المقالة الى اللاتينية وطبع
 ببرلين وجاء في كتاب اكتفاء القنوع ان كتاب الادريسي في وصف افريقيا
 واسبانيا طبع بلايدن سنة ١٨٦٦ مع ترجمة افرنسية وان العلامة امامادي الايطالي
 استخرج كل ما قاله الادريسي في وصف ايطاليا وطبعه على حدته برومة سنة ١٨٨٣
 مع ترجمة ايطالية وشروح ولادريسي ايضا وصف فلسطين وبر الشام طبع في بون
 سنة ١٨٨٥ وعندنا شرح للكرة الجغرافية التي صنعها الادريسي وضعه القس سمعان
 السمعاني وطبعه برومة

✽ ابن رشد ✽

هو ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد المالكي الفيلسوف الطيب ولد سنة ٥٢٠
 سنة ١١٢٧ بقرطبة في الاندلس حيث تولى جده وابوه القضاء وكان متمكنا وضيعا
 في علوم التوحيد والفقه والفلسفة والطب والرياضيات ومعمزرا عند ملوك مراكش
 والاندلس وتقلد مناصب عالية في اشبيلية وقرطبا ومراكش ودرس عليه بعض حساده
 من العلماء عند ملك مراكش فسخط عليه ونفاه ثم رضي عنه سنة ١١٩٨ م ودعا
 الى مراكش قوفي تلك السنة وكان يشكي باختلال عقيدته وسوء التفسير لانه
 ترجم كتب ارسطو واوقف انه معصوم من الخطاء فزعم ان ما التمسفة الا ترجمة
 كتب ارسطو لكنه فسرها بمعنى مؤذن لتشيحه للذهب الحلال وتدفع القديس توما

الأكويني مذهبه هذا الذي نبذته أيضاً المدرسة الكلية بپريس سنة ١٤٢٠ وحرمه المجمع الاترافي الذي عقد سنة ١٥١٢ وقد طبع كتاب تفسيره لفلسفة ارسطو مترجماً الى اللاتينية سنة ١٥٩٥ بالبندقية وله كتاب سماه الكليات في الطب طبع في المدينة المذكورة مع ترجمته اللاتينية سنة ١٤٨٢ وكان الناس في اوربا زماناً طويلاً لا يعرفون كتب ارسطو الا بترجمتها الى اللاتينية عن كتب ابن رشد العربية وكانوا ينزلون اقواله منزلة اقوال ارسطو الى ان ترجمت كتب ارسطو عن اليونانية قال المطران اسطفان عواد السمعاني عند ذكره كتابه على فلسفة ارسطو الموجود مخطوطاً في المكتبة الماديشية ان هذا الكتاب نادر لان ابن رشد لم يكن له عند العرب شهرة ابن سينا وغيره من الفلاسفة ولان المسلمين المتحمسين كانوا يشبهون بصحة عقيدته فكانت كتبه العربية نادرة حتى ان ما ترجم منها الى اللاتينية مترجم اكثره عن الترجمات العبرانية لا عن الاصل العربي

ولابن رشد ايضاً رسالة سماها تهافت المتهافين رد بها كتاب الغزالي الموسوم بتهافت الفلاسفة كما مر وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٣ هـ كتاب اشتغل على رسالة الغزالي تهافت الفلاسفة وعلى رسالة ابن رشد تهافت المتهافين وعلى رسالة ثالثة لمصطفى بن خليل البرسوي الرومي توفي سنة ١٤٨٧ م القها على سبيل المحاكمة بين تهافت الغزالي وتهافت ابن رشد . ولابن رشد ايضاً رسالة التوحيد والفلسفة رد بها مذهب الاشعريين طبعت في مونيخ قصة بيارا سنة ١٨٥٨ م مع ترجمة المانية وله شرح على ارجوزة ابن سينا في الطب لم يطبع ومقالة في الدرياق ومقالة في الحيات ومقالة في حركة الافلاك الى غير ذلك

﴿ عدد ٨٤٩ ﴾

﴿ ذيل في الخلفاء العلويين وملوك الروم في القرن الثاني عشر ﴾

قد اشتغلنا بذكر ملوك الافرنج في هذا القرن الثاني عشر عن ذكر الخلفاء

العلويين في مصر وسورية فأرنا تكملة لتاريخ هولاء الخلفاء ان نذيل تاريخ هذا القرن بذكر من كان فيه منهم الى حين اقراض دولتهم بملك صلاح الدين الايوبي وابتداء دولة الايوبيين فيه

فرغنا من كلامنا على هولاء الخلفاء في القرن الحادي عشر بذكر المستعلي بالله سنة ٤٩٥ هـ سنة ١١٠٢ م وقد بويغ بالخلافة يوم وفاته ابنه ابو علي المنصور ولقب الامر باحكام الله ولم يكن له من العمر حينئذ الا نحو خمس سنين وقام بتدبير دولته الافضل بن امير الجيوش احسن قيام وفي سنة ٤٩٨ هـ سنة ١١٠٥ م ارسل الافضل ابنه شرف المعالي فقهر الفرنج في الرملة ثم نزلوا ابنه الاخر سناء الملك في عسقلان وكانت الحرب سجلاً ثم قتل الامر باحكام الله سنة ٥٢٤ هـ سنة ١١٣١ م وثب عليه الباطنية فقتلوه لان كان سيء السيرة في رعيته

ولما قتل الامر لم يكن له ولد فبويغ ابن عمه عبد المجيد الحافظ بن المستنصر وفي رواية اخرى ابن المستعلي ولقب بالحافظ لدين الله واستوزر ابا علي احمد بن الافضل ابن بدر الجمالي فاستبد وتغلب على الحافظ الى ان قتل هذا الوزير سنة ٥٢٦ هـ سنة ١١٣٣ م فاستقامت امور الحافظ وحكم في دولته لكنه كان عرضة لتحكم وزرائه به حتى انه استوزر ابنه حسناً وجعله ولي عهد فحكم عليه واستبد بالامر دونه وقتل كثيرين من اصراء دولته وصادر كثيرين فلما راي الحافظ ذلك سقاه سمّاً فمات ثم توفي الحافظ سنة ٥٤٤ هـ سنة ١١٥٠ م

وبعد وفاة الحافظ ولي الخلافة بعده ابنه ابو منصور اسماعيل ولقب الظافر بامر الله واستوزر ابن مصال وبقي اربعين يوماً يدبر الامور فقصده العادل بن السلار من الاسكندرية ونازعه الوزارة وكان ابن مصال قد خرج من القاهرة فخالفه العادل وصار وزيراً وارسل عسكرياً فقتل ابن مصال واستقر العادل ابن السلار حتى لم يبق معه حكم للظافر لكنه قتل سنة ٥٤٨ هـ سنة ١١٥٤ م فاخذ

الوزارة عباس بن ياديس الصفاجي وكان ربيب ابن السار واخذ القرنج هذه السنة
 عسقلان من الظافر وفي سنة ٥٤٩ هـ سنة ١١٥٥ م قتله وزيره عباس المذكور
 وبعد مقتل الظافر ولوا الخلافة ابنه ابا القاسم عيسى ولقب الفائز بنصر الله وله
 من العمر خمس سنين فعمله عباس الوزير المذكور على كتفه واجلسه على سرير
 الملك وباعه الناس واخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر والاعلاق
 الخفية ما اراد ولم يترك الا ما لا خير فيه وتوفي الفائز سنة ٥٥٥ هـ سنة ١١٦١ م وعمره
 نحو احدى عشرة سنة فقد اختاره عباس الوزير صغيراً كيلا يكون له شيء من الحكم
 وبعد وفاة الفائز بنصر الله دخل القصر الصالح بن درزيك من اكابر الامراء
 وكان ارمينياً واختار ابا محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ وكان مرافقاً قارب البلوغ
 فبايعه الصالح بالخلافة ولقب العاضد لدين الله وزوجه الصالح ابنته فكان ذلك سبب
 عداوة في القصر لصالح وهو استطال على الناس وارسلت عمه العاضد الاموال الى
 امراء المصريين فجرحوه ومات من جراحه واوصى ان تكون الوزارة لابنه العادل
 ولكن وثب شاور عامل الصعيد على العادل الوزير فقتله وصار وزيراً للعاضد
 سنة ٥٥٨ هـ سنة ١١٦٤ م ثم جمع الضرغام جموعاً فهزم شاور الى الشام واستقر في
 الوزارة وقتل كثيرين من الامراء وفي سنة ٥٦٥ هـ سنة ١١٧٠ م حصر القرنج
 دمياط وارسل نور الدين بن زنكي اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الى مصر
 كما ذكرنا قبلاً وصار شيركوه وزيراً للعاضد ثم توفي وخلفه ابن اخيه يوسف صلاح
 الدين واقام الخطبة العباسية بمصر ومات العاضد وانقضت به دولة العلويين سنة
 ٥٦٧ هـ سنة ١١٧٢ م وخلفها دولة الايوبيين اولاً في مصر ثم في سورية. وكان
 ابتداء دولة العلويين في المغرب سنة ٢٩٧ هـ سنة ٩١٠ م وانقضت سنة ٥٦٧ هـ سنة
 ١١٧٢ م فكانت مدة ملكهم ميتين وسبعين سنة قرية وميتين واثنين وستين سنة
 شمسية وعددهم اربعة عشر ملكاً منهم ثلاثة بالمغرب واحد عشر بمصر والشام

واما الخلفاء العباسيون فقد ذكرنا منهم من تولوا سورية الى اخر القرن العاشر
ثم ذكرنا من ولي الخلافة منهم في القرن الحادي عشر عدد ٨٠٢ وسوف نذكر من
بقي منهم الى اخرهم في محل اخر ان شاء الله تعالى
وبقي علينا ان نذكر ملوك الروم في هذا القرن الثاني عشر لتعلق بعض اخبار
هذا التاريخ باخبارهم وقد ذكرنا في عدد ٨٠١ جميع من ملكوا في قسطنطينية من
هرقل الملك الذي اخذ الخلفاء سورية منه الى الكيسيس كومنانس الذي كان في
اواخر القرن الحادي عشر واول هذا القرن الثاني عشر فنذكر الان منهم من
كانوا في هذا القرن

ان الكيسيس كومنانس ادركته الوفاة سنة ١١١٨ فخلقه ابنه يوحنا الثاني
وحارب السريين سنة ١١٢٥ وانتصر عليهم وكان قد حارب اسقفانس الثاني ملك
البحر سنة ١١٢٤ وحارب الآران سنة ١١١٩ واخذ منهم اللاذقية وقسطوني ياسيا
الصغرى وانفق مع ريموند دي اوتريش سنة ١١٣٨ وحارب الاتابك بسورية
واحسن سيرته في مملكته حتى لقبوه مرقس اورليوس البيزنطي وتوفي سنة ١١٤٣م
وخلقه في السنة المذكورة ابنه عماتويل الاول كومنانس مفضلاً على اخيه
الاكبر اسحق كومنانس وفي سنة ١١٤٧ غدر بالصليبين الذين كانوا باصرة انراد
ملك المانيا ولويس السادس ملك افرسة وعاون باتفاقه مع المسلمين على اخذهم
وقهر عساكرهم فعاقبه على غدره روجر ملك صقلية وحليف الصليبين فدخل في
عساكره بلاد اليونان ونهب تاب وقرنتية وكان عمويل في حرب متصلة مع الجريين
والسريين الذين ناروا عليه وبدد عز الدين سلطان قونية عساكره في اميا الصغرى
سنة ١١٧٦ وتوفي عماتويل سنة ١١٨٠ وقام بعده ابنه الكيسيس الثاني وكان عمره
اثني عشرة سنة وكانت امه تدبر الملك على ان سوء سيرتها كان سبباً للثورة عليه وعليها
فاقيم اندرونيكس كومنانس مدبراً للملك فتوج الكيسيس وشاركه في الملك وما عثم

ان قتل سنة ١١٨٣ وملك مكانه وساء السيرة فقل عرشه اسحق الملقب انج (اي
 الملك) سنة ١١٨٥ ووثب الشعب على اندرونيكس فشنقه وانقضت به سلالة
 كومنانس واقام الشعب مكانه اسحق الثاني انج المذكور فحارب البلغارين وفاز
 ببعض النصر عليهم ولكن مقتته الشعب لعكوفه على ملاذه وقسوته فقل عرشه
 اخوه الكسيس الثالث سنة ١١٩٥ وسمل عينه ولكن نهض عليه الكسيس الرابع
 ابن اخيه وخلمه من الملك واستجد بالصلبيين فاتوا لنجدته وملكوا قسطنطينية سنة
 ١٣٠٣ واقروه ولكن قتل بعد ستة اشهر دوكانس مرسوفل (الفليظ الحاجب)
 واخذ الملك سنة ١٢٠٤ وسمي الكسيس الخامس قتل الصليبيون عرشه وملكوا
 قسطنطينية واقاموا فيها المملكة اللاتينية كما سيجي

القسم الثاني

﴿ في تاريخ سورية الديني في القرن الثاني عشر ﴾

الفصل الاول

﴿ في بطارقة انطاكية واورشليم ومن نعرفهم من الاساقفة في هذا القرن ﴾

﴿ عد ٨٠٥ ﴾

﴿ في بطارقة انطاكية في القرن الثاني عشر ﴾

فرغنا من كلامنا في بطارقة انطاكية في القرن الحادي عشر بذكر يوحنا الرابع
 ولا نعلم علماً أكيداً من خلفه فقد روى لكويان في كلامه على هؤلاء البطارقة

في كتابه المشرق المسيحي انه يظهر من جدول لبطاركة انطاكية قدمه من مدة
اتامبيوس الرابع بطريك انطاكية ووضع في المكتبة الوايكانية ان توادوسيوس او
توافيلس (يسميه بالاسمين) خلف يوحنا الرابع المذكور لكنه قال ان الفرنج اخذوا
في ايامه انطاكية وهذا غير صحيح وبين بطلانه ما ذكرناه في ترجمة يوحنا الرابع
المذكور وعليه فلا يمكن الاعتماد على ما جاء في الجدول المذكور عن توادوسيوس
او توافيلس

وجاء في هذا الجدول ايضاً ان يوحنا الخامس خلف توادوسيوس المذكور في
بطريكية انطاكية واستشهد مؤلف الجدول بنيكون ارشمنديط دير القديس سمعان
العمودي وقال بعد ذلك ان يوحنا الخامس خلقه توادورس بلسامون فقال لكويان
هنا خطأ غير معتبر ولنا على اثبات عدم صحته بينات راهنة وادلة دامغة وسنورد
اسماء بطاركة كثيرين كانوا قبل توادورس بلسامون الذي قال صاحب الجدول انه
خلف يوحنا الخامس وقد اقام اللايتيون على انطاكية بعد ملكهم اياها بطاركة تناولوا
خلفاً عن سلف ولكن استمر الروم يصبون بطاركة من اصحاب طقسهم فيقومون
بقسطنطينية حتى سعى بودوين الثالث ملك اورشليم (الذي كان متزوجاً بتوادورا
بنت اخي الملك عمثويل كوماناس) لدى هذا الملك بان لا يرسل الى انطاكية بطريكاً
من قسطنطينية ومع ذلك انتخب رجل اسمه سوتريكس وقبل ارتقائه الى بطريكية
انطاكية ابدع ضلالاً انكر به انه يجوز تقديم ذبيحة الصليب او ذبيحة القربان
لله الكلمة بل يلزم تقديم الذبيحتين للآب والروح القدس فعقد مجمع سنة ١١٥٥
حرم به سوتريكس واقصى عن البطريركية

ولا نعلم خلفاً لسوتريكس المذكور الا اتامبيوس الذي كان مقيماً في
قسطنطينية ايضاً اذ قد روي الايتوس في الكتاب الثاني من مولفه في اتفاق الكنائس
فصل ٤٢ انه عقد مجمع في قسطنطينية سنة ١١٦٦ جلس فيه اتامبيوس بطريك

انطاكية بعد لوقا البطريرك القسطنطيني

وروى بعضهم انه كان في جملة البطاركة الذين باركوا زواج الملك عنوثيل
 كومنانس بمریم ابنة ريموند امير انطاكية وهم لوقا بطريرك قسطنطينية وصفر ونيوس
 بطريرك اسكندرية وانا سيوس بطريرك انطاكية المذكور
 وقام بعد انا سيوس في الكرسي الانطاكي سمعان الثاني فقد اثبت بارونيوس
 في تاريخ سنة ١١٧٨ رسالة من جيورجوس متربوليط كورشيرا الى سمعان هذا
 عنوانها الى بطريرك مدينة الله انطاكية السيد سمعان الكلي القداسة من
 جيورجوس متربوليط كورشيرا، وكان سمعان يشكو الى المتربوليط المذكور مؤ
 حاله وما يقاسيه من المحن فاجابه بالرسالة المذكورة مزيماً اياه ومثيلاً عليه وكان
 جيورجوس حينئذ في برنديسي باطالياً مرسلًا الى رومة من الملك عنوثيل
 كومنانس تلبية لدعوة البابا اسكندر الثالث لعقد مجمع في رومة وهو المجمع اللاتراني
 الثالث الذي عقد سنة ١١٧٩ وقد دعا اليه الاساقفة الكاثوليكين وغير الكاثوليكين
 ولما وصل جيورجوس الى برنديسي مريضاً وكان الشتاء شديداً استمر في هذه
 المدينة ستة اشهر وعاد منها الى المشرق دون ان يصل الى رومة لكنه ارسل اليها
 نيابة عنه نكتاريوس الرئيس الذي كان يصحبه فاحك في المجمع وكابر واستمر مصرًا
 على رأيه وعاد متفخرًا مدعيًا الظفر وهناه جيورجوس المذكور وغيره من
 المشايخين لهما وكل هذا بين من رسائل جيورجوس المذكور التي اثبتها بارونيوس
 في تاريخ سنة ١١٧٨ وسنة ١١٧٩ ويظهر من ذلك ان سمعان البطريرك الانطاكي
 المذكور لم يكن كاثوليكيًا لالتحامه مع جيورجوس ونكتاريوس المذكورين . وفي
 سنة ١١٨٧ دعا الملك اسحق انج بطاركة القسطنطينية وانطاكية واورشليم الذين
 كانوا في مدينته مع غيرهم من الاساقفة وسنوا شريمة ان لا ينتخب الاساقفة في
 قسطنطينية كالعادة بل لا بد من استدعاء غيرهم من اساقفة الاقاليم وذلك بين

في كتاب التاموس اليوناني الروماني صفحة ٤٦٩ غير انه لا ذكر هناك لاسماء هولاء البطاركة

وصير بعد اتاناسيوس توادورس الرابع بلسامون بطيركا على كرسي انطاكية وكان حازا مناصب رفيعة في كنيسة القسطنطينية قبل ارتقائه الى الكرسي الانطاكي وقد انتخب لهذا الكرسي في القسطنطينية واستمر فيها ويظهر انه صير بطيركا سنة ١١٨٦ وروي بارونيوس في تاريخ سنة ١١٩١ انه في هذا السنة قدم بلسامون البطريك الانطاكي كتابه في القوانين السبعة لجيورجوس كسيفيليس البطريك القسطيني وكتب اليه ما ياتي الى البطريك جيورجوس كسيفيليس الكلي القداسة نظم توادورس بطريك انطاكية ، ويبي ذلك ايات شعر قال في اخرها ه هذا ما دونته اليك انا توادورس بلسامون بطريك انطاكية الشرقية وسائر المشرق ، قال بارونيوس بعد ذلك لم يكن بلسامون بطيركا على انطاكية الا بالاسم ولم يتمكن ان يقيم بها بل كان بطيركا اللاتيني مستحوذا على كرسيها ولا يدع بطريك الروم ان يدنو منه بل كان يسمح باقامة اساقفة الروم في غيرها من المدن للاهتمام بالروم الساكنين فيها وقد شهد بلسامون نفسه بذلك في كتابه الثاني عند شرحه حالة الكنيسة الشرقية مفندا القانون السادس عشر من المجمع الانطاكي حيث قال ان اللاتينيين لا يدعون الروم يضعون رجلهم في انطاكية او اورشليم او طرسوس فاورشليم استحوذ عليها المسامون وكرسي انطاكية غصبه بطريك اللاتين وكرسي طرسوس غصبه الارمن واما باقي الكنائس المتعلقة باورشليم وانطاكية وبعض الكنائس الشرقية المختصة بالقسطنطينية فلا تخلو من اساقفتها لان السلطان واللاتينيين والمسلمين ييحبون اساقفة هذه الكنائس ان يدبروا كنائسهم ويهتموا بالمسيحيين المقيمين هنالك .

ثم استورد بارونيوس الى انتقاد كتاب بلسامون وتبين ما جواه من المطاعن

بالكنيسة الرومانية ومن الاغلاط التاريخية وتحريفه بمض قوانين المجمع ومراسيم الملك ثم روى في تاريخ سنة ١١٩٣ ان الملك اسحق انج عزل نيقطا البطريك القسطنطيني عن كرسيه وكان بلسامون هائماً ان ينتقل من بطريكية انطاكية الى بطريكية قسطنطينية وكان بعضهم يزعمون ان نقل البطاركة من كرسي الى اخر محظور بقوانين اليعبة فابت بلسامون للملك ولبعض الاساقفة ان هذا النقل غير محظور وان بعض الملوك اثبوه بمراسيمهم ثم عقد الاساقفة المجتمعون هناك مجماً واقروا هذا الامر على ان بلسامون لم ينفع بما اثبتته لان الملك اسحق فضل عليه دوزيتاس البطريك الاورشليمي فنقله الى كرسي قسطنطينية وقد اثبت ذلك نيقطا كونيانس في ترجمة الملك اسحق المذكور وقد استمر بلسامون بطريكاً على انطاكية من سنة ١١٨٦ الى سنة ١٢١٤ وعن بعضهم انه توفي سنة ١٢٠٣ انتهى

﴿ عدد ٨٥١ ﴾

﴿ في بطاركة اورشليم في القرن الثاني عشر ﴾

اخر من ذكرنا من بطاركة اورشليم في القرن الحادي عشر هو سمعان الثاني الذي توفي سنة ١٠٩٩ وجاء في الجدول الذي وضعه دوزيتاوس لبطاركة اورشليم ان اوتيموس خلف سمعان المذكور ولكن قد انا ان هذا غير صحيح وان المعتمد عليه ان اوتيموس كان قبل سمعان وان الذي خلف سمعان انما هو اغايوس وفي تاريخ بطاركة اورشليم في هذا القرن تشوش وغموض لا سييل الى ازالتهما فقد جاء في كتاب التاموس الرومي اللاتيني (فصل ٤) ذكر لاغايوس انه انتقل من كرسي سلوقية الى كرسي اورشليم ولكن قيل ان هذا النقل كان في ايام الملك باسيلوس اعني نحو سنة ٩٨٤ وروى نيكوفود كالستس (ك ١٤) من تاريخه فصل (٣٩) ان اغايوس نقل الى كرسي انطاكية فلا يعلم متى كان اغايوس هذا وهل كان

في انطاكية اورشليم

وجاء في جدول دوزيتاوس المذكور ايضاً ان سابا خلف اغايوس في ايام
الكسيس كومنانس ابي في اواخر القرن الحادي عشر واول الثاني عشر وانه نقل
من كرسي قيصرية فيلبس الى بطيركية اورشليم وانه سار الى قسطنطينية وخدم
الاسرار الالهية مع نيقولاوس بطيركها وجاء في كتاب التاموس المذكور ما يشعر
بذلك ولكن روى نيكوفور كاليستس (ك ١٤ فصل ٣٩) ان الذي سار الى
قسطنطينية في ايام نيقولاوس بطيركها انما كان استقناً على صور ولم يذكر اسمه
ونيقولاوس هذا البطيرك القسطنطيني هو المسمي القراماطيقي وقد صير بطيركاً
سنة ١٠٨٤ فان صح ان بطيركاً اورشليماً سار الى قسطنطينية واجتمع بنيقولاوس
بطيركاً كان سمعان الذي ذكرناه في تاريخ القرن الحادي عشر ولا ذكر في الجداول
اللاتينية لسابا في عداد بطاركة اورشليم بعد ولاية الفرنج عليها قال لكويان لم نذكر
سابا هذا الا لانه ربما كان بطيركاً على اورشليم قبل سمعان او بعده ولكن لا
وسيلة لنا للقطع بذلك

وجاء في جدول دوزيتاوس ايضاً ان اوخاريوس خلف سابا ولعله من سماه
لاون الايوس (في ك ٢ في توفيق الكنائس فصل ١٨) مكاريوس وقال انه كتب
مقالة يخالف بها اللاتين على ان دوزيتاس قال ان اوخاريوس كان بطيركاً على
اورشليم يوم فتح بودوين ملك اورشليم عسقلان وهذا الفتح كان سنة ١١٤٦ م
قال لكويان ربما تصحف على دوزيتاوس اسم فلكاروس بطيرك اللاتين على اورشليم
حيث يد باسم اوخاريوس فقد اُثبت كثيرون ان فلكاروس بطيرك اورشليم اللاتيني
شهد حصار عسقلان ثم ذكر دوزيتاوس بعد اوخاريوس يعقوب ونعته بالثاني ولا
نرى في غير جدول اراً ليعقوب هذا

وذكر دوزيتاوس بعد يعقوب ارسانيوس ونعته بالاول وقد غفل عن

ارسانيوس الاخر الذي ذكرناه قبلاً ثم قال في كتابه السابع فصل ٢٢ ما يؤخذ

منه ان ارسانيوس هذا كان في سنة ١١٤٦ وهذا يؤيد ما قلناه انفاً من ان
دوزيتاوس لم يميز بين فلكراس البطريرك اللاتيني الذي كان سنة ١١٤٦ وبين
اوخاريوس بطريرك الروم والا لكان للروم بطريركان لابرشية في وقت واحد وهما
اوخاريوس وارسانيوس

وذكر دوزيتاوس بعد ارسانيوس يوحنا السابع وقال انه كان في ايام الملك
عمنويل كومنانس وعزا اليه (في ك ٧ فصل ٢٢) مقالات في التفطير وابتاق الروح
القدس رداً على اللاتين وانه شهد المجمع الذي عقد في قسطنطينية سنة ١١٥٦
بشان ذبيحة القديس مع قسطنطين بطريركها في ايام الملك عمدنويل كومنانس لكن
المعلوم ان هذا المجمع عقده حينئذ لوقا كريسبورج خليفة قسطنطين المذكور ووقع
عليه نيقولاوس بطريرك اورشليم ودوزيتاوس يسميه يوحنا السابع وقد اقترح
بوديون ملك اورشليم حينئذ على عمدنويل كومنانس ملك الروم ان لا يرقى
بطريرك انطاكية الى كرسيا دون استشارة اساقفة بطريركيتها ويظن ان ذلك
شمل بطريركية اورشليم ايضاً وقد راينا توقيع نيقولاوس بطريرك اورشليم مع توقيع
لوقا بطريرك قسطنطينية على حط سوتريكس البطريرك الانطاكي المار ذكره عن
كرسيه لما بنه من الضلال والحاصل ان البطريرك الاورشليمي حينئذ كان نيقولاوس
لا يوحنا السابع الذي لم يذكره احد الا دوزيتاوس

وذكر دوزيتاوس بعد يوحنا السابع نيكوفور الثاني وقد شهد المجمع الذي عقد
في القسطنطينية سنة ١١٦٦ كما روى الايوس (ك ٢ في توفيق الكنائس فصل ١٢)
وقال ان عنده من اعمال هذا المجمع نسخة مخطوطة وقد بحث في هذا المجمع عما
اذا كان اعتقاد بعض الالمانيين ان المسيح مساوٍ للآب من حيث اللاهوت ولا
ينقص عنه بسبب التماسوت يطابق الايمان القويم وحكم بصحة معتقدتهم ثم ان
توادورس بلسامون ذكر نيكوفور هذا في تفسير القانون السابع والثلاثين فلا مرية

ببطيركيته ولكن لا يمكن القطع بسنة ترقيه او سنة وفاته
وصير بعد نيكوفور المذكور اتناسيوس الثاني ولما فتح السلطان صلاح الدين
الايوبي اورشليم وطرد الفرنج منها رحل هرقل البطيرك اللاتيني عنها الى عكا
فسار اتناسيوس هذا الى اورشليم واثبت بارونيوس في تاريخ سنة ١١٨٨ رسالة
كتبها جيورجيوس متربوليط كورشيرا المذكور آنفاً الى اتناسيوس هذا بطيرك
اورشليم عنوانها جيورجيوس متربوليط كورشيرا الى السيد اتناسيوس بطيرك اورشليم
الكلبي القداسة والرسل ودادية يذكره بها بحبته له واشتياقه الى رؤيته ويعتذر له عن
اتمام ذلك بامراضه واثبت بارونيوس ايضاً جواب اتناسيوس الى جيورجيوس
المذكور وبه يرثي حالة اورشليم في ذلك الوقت فقد باجيوس كلام بارونيوس هذا
قائلاً ان الروم لم يقيموا اتناسيوس بطيركاً على اورشليم قبل سنة ١١٩٣ كما يتبين
مما سنقوله في تاريخ السنة المذكورة وعليه فيلزم ان تكون رسالة جيورجيوس
المذكورة الى اتناسيوس وجواب اتناسيوس له قد كتب في سنة ١١٩٣ لا سنة ١١٨٨
كما ذكرها بارونيوس ثم ذكر بارونيوس في تاريخ سنة ١١٩٣ ان انج اسحق ملك الروم
عزل تلك السنة نقيطا موندانس عن بطيركية قسطنطينية ونقل دوزيتاوس بطيرك
اورشليم الى كرسي قسطنطينية فقال باجيوس لم يكن عزل نقيطا موندانس في هذه
السنة بل في السنة السابقة وخلف لاوتيتوس الراهب نقيطا المذكور ثم اعتزل في
سنة ١١٩٣ فخلفه دوزيتاوس متقلاً من كرسي اورشليم الى كرسي قسطنطينية وهذا
يخالف ما قاله باجيوس في تاريخ سنة ١١٨٨ من ان الروم لم يقيموا اتناسيوس قبل
سنة ١١٩٣ لان اتناسيوس هذا كان قد توفي سنة ١١٨٨ وخلفه لاوتيتوس وخلف
دوزيتاوس لاوتيتوس المذكور ثم نقل سنة ١١٩٣ الى كرسي قسطنطينية كما قال
باجيوس نفسه فبقي قول بارونيوس ثابتاً سالماً من النقد وذكر السمعاني في الجلد
الاول من المكتبة الشرقية صفحة ٦٣٠ ان الكتاب السابع والسبعين من الكتب

التي اخذها من المشرق الى المكتبة الوايتكانية يشتمل على خمس وستين خطبة
لاتناسيوس البطريك الاورشليمي وان الكتاب التسعين من تلك الكتب انطوى
على ست وستين خطبة قال لكويان لا يمكن القطع بان هذه الخطب لاتناسيوس
حقيقة

وروى بارونيوس في تاريخ سنة ١١٨٨ ان اتناسيوس توفي في هذه السنة
وخلفه لاوتيتوس في بطريركية اورشليم وقد وصفه نيقطا كونيانس (ك ٢ من
تاريخه عد ٤) انه كان رجلاً عالماً فاضلاً وتوفي سنة ١١٩٢ ولا علم لنا بغير ذلك
من امره

وقام بعد لاوتيتوس دوزيتاوس وكان من البندقية مولداً واتي الى قسطنطينية
لطلب العلم وانبا اسحق انج انه سوف يكون ملكاً فلما استوى على منصة الملك
صرف عنيته الى اقامة دوزيتاوس بطريركاً على اورشليم بعد وفاة لاوتيتوس وقد
عزل هذا الملك لاوتيتوس الاخر عن بطريركية قسطنطينية سنة ١١٩٣ واقام
دوزيتاوس بطريرك اورشليم في مكانه بعد ان افتي له توادورس بلسامون ان
القوانين السبعة تميز نقل البطاركة من كرسي الى اخر طمعاً بان ينقله الملك من
كرسي انطاكية الى كرسي قسطنطينية فامر الملك دوزيتاوس بطريرك اورشليم عليه
وكان الشعب يمقت دوزيتاوس ويسخر منه كما روى بارونيوس نقلاً عن نيقطا
كونيانس في تاريخ سنة ١١٩٣ حتى اضطر ان يترك بطريركية قسطنطينية ويعود الى
اورشليم وجاء ذكر دوزيتاوس هذا في الجدول الذي نظمه دوزيتاوس الاخر
البطريرك الاورشليمي في القرن السابع عشر لبطاركة اورشليم الى ايامه

وبعد ان نقل دوزيتاوس الى كرسي قسطنطينية اقيم مكانه مرقس على كرسي
اورشليم ويلقب فلورس وقال فيه نيكوفور كاليستس (ن ١٤ من تاريخه فصل ٣٩)
انه طرد من كرميه ظلاماً لان دوزيتاوس ترك كرسي قسطنطينية وعاد الى اورشليم

ولا يعلم ما كان لمقدس بعد ذلك ولا متى توفي دوزيتاوس والمعلوم ان توفان الاول كان بطريركاً على اورشليم في اخر القرن الثاني عشر او بدء القرن الثالث عشر وهذا يظهر من رسالة انقدها اليه مرقس البطريك الاسكندري الذي كان معاصراً لتاودورس بلسامون ولم يذكر دوزيتاوس الثاني في جدول بطاركة اورشليم توفان هذا بل روى ان غرينوريوس الآتي ذكره خلف دوزيتاوس الاول ثم صير لاونتيوس بطريركاً على اورشليم خلافاً لما صرح به . انتهى ملخصاً عن لكويان في المشرق المسيحي وعن تاريخ بارونيوس في السنين المذكورة)

﴿ عد ٨٥٢ ﴾

﴿ في بطاركة انطاكية واورشليم اللاتينيين في هذا القرن الثاني عشر ﴾
 رايانا ان ذكر البطاركة اللاتينيين على انطاكية واورشليم في هذه القرن لا يخلو من الفائدة ولذلك اردنا ذكرهم هنا بما امكن من الاجاز تقلاً عن لكويان في المشرق المسيحي

﴿ بطاركة انطاكية اللاتينيين في القرن الثاني عشر ﴾

كان لبطريك انطاكية عند اللاتين من الكراسي الاسقفية اللاذقية وجبله وطرطوس واطرابلس وجبيل واول بطريك اقيم فيها منهم برزدمس سنة ١٠٩٩ وكان افرنسياً من فالنس وقد طلب الملك بودوين الاول من البابا بسكليس الثاني ان يخضع لبطريكية اورشليم جميع المدن التي يفتحها فاجابه البابا الى ذلك فشكا برزدمس بطريك انطاكية من ان هذا مجحف بحق كرسية الانطاكية فامر البابا سنة ١١١٣ ان تبقى الولاية لسكالا الكرسيين على ما كانت عليه قبل استيلاء الفرنج على مدن سورية وتوفي برزدمس سنة ١١٣٥ على ماروي غويلمس اسقف صور في تاريخه وروى غيره ان وفاته كانت سنة ١١٣٢ وخلفه رودامس ويسمى الاول انتخبه الشعب وطاقه بعض الاكابر وعصاه بعضهم واتشح بالبايوم درع الرئاسة

قبل ان يثبت الخبر الروماني مدعياً انه خليفة بطرس في انطاكية كخلافة البابا له برومة فطرده امير انطاكية منها فسار الى رومة فشتم به اصدقائه الى الخبر الروماني البابا اينوشنسيوس الثاني قبله وامر ان يخلع الباليوم الذي اخذه من نفسه ويعطى باليوم اخر وان يعود الى انطاكية لتسمع دعواه فيها ونصب البابا قاصداً لذلك فمات القاصد بعكا فنصب اخر وعقد مجمعاً بانطاكية سنة ١١٣٦ ودعي رودلفس اليه فلم يحضر فخط عن مقامه وحبس في دير فقر منه الى رومة مستغفراً ثم ادركته المنيّة قبل مسمماً سنة ١١٤٢ روي كل ذلك غويللمس الصوري

وخلف ايماريكس ويسمى اموري رودلفس المذكور واستمر في البطيركية زماناً طويلاً قال لكويان زعم غويللمس الصوري ان الموارنة ارعوا عن بدعة المشيئة الواحدة في ايام هذا البطيرك سنة ١١٨٢ والصحيح ان هذا الارعواء لا يصدق على الموارنة باجمهم بل على فريق منهم كان قد اغتر بكتاب توما الحاراني اسقف كفرطاب كما ذكرنا في مقدمة كلامنا على الموارنة واستمر ايماريكس حياً الى سنة ١١٨٧ كما يظهر من رسالة كتبها الى ازيكس الثاني ملك انكلترا وتوفي في اخر السنة المذكورة او سنة ١١٨٨ وخلقه رودلفس الثاني على ما روى العلامة السمعاني في الجداول التي وضعها لبطاركة انطاكية وتوفي رودلفس هذا سنة ١٢٠٠ اما بطيركية اورشليم اللاتينية فكانت تلي اربع مثيريوليطيات اولها صور ويخضع لمطرانها اساقفة عكا وصيدا وبيروت وبانياس . والثانية قيصرية ويخضع لمطرانها اسقف سبسطية وهي السامرة ولم يكن لحيفا اسقف بل كانت خاضعة لمطران قيصرية . والثالثة الناصرة ويخضع لمطرانها اسقف طبرية وكانت المطرانية لباسان فنقلت الى الناصرة تبركاً . والرابعة بصرى ويخضع لمطرانها اسقف روم في جبل سينا وكان اساقفة بيت لحم وخبزون (الخليل) ولد يخضعون لبطيرك اورشليم راساً

واول بطريك لاني على اورشليم وايمبر وكان سفير البابا مع الصليبين فانتخبوه
 بطريكاً سنة ١٠٩٩ وقاومه ارنولفوس مدير اعمال البطريركية وسار وايمبر الى
 رومة فرده الجبر الروماني معزاً الى كرسية ثم توفي سنة ١١٠٧ هذا ما رواه
 لكويان وهو اولي بالتصديق مما ذكره بعضهم من ان وايمبر اعتزل البطريركية
 سنة ١١٠٣ او سنة ١١٠٤ واقيم بعده ابرامار رئيس اساقفة قيصرية الى سنة ١١٠٧
 وخلف جيباليس وايمبر على الاصح سنة ١١٠٧ فتقلب على البطريركية
 ابرامار المذكور فعزله الكرسي الرسولي واثبت جيباليس الذي توفي سنة ١١١١
 فخلقه ارنولفوس الذي كان يدبر مهام البطريركية وقد قاوم وايمبر كما مر ثم توفي
 ارنولفوس سنة ١١١٨ وخلقه كورماندس وبقي في البطريركية عشر سنين وتوفي
 سنة ١١٤٥ وخلقه فولكاريوس اوفواشر رئيس اساقفة صور وتوفي سنة ١١٥٧
 وخلقه الماريكس وتوفي سنة ١١٨٠ وخلقه هرقل وكان رئيس اساقفة قيصرية
 فاعترض غوليلمس استقف صور على انتخابه فخرمه البطريرك فلجأ الى رومة ومات
 غوليلمس فيها وفي ايام هرقل اخذ صلاح الدين الايوبي اورشليم من الفرنج وتوفي
 هرقل سنة ١١٩١ ويقال ان البابا شالستينس الثالث انتخب للبطريركية كيراس رئيس
 الكرملين فلم يقبل وانتخب ميخائيل شماس كنيسة بريس فانتخب الى استقامة اخرى
 ونصب بها فبقي كرسي اورشليم فارغاً الى سنة ١١٩٤ حين انتخب مونوماكس
 وسماه بعضهم اموري او الماريك وكان استقفاً على قيصرية وتوفي سنة ١٢٠٣ وقيل
 سنة ١٢٠٢ انتهى

﴿ عد ٨٥٣ ﴾

— في اساقفة سورية في القرن الثاني عشر —

﴿ توما استقف كفرطاب ﴾

كان استقفاً على كفرطاب كورة حلب يعقوبي المذهب اختلف مع رؤساء

ملته فشايح اصحاب بدعة المشيئة الواحدة وكتب كتاباً سماه المقالات العشر وافتحه بقوله يا خوة لما كانت سنة ١٤٠٠ من تاريخ اسكندر بن فيليس المكدوني (سنة ١٠٨٩ م) جرت مكاتبات ومراسلات بين بطرك الروم في مدينة انطاكية وهو الانبا يوحنا وبين توما مطران كورة حلب الماروني لانه جرى بينهما تصحيح المذهب المسيحي باعتقاد الايمان المقدس وكان الاصر في اعتقاد الملكيين بالمشيئين لذي الطبيعتين وفي تصحيح مذهب الموارنة بتانس ربنا من لاهوت وناسوت طبيعتين متحدتين بمشيئة واحدة فلما كثر التصحيح بينهما جعلت كتب الانبا يوحنا تتوارد الى الانبا توما وكتب توما الى الانبا يوحنا فعند ذلك كتب الانبا يوحنا بطريك انطاكية رسالة طويلة الشرح كثيرة المعنى وارسلها مع قاصد الى الانبا توما مطران الموارنة الى كفرطاب بلد كورة حلب وهو يحتج عليه فيها ويقول ان كل من لا يعتقد ان ربنا يسوع المسيح مشيئين فهو ضال في مذهبه ولما وصلت الرسالة الى الانبا توما تاملها فوجد فيها تعاليم كثيرة مخالفة قوانين الجامع وكنيسة الله الجامعة الرسولية فحزن انبا توما حزناً شديداً ٥٥٥٥ وجعل يتقض رسالة انبا يوحنا كلمة كلمة في تبطل المشيئين واثبات المشيئة الواحدة الى ان يقول لما وصلت هذه الرسالة الى انبا يوحنا عجز عن جوابها والقاها في النار كيلا ينتشر خبرها وعاد توما وكتبها ثانية احسن مما كانت اولاً كل هذا من كلام الكفرطابي الذي اثبتا صرات انه لم يكن مارونياً وان لم يكن موارنة حيثئذ في كفرطاب بل سمي نفسه مارونياً ليخدع الموارنة ثم اخبر توما عن نفسه انه سار بعد ذلك الى جبل لبنان وكان يظن انه لا يقيم به الا نصف سنة فحدث ان الافرنج حاصروا طرابلس حيثئذ فلم يمكنه العود فصار الى جبة يانوح فاقام اربع سنين وعاد الى جبة بشري واقام بها سنتين وانه اتاه ذات يوم خوري ماهر قديس من اهل قرية فرشح وساله ان يجدد له تلك الرسالة التي كتبها الى يوحنا بطريك انطاكية فجددها له وكتابه المقالات العشر يشتمل على

تلك الرسالة ويظهر من كتابه المذكور انه كتب رسالة الى ارسانيوس مطران
 العاقورة سماها رسالة المدل ليين له فيها ان القديس مارون وقدماء الموارنة كانوا
 يعتقدون المشيئة الواحدة مستنداً الى اقوال سعيد بن البطريق وانه يلزم الموارنة
 ان يهودوا الى معتد اجدادهم فاجابه المطران ارسانيوس ناقضاً زعمه وميناً ضلاله
 وكذلك قاومه البطريرك يوسف الجرسي بطريرك الموارنة حينئذ حتى لم يندفع بضلاله
 الا خوري فرشح او كفرشع ونفر قليل مع انه اقام ببلان ست سنين جائلاً في
 جية بشري وعملي البترون وجيل ومحرفاً كتب الموارنة او زائداً عليها ما يوافق
 مقصده ويساعده على خدعة الموارنة وقد صنع مثل ذلك خاصة في كتاب ايضاح
 الايمان للقديس يوحنا مارون وفي كتاب الهدى للمطران داود الماروني (كما ابنا
 في الكلام على يوحنا مارون وعلى المطران داود المذكور) ومع ذلك عصم الله
 الموارنة من اجولة خداعه وقد صرح بانه اراد تصحيح مذهب الموارنة ولم يدعن
 زعمه الا خوري فرشح ونفر قليل فساد بحقي حين فكلامه اذاً في كتابه المذكور
 وفي رسائله للمطران ارسانيوس العاقوري وغيره هو حجة قاطعة للموارنة على
 تشبهم حينئذ بعقيدة المشيئين بالمسيح لا حجة عليهم بهذا الضلال فلو كانوا
 متسكعين به حينئذ ما كانت حاجة الى هذا التعب كله من قبله لتصحيح ايمانهم
 وردهم الى هذا الضلال ولا من قبل بطريرك الموارنة ومطرانهم لمناصبته في ذلك
 وقال فيه ابن القلاعي في قصيدة في ذوي البدع

تبعمهم	توما من حاران	من قمته الصدق بيان
في كورة حلب كان مطران		وكرسيه ليس هو سمعاني
قلت لي انه من ماردين		زدتني به رغبة ذا الحين
ماردين مسكن الشياطين		نسطور ويعقوب سكاني
قلت انه جاء لجل لبنان		شهدت انه جا للطغيان

ومارون في سداجة الان ينصت ابن هو سرياني

ومن قوله انه اتى لبنان عند حصار الفرنج لاطرابلس يظهر ان اتيانه كان سنة ١١٠٤ او سنة ١١٠٥ ومن قوله انه اقام بلبنان ست سنين يظهر ان رجوعه منه كان سنة ١١١٠ او ١١١١ ولم نثر على ما يباناً ما كان من امره بعدئذ ولا متى كانت وفاته

﴿ غويلمس الصوري ﴾

اقام الفرنج اساقفة لاثنين لهم في كل من المدن الاسقفية وايس كبير فائدة في استقرار اسمائهم والبحث عن اعمالهم واشهر من كان منهم في هذا القرن غويلمس رئيس اساقفة صور وهو سوري مولداً واصلاً على ما قال بعضهم منهم بطاليس اسكندر وقد ولد في اورشليم نحو سنة ١١٢٧ وسار الى المغرب فتخرج هناك في العلوم ولما عاد الى اورشليم سنة ١١٦٢ احبه اموري ملك اورشليم واعتمد عليه واقام بنيته رئيس شامسة في كنيسة صور المتريبوليتية سنة ١١٦٧ وعهد اليه بتربية ابنه بودوين الرابع واوفد مرات الى قسطنطينية ورومة وسعى بعقد معاهدة بين عمئويل ملك الروم وملك اورشليم سنة ١١٦٨ وصير اسقفاً على صور سنة ١١٧٤ وشهد مجمع لاتران الثالث سنة ١١٧٧ وابي ان يخضع اسلطة هرقل بطريك اورشليم اللاتيني معترضاً على انتخابه وكان بينهما خلاف مشهور واختلف في سنة وفاته فقال بعضهم سار الى رومة سنة ١١٨٢ بسبب الاختلاف بينه وبين البطريك وبقي في المغرب وقد دعا جموعه وخطبه الى حملة الفرنج الثالثة على سورية وتوفي سنة ١١٩٣ وعن مكمل تاريخه على ما في مجموعة تاريخ الصليبيين المطبوعة في بريس سنة ١٨٥٩ ان غويلمس رجع من صور الى ايطاليا سنة ١١٨٠ لانه اعترض على انتخاب هرقل البطريك الاورشليمي واتحبه فخرمه البطريك فاستغاث بالخير الروماني وسار الى رومة وارسل البطريك خفية معه رجلاً رشاه بمبلغ من المال ففس له سمات به على ان الواضح من خلاصة تاريخ غويلمس المعلقة في اخر المجلد الثاني من المجموعة

المذكورة ان وفاة اموري بطريك اورشليم وانتخاب هرقل خليفته كانا في سنة ١١٨٠ وان غوليمس عاد من رومة وقسطنطينية الى صور في ٢٤ نيسان هذه السنة وان البطريك اموري توفي في ٨ تشرين الاول من هذه السنة وان انتخاب هرقل واعتراض غوليمس عليه كانا حينئذ في الشهر المذكور وان حرم هرقل البطريك لغوليمس استغف صور كان بين سنة ١١٨٣ وسنة ١١٨٤ وانه حينئذ استغاث بالكرسي الرسولي وسار الى رومة فمات فيها تلك السنة مسموماً وقد قيل في مقدمة المجلد الثاني من المجموعة المذكورة المطبوعة في بريس بعناية جمعية الخطوط القديمة سنة ١٨٥٩ ما ترجمته "ان غوليمس كان قد سار الى رومة ليبري ساحتها من الشكايات التي اوردها عليه هرقل البطريك الاورشليمي فمات هناك بغتة ضحية لبغض هرقل له فهذا ما نعتقه بعد البحث الوافي ومراجعة كثير من كتب التاريخ الموثوق بصدقها وسوف نورد في نبذة مخصوصة بينات لا تردت صحة هذا الرأي .

قد كتب غوليمس تاريخه الشهير في اثنين وعشرين كتاباً ضمن الاول منها بعض افادات تاريخية موجزة عن اخذ العرب اورشليم سنة ٦٠٦ ثم اخذ القرس لها ونقل خشبة الصليب منها الى بلاد فارس ورد الملك هرقل لها الى اورشليم وملك الخلفاء سورية وحرق الحاكم باصر الله الخليفة العلوي كنيسة القبر المقدس وتجديد نيكوفور بطريك اورشليم لبنائها سنة ١٠٤٨ الى غير ذلك ثم شرع في كتابة تاريخ الصليبيين من رجوع بطرس السائح الى رومة سنة ١٠٩٥ وقالوا ان ما تضمنه تاريخه في الكتاب الاول الى الكتاب الخامس عشر اعني من سنة ١٠٩٥ الى سنة ١١٤٤ لم يكن الا خلاصة ما كتبه غيره من المؤرخين واما ما كتبه من تاريخ سنة ١١٤٤ الى سنة ١١٨٤ فقد كتبه بعلم نفسه وقد قال في مقدمة مؤلفه ان اموري ملك اورشليم اقترحه عليه وانه دفع اليه بعض الكتب العربية وانه اعتمد منها على اقوال

الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الملكي الاسكندري وقد اخذ عنه ما
قاله في همته الشهيرة للوارثة التي سزدها ان شاء الله في الملحق الآتي في تاريخ
الموارثة في هذا القرن . ويقال ان له تاريخاً للعرب اضاعته الايام

﴿ عد ٨٥٤ ﴾

﴿ في ديوانيسوس بن صليا ﴾

هو من ملاطية (بارمينية الصغرى) واسم ابيه صليا فيعزى اليه وكان اسمه
قبل اسقفية يعقوب قبله بعدها بديونيسوس وهو يعقوبي مذهباً وقال فيه
البطريك اسطفانس الدويهي في فصل ٧ من كتابه المناثر الشره ديوانيسوس
بن صليا من ميليطيني اسقف آمدله شرح على رتبة القديس ارسله الى اغاثيوس
مطران بيت المقدس سنة ١٤٨٠ يونانية الموافقة سنة ١١٦٩ م ليقاوم به الفرنج لذين
كانوا قد ملكوا الارض المقدسة . وقال فيه ابن العبري في تاريخه السرياني ما ملخصه
ان اتاسيوس بطريك اليعاقبة رقاها الى اسقفية مرعش سنة ١١٥٤ ثم عقد مجمعا في
دير برصوما سنة ١١٥٥ والحق منبج باسقفية مرعش فصار ديوانيسوس اسقف
مرعش ومنبج وفي سنة ١١٦٦ نقله ميخائيل الكبير بطريك اليعاقبة الى اسقفية آمد
فدبرها خمس سنين وتوفي سنة ١١٧١ . انتهى كلام ابن العبري وبعد ان رواه
السمعاني رجع عما كان دونه في اول ترجمة ابن صليا وملخصه ان ديوانيسوس
بقي حياً الى سنة ١١٩٢ التي بها صير ميخائيل الكبير بطريكاً على اليعاقبة والتي خطبة
عند ترقية بل لم يميت قبل سنة ١٢٠٧ لانه ذكر في كتابه في البدع فصل ٥٤
ارتقاء البطريك ميخائيل الصغير ابن اخي البطريك ميخائيل الكبير الى بطركية
اليعاقبة في السنة المذكورة اي سنة ١٢٠٧ فقال السمعاني بعد ارجاعه عن رايه ان
تاريخ ترقية ميخائيل الصغير لم يذكره ابن صليا بل مكمل تاريخه وقد اغتر نيرون
الباني بقوله (في كتابه سلاح الايمان) ان ديوانيسوس هذا كان بعيد الجمع

الحليدوني وقد كتب ابن صليبا باللغة السريانية الفصيحة كتاباً كثيرة منها كتاب
 في تفسير اسفار المهدين القديم والحديث اعتمد فيه على تفسيرات فم الذهب وكيرلس
 وموسى بركينا ويوحنا اسقف دارا وغيرهم واورد السمعاني (مجلد ٢ من المكتبة
 الشرقية صفحة ١٥٧ وما يليها) عدة فقر من تفسيره في مباحث ذات اهمية . وله
 كتاب في اللاهوت وكتاب في الرد على البدع وشرح في الميرون المقدس وشرح
 في الدرجات المقدسة ومقالة في سر الاعتراف والتوبة اثبتا السمعاني في المجلد المذكور
 من المكتبة الشرقية . وله نافوران فاتحة احدها : **اللاهوت وحده جاً مبعها** **الله**
الله يا من ترتضي بالحجة وفاتحة الثاني **الله جاً مبعها** **الله جاً مبعها**
الله جاً مبعها واقفاً واماناً كاملاً وله نافور ثلث بدوه **الله جاً مبعها** **الله**
واممكم مبعها **الله جاً مبعها** ايها الرب الاله الذي انت اله الحب
 الحقيقي والكمال . وهذا النافور مثبت في كتاب في مدرسة الموارنة برومة وقد
 ذكر البطريك اسطفانس الدويهي النافورين الاولين في كتابه المذكور وقال ان
 النافور الثاني طبع برومة سنة ١٥٥٤ وهو خطأ لانه لم يطبع برومة نافور لابن صليبا
 بل طبع برومة تلك السنة نافور معزوا الى ديونيسيوس الاروباجيتي في كتاب
 قداس الكلدان

ولد يوانيسيوس بن صليبا ثلث صلوات تنلى الاولى في قداس اليعاقبة يوم
 خميس الاسرار والثانية يوم السبت العظيم والثالثة يتلوها اليعاقبة قبل كسر القربان
 في القداس وله كتاب في شرح رتبة القداس وهو الذي ذكرناه اولاً نقلاً عن
 الدويهي وقد ذكره رينودوسيوس في المجلد الثاني من كتابه في الليتورجيات
 الشرقية صفحة ٤٥٤ وذكره نيرون الباني في كتابه سلاح الايمان وقال ان نسخة
 منه في كتب الحاقلي ونسخة اخرى كانت في مدرسة الموارنة المقامة في رافنا ويستدل
 هذا الكتاب على عشرين فصلاً ذكرها السمعاني (في المكتبة الشرقية مج ٢ صفحة

١٧٧ الى ٢٠٨) فصلاً فصلاً میناً اهم ما حواه كل منها وقد ابنا في عد ٧٠٧ ان كتاب ابن صليبا هذا هو غير كتاب يوحنا مارون الموسوم بشرح القديس ايضاً وذكرنا ما بين الكتاين من الاختلاف ووضحنا ان ابن صليبا انتحل بعض كلام يوحنا مارون

الفصل الثاني

❖ في مشاهير العلم الدينيين في القرن الثاني عشر ❖

❖ عد ٨٥٥ ❖

❖ في بعض المشاهير الشرقيين في هذا القرن ❖

لم نبتد في ما لدينا من كتب التاريخ الى ترجمة احد من المشاهير الدينيين السوريين في هذا القرن فاقصرنا على ذكر بعض المشاهير الشرقيين في هذا الفصل وسنذكر في الفصل التالي المشاهير الغربيين في هذا القرن بما امكن من الاجاز
❖ البطريرك ميخائيل الكبير ❖

هو احد بطاركة اليمامة وقد اشتهر في اواخر القرن الثاني عشر فيوخذ عن كتاب الاناجيل القديم الموجود في المكتبة الملكية في بريس ان هذا الكتاب خط في ايام هذا البطريرك سنة ١٥٠٣ يونية الموافقة لسنة ١١٩٢ م وقد ذكره رينادوسوس في المجلد الثاني من كتابه في الليتورجيات الشرقية صفحة ٤٤٨ وقال في حقه ديوانيسوس بن صليبا في جدول بطاركة اليمامة عد ١٥٠ انه كان راهباً في دير برصوما واشتهر في الفضائل وفي الكتاب الخامس من كتب الحاقلي التي في المكتبة الوايتاكية خطبة لابن صليبا هذا القاها يوم ترقته الى المقام البطريركي ومن

مؤلفات هذا البطريك نافور اي رتبة للصلوات التي تلى في القديس ترجمه
رينودوسيوس الى اللاتينية في كتابه المذكور آنفاً وهو مثبت في الكتاب الثالث
من الكتب السريانية المخطوطة المأثري بها من الصعيد الى المكتبة الوايتكانية صفحة
١٢٦ وفاتحه **بسم الله الرحمن الرحيم** **وهدانا** اي اللهم الضابط لكل شي وسيد كل شي
وذكره البطريك اسطفانس الدويهي في كتابه المناثر العشري في الفصل السابع في مؤلفي
النوافير الهرطقة فقال ميخائيل البطريك له نافور بدؤه **بسم الله الرحمن الرحيم** **وهدانا**
وهدانا وله مقالة في الاستعداد الى تناول القربان الاقدس ذكرها رينودوسيوس في
كتاب المذكور ووصفها بلاهوتية وعلمية وقال انه ضمن كتابه هذا الجليل الكلام في
فروض الانسان المسيحي وفي الايمان وكيف يستطيع الانسان ان يكون تلميذاً
كاملاً للمسيح وفي لزوم التوبة والاعتراف الى غير ذلك وعده ابو الفرج ابن العبري
في جملة المؤلفين الذين كتبوا في القوانين اليبعية وله كتاب في الرتب الخيرية والطقوس
اليبعية وهو مثبت في الكتاب الرابع من كتب الحاقلي في المكتبة الوايتكانية ويعزى
اليه كتاب قديم وجد في الرها مشتملاً على جداول في اسماء بطاركة اليمامة
والاساقفة الذين رقاهم كل منهم من القرن الثامن الى الثاني عشر وقد ترجمه الى
الافرنسية المونسنيور شابو ونشره في المجلة الموسومة بالشرق المسيحي وتوفي هذا
البطريك في ٧ تشرين الثاني سنة ١٢٠٠ على ما روى ابن العبري في تاريخ بطاركهم

﴿ يوحنا زوناراس ﴾

قد استشهدنا بكلامه متواتراً وهو مؤرخ يوناني كان في قسطنطينية في هذا
القرن كاتباً للملكين يوحنا وعمنويل كومنانس ثم ترك العالم واتخذ السيرة الرهبانية
على مقتضى قانون القديس باسيليوس وانفرد في جزيرة وانكب على التأليف فصنف
تاريخه المشهور ابتداءً فيه من خلق العالم الى سنة ١١١٨ للميلاد التي توفي فيها
الكسيس كومنانس واثني العلماء على هذا التاريخ ولا سيما ما كتبه في قسطنطين

الكبير والامراء آل بيته وقد طبع تاريخه مرات منها طبعة الاب مين في مجلة
مكتبة الالباء الشرقيين وقد ترجمه الرئيس كوزن الى الافرنسية وطبعت هذه الترجمة
اولاً في بريس سنة ١٦٧٨ وله ايضاً قصائد شعرية وشروح على قوانين الرسل
والجامع المقدمة وعلى الرسائل القانونية للقديسين ديونيسيوس وبطرس الاسكندريين
وغريغوريوس المعروف بذي العجايب وباميلوس على ان العلماء راوا ان هذه
الشروح نفسها تعزى الى توادرس بلسامون البطريك الانطاكي ولم يحققوا لايهما
هي حقيقة

﴿ حنة كوماناس ﴾

هي ابنة الملك الكسيس كوماناس وزوجة نيقوفور القيصر وكانت فقيهة عالمة
ضليعة بعدة فنون كتبت تاريخ ايها الكسيس كوماناس في خمسة عشر كتاباً وانتقد
كلامها كثير من العلماء ولا سيما اللاتينون في مبالغتها في تعظيم ايها وفي بغضها
للاتينيين وقد اثني زوناراس عليها في المجلد الثالث من تاريخه صفحة ٢٤٢ وسماها
القيصرة العلامة وقال نقيطا كونيانس (في تاريخه صفحة ٧) انها كانت منسوبة على
الفلسفة وضليعة في كل فن

﴿ عدد ٨٥٦ ﴾

﴿ في بعض المشاهير الغربيين في هذا القرن ﴾

نكتفي بان نذكر من المشاهير الدينيين الغربيين في القرن الثاني عشر القديس
برزدس وبطرس المبردي

﴿ القديس برزدس ﴾

ولد القديس برزدس بفونتان له ديجون Fontaine les Dijon
بافرنسة سنة ١٠٩٠ او سنة ١٠٩١ واتخذ طريقة الرهبانية وانشأ رهبانية تسمى رهبانها
البرزديين نسبة اليه واتيماً رئيساً عليها سنة ١١١٥ وذاع صيت تداسته وفصاحته

حتى تقاطر اليه الرجال من كل فج طالين الانضواء الى رهبانيته وعظمت شهرته حتى كان الاساقفة والامراء والملوك بل الاحبار الرومانيون انفسهم يجتارونه حكماً في ما يختصون به من المسائل ولما نازع انا كليثس اينوشنيوس الثاني الباباوية سنة ١١٣٠ استمال القديس برزدوس اربكس الثاني ملك انكلترا وغيره من الامراء الى المدافعة عن اينوشنيوس البابا الشرعي واستدعاه هذا البابا الى رومة ثلث مرات ليتغز به وقد دعا الى حملة الصليبين الثالثة سنة ١١٤٦ فلبى دعوته لويس السادس ملك افرنسة وكوزاد ملك المانيا وكان شديد المدافعة عن الدين الكاثوليكي فناصر من المبدعين ابيلاردوس وبطرس برديس وادنلدوس من براشيا وغيرهم واتخذ ثورة الراهب راول الذي حاول ان يهيج الناس على قتل اليهود جميعاً وانشأ لرهبانيته نحو اثنين وسبعين ديراً منبثة في انحاء اوروبا كلها حتى قال فيه بعضهم انه كان حلية عصره وزينة دهره ومعلم الباباوات والاساقفة والملوك والامراء برسائله وقداسته ومطرفة اصحاب البدع بتفنيده ضلالهم واجرى الله على يده آيات باهرة ونقله تعالى اليه سنة ١١٥٣ واحصاه البابا اسكندر الثالث في مصاف القديسين سنة ١١٧٤ وتميد له الكنيسة اللاتينية في ٢٠ اب يوم وفاته وتميد له طائفتنا الماوونية في ذلك اليوم ، والف كتباً كثيرة نشرها مايلون في ستة مجلدات بقطع كامل سنة ١٦٩٠ ثم طبعت بعد ذلك مرات وهي مشتملة على مقالات لاهوتية ورسائل وخطب بالغة اللاتينية وله مدائح ونانة للعدراء الكلية الطوبى وهو الذي زاد على الصلوة السلام لك ايها الملكة ام الرحمة الفقرة الاخيرة وهي يا شفوقة يا راوفة يا صريم البتول الحلوة اللذيذة صلي لاجلنا يا والدة الله القديسة ، وباقى هذه الصلوة تأليف ويبر نائب البابا في حملة الصليبين الاولى الذي صير بعد ذلك بطريراً لاتينياً على اورشليم ومما حكى عن القديس برزدوس ان البابا امره يوماً ان يلقي خطبة عليه وعلى الكرادلة والاساقفة المجتمعين للممارسات الروحية فاعتذر فلم يقبل البابا

عذره فاستعمل فامهله ثلثة ايام واتي في الوقت المين وصفد على المنبر وأجال باصريته
بالخاضرين وقال « اعملوا بما تعلمون » وانسل عن المنبر وتواري فكانت عبارته
عظة كبرى اشغلت سامعيها بالتامل بها مدة طويلة

﴿ بطرس المبردي ﴾

ولد في نوفاريا بلمبرديا احد اعمال ايطاليا في اواخر القرن الحادي عشر وتخرج
في العلوم برنس بافرنسة ونال رتبة الملقنة في كلية بريس وعلم فيها اللاهوت ثم
رقي الى استقية بريس سنة ١١٥٩ وفي رواية اخرى سنة ١١٥٨ وتوفي سنة ١١٦٥
وله مولف في اللاهوت قسم الى اربعة كتب وسماها كتب الآراء جمع فيها آراء
الآباء في كل مبحث من مباحث اللاهوت لكنه اهل القطع بصحة كثير منها فيورد
اقوال الآباء في ذلك المبحث وقلماء يعني يتبنا ولذلك كان كتابه موضعاً للجدال بين
العلماء وشرحه كثير من العلماء ولا سيما القديس توما الاكوييني وانتمده كثير من
منهم في عدة مسائل واكسبه هذا التأليف لقب معلم الآراء ويسمى المبردي نسبة
الى لمبرديا مولده وله تفسير للزبور ولرسائل القديس بولس الرسول . انتهى

ذيل

لم يكن في هذا القرن بدعة حديثة في المشرق بل كان في المغرب بعض المبدعين
كبطرس ابايلاردوس وارندوس من براشيا وبطرس فالدوس وغيرهم ولم تكن
بدعهم ذات اهمية او لم تدم الا زمناً وجيزاً وقل من شايهم عليها ولذا لم نحفل
الا بالاشارة اليها

ملحق

﴿ في تاريخ الموارنة في القرن الثاني عشر ﴾

﴿ عد ٨٥٧ ﴾

٥- ﴿ في حالتهم الدنيوية في هذا القرن ﴾

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن الثامن عد ٧٤٢ ان حلم الخلفاء وضعوبة مسالك لبنان وتمذر احراز الثروة فيه جعلت الموارنة مكانه في مامن من السطو عليهم والمزاحمة لهم على ارضيه وانه يظهر ان الخلفاء كانوا يولون عليهم ولاية مسيحين وايدنا ذلك بشهادة العلامة السمعاني في مؤلفه مكتبة التاموس (مج ٤ صفحة ٣٩٤) والان نقول يظهر ان الموارنة سكان لبنان استمروا على ذلك الى هذا القرن وما بعده ايضاً متنعين بنوع من الاستقلال الاداري بفضل الخلفاء ولما اتى الفرنج وملكوا السواد الاعظم من سورية لم ينزعوا عنهم هذه النعمة بل تركوهم واستقلالهم المذكور وهذا توكله لنا ادلة كثيرة قاطعة فلم نمثر في كل ما قبلناه من كتب التاريخ لاخذ تاريخ الخلفاء ما يؤذن بان الخلفاء نصبوا عاملاً على لبنان او على مدنه غير الساحلية فقد ذكروا متواتراً عمال النواحي كاطرابلس وجيل وبيروت وصيدا وحماه وحمص وبعبك ولكن لم تر ذكر العامل في لبنان او احدى مدنه او قراه الجيلية بل لم نجد اثر اقامة المسلمين في انحاءه الا بعد اواخر القرن الثالث عشر ولا في سواحله او ما يقرب منها كاقامة اصراء الغرب من آل تنوخ في عمل الغرب القريب من بيروت فان الملوك والاصراء المسلمين اقلما في مدة حربهم مع الفرنج هؤلاء الاصراء في العمل المذكور وبعد طردهم الفرنج من هذه البلاد

اسكنوا عشائر من المسلمين في سواحل لبنان ليكونوا حاجزاً بين نصارى لبنان وبين
الفرنج اذا عادوا الى سورية كما سيأتي

ولما فتح الفرنج سورية وملكوا مدنها الساحلية لم يمترضوا النصارى سكان
لبنان في تدبير امورهم الداخلية ولم يمسوا ما كانوا عليه من الاستقلال فلا تراهم
نصبوا عاملاً على غير المدن الساحلية ولا اتينا ما يدل على انهم حاربوا سكانه او
ان سكانه استسلموا اليهم او تركوا لهم تدبير شؤون بلادهم كما لا نرى ان الحكام
المسلمين استعانوا بهم على حرب الفرنج او جندوا قوماً منهم لمحاربة الفرنج ولو
كانوا يلوئهم كغيرهم من سكان السهول والمدن البحرية لما اهملوا تكليفهم الى
انجادهم في حروبهم كما كانوا يصنعون مع باقي مسودتهم بل لو كان للولاة المسلمين
الولاية المطلقة على سكان الجبل لما استطاع الفرنج ان يتمكنوا في اطرابلس وجبل
بيروت وصيدا لاكتشاف الجبل هذه المدن ومن عرف موقعها قضى بما نحن
مثبتون

وقد جاء في كتاب تاريخ الموارد المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ (صفحة
٢٧٩) ذكر امراء لبنان مع تعيين اسمائهم وسني ولايتهم نقلاً عن رسالة الخوري
يوسف مارون الدويهي الاهدني فلا يمكن التطلع بصحة هذه الرواية ولا سيما في
تعيين الاسماء والسنين لان صاحب الرسالة لم يستند ما كتبه الى احد المؤرخين او
احد الكتب القديمة وعموض التواريخ في تلك الحقبة معلوم مشهور فيتعذر على
كاتب ان يحقق هذه الاسماء وهذه السنين واذا كان العلماء لم يستطيعوا ان يعرفوا
اسماء بعض البطارقة وسني رياستهم في تلك القرون فلا يظن انه كانت وسيلة للعلم
باسماء امراء منزوين في جبل وبسني ولايتهم. ولكن بقاء حكام او امراء في لبنان
في تلك السنين لا رية فيه وكل ما مر آنفاً يؤيد ان هؤلاء الامراء كانوا وطنيين
ولنا شهادة قاطعة على انه كان في لبنان في القرن الثاني عشر ملك او امير ماروني

في جيل وهذه الشهادة كتبها البطريرك ارميا العمشيتي بخط يده على كتاب الاناجيل
الاربعة الذي خط سنة ١٨٩٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨٦ للميلاد وكان هذا الكتاب
في بطريركية الموارنة في ايام البطريرك ارميا المذكور ثم اتصل الى المكتبة الماديشية
في فيرنسا بايطاليا وذكره العلامة المطران اسطفان عواد السمعاني في القهرست الذي
وضعه للكتب الشرقية في هذه المكتبة وقد صنع مثلاً للكلمات نفسها التي خطها
يد ارميا بالسريانية وسنذكرها عند الكلام فيه ونجتزئ الان بذكر ما خص
غرضنا منها فانه بعد ان ذكر دعوة البطريرك له وتصيره اسقفاً في دير كفتون
قال وبعد مضي اربع سنين طلبني ملك (اي امير) جيل والاساقفة ورؤساء
الكنيسة والكهنة والقوا قرعة فاصابني واقاموني بطريركاً في دير حالات ، فامير
جيل الذي دعا اسقفاً مارونياً وشهد انتخابه بطريركاً لا يتري في ايه ماروني
ونرى لويس التاسع ملك افرنسة لما كان في عكا في اواسط القرن التالي كتب
في رسالته الى الموارنة الى امير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك واساقفة الطائفة
المذكورة ، وصرح في رسالته بان الامير سمعان اتى اليه وقدم له هدايا فاخرة بل
قد صرح البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته في كرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣
تموز سنة ١٧٤٤ بانه لما ملك المسلمون انطاكية وطردوا الافرنج منها ولّى هولاء
فارين الى جبل لبنان قبلهم بطريرك الموارنة بالاناس والترحاب فكتب اليه البابا
اسكندر الرابع يشكر له صنيعه ولم يزل براءة البابا اسكندر الرابع التي اشار اليها
بناديكتس الرابع عشر محفوظة في خزانة اوراق بطريركية الموارنة حيث يوصيه بهولا
الافرنج ويخوله الحق ان يسوسهم كشمعه فلو لم يكن للموارنة حينئذ نوع من
الاستقلال لما هرب الافرنج اليهم ولا استطاع بطريرك الموارنة ان يقبلهم ويضعهم
الى شعبه وسوف ترى شيئاً كثيراً يثبت ذلك

﴿ عدد ٨٥٨ ﴾

﴿ في بطارقة الموارنة في القرن الثاني عشر ﴾

لما قدم الفرنج الى سورية في اخر القرن الحادي عشر كان يوسف الجرجسي بطريكاً على الموارنة ولا نعلم في اية سنة قبل ذلك رقي الى هذا المقام بل علمنا انه لما فتح الفرنج اورشليم واقاموا غودفروا ملكاً عليهم واختاروا بطريكاً لاتينياً على اورشليم ارسلوا رسائل ووفداً الى الحبر الروماني البابا اوربانس الثاني يشرونه بما وفقهم الله اليه وارسل يوسف الجرجسي مع وفدهم نائباً عنه ورسالة الى الحبر الروماني يحقق بها طاعته له وتشبهه بالايمان الكاثوليكي فبلغت هذه الرسائل الى البابا بسكليس الثاني لان سافه البابا اوربانس الثاني كان قد توفي قبل فتح اورشليم باربعة عشر يوماً فسر البابا بسكليس بهذه الرسائل والوفد سروراً عظيماً وارسل الى بطريك الموارنة تاجاً وعكازاً روى ذلك الاسقف جبرائيل المحفدي المعروف بابن القلاعي في رسالة كتبها الى البطررك سمعان الحدي سنة ١٤٩٤ ومرهج بن نيرون البني في كتابه (افوليا) سلاح الايمان صفحة ٦٧ واورد لكويان قوليهما في المشرق المسيحي (مجلد ٣) في كلامه على بطارقة الموارنة وكان هذا البطرريك ساكناً في يانوح من عمل جليل

وروى لكويان في المحل المذكور ما روينا في كلامنا على توما اسقف كفرطاب انه كان يعقوبياً وصار من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة واتي الى لبنان قاصداً ان يستغوي الموارنة وانه قام لمناصبته يوسف بطريك الموارنة وارسانيوس مطران الماقوره وفندا تعليمه برسائلهما فوذله الجميع ولم يضل الا خوري كفرشع وبعض المغفلين الى ان قال لكويان ان هذا البطرريك بقي حياً الى سنة ١١١٩ هذا اذا كان هو الذي كتب رسالة الى البابا جيلاسيوس الثاني يهته بها بارفقائه الى الحبرية العظيمي ولما كان البابا جيلاسيوس لم يعيش الا زماناً وجيزاً (سنة وخمسة

اشهر) جاوبه البابا كاليستوس الثاني على رسالته سنة ١١١٩ كما روى ابن نيرون الباني في كتابه سلاح الايمان صفحة ٦٨ وربما كان البطريرك بطرس خليفة يوسف المذكور هو الذي كتب هذه الرسالة

وصير بعد البطريرك يوسف الجرجسي البطريرك بطرس الاول ولا شك في انه كان بطريركاً على الموارنة سنة ١١٢١ لان الكتاب السابع من الكتب السريانية المخطوطة التي نقلها السمعاني الى المكتبة الواتيكانية علق كاتيه على صفحة ٢٦٢ منه هذه الحاشية بالسريانية وترجمتها انا الحخير الراهب سمعان كتبت هذه الاسطر في هذا الكتاب الذي نسخته لابينا الطوباوي بطريركنا مار بطرس بطريرك الموارنة يساكن بدير ميفوق المقدس في وادي ايليج من عمل البترون الى ان امرني ان يكون رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في ارض كوزبند بجزيرة قبرس في ايام الرهبان الساكنين في دير القديس يوحنا المذكور وهذه اسماؤهم الراهب داود القس موسى الراهب يوسف النخومي والراهب جيورجيوس والراهب دانيال وهؤلاء كهنة يخدمون الله وكان ذلك سنة ١٤٣٢ يونانية (سنة ١١٢١ م) في اليوم الثاني عشر، يريد من تشرين الاول الذي كان السريان يتداون السنة منه ذكر ذلك السمعاني في المجلد الاول من المكتبة الشرقية صفحة ٣٧٠ ثم ذكره صفحة ٦١١ و ٦١٢ من المجلد المذكور

وقد ذكر الدويهي في تاريخه البطريرك بطرس هذا فقال: وفيها (اي في سنة ١١٢١) كان البطريرك بطرس قاطناً في دير سيدة ميفوق من اعمال البترون وبعث الرهبان القاطنون بدير مار يوحنا كزبند يخبرونه بوفاة رئيسهم ويسألونه ان يرأس عليهم القس سمعان الذي كان كاتباً عند قدسه وله اليد الطولى في الخط وفي زويق التصاوير كما هو واضح من كتاب ميامر مار يعقوب السروجي الذي كتبه بخط استرناكي على رق وهو مصان عندنا بدير سيدة قنوين، انتهى كلام الدويهي

ويظهر منه ان هذا الكتاب الذي كان في قنوين نقله السمعاني الى المكتبة الواتيكانية وخلف غريغوريوس الثالث من حالات بطرس الاول وقد ذكره الاسقف جبرائيل القلاعي في رسالته الى البطريرك سيمان الحديثي ومرهج بن نيرون الباني في كتابه سلاح الايمان وقال انه ارسل سنة ١١٣٠ وفدًا الى البابا اينوشنسيوس الثاني يهنئه بارتقائه الى الحبرية العظمى ولما ارسل هذا البابا الكردينال غويلمس الى المشرق بسبب الخلاف الشهير الذي كان حينئذ اذ غضب البابوية بطرس لاون وسعى انكليتس الثاني التقي البطريرك غريغوريوس الكردينال غويلمس الى اطرابلس وقدم صك طاعته للبابا اينوشنسيوس الثاني البابا الشرعي وقد ذكر ذلك البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخه فبعد ان اورد خبر هذا الخلاف ورجوع الاكثريين الى طاعة البابا الشرعي واقتداء الفرنج الذين بسورية بهم قال « وعلى شبه من تقدم ذكرهم نزل رؤساء الملة المارونية وعلماؤها الى مدينة اطرابلس وعلى يد الكردينال غويلمس قاصد البابا زخيا (اينوشنسيوس) حلقوا له الطاعة واعطوه خطوط ايديهم انهم لا يتمسكون بغيره ولا يكرزون الا باسمه »

وصير بعد غريغوريوس الثالث الحلاقي يعقوب الاول من رامات ببلاد البترون وقد روى العلامة السمعاني (في المجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٣٠٧) انه علق على احد كتب القديس يعقوب السروجي (وهو السابع من الكتب السريانية التي نقلها السمعاني الى المكتبة الواتيكانية) هذه الحاشية بالحرية « لما كان تاريخ سنة ١٤٥٢ يونانية (وافق سنة ١١٤١ م) في شهر تموز المبارك بعشرة ايام مضت منه حضر الى عندي انا بطرس بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي باسم يعقوب من قرية رامات من عمل البترون الولد الراهب دانيال من رهبان دير كفتون وقد اعطيته سلطان من الله ومن حقارتي بانه يكون رئيساً ومديراً على دير مار يوحنا الكوزبند في جزيرة قبرس المحروسة من الله تعالى بحسب ما

ورد من الاولاد الرهبان واولهم الراهب عيسى واليا والراهب موسى الراهب يوحنا واخاه يعقوب برضاهم وخطاظرهم وخط ايديهم ولربنا المجد امين ، وقال البطريك اسطفانس الدويهي في تاريخ سنة ١١٤٠ هـ وفيها كانت وفاة الرجل الفاضل القس سمعان رئيس دير مار يوحنا الكوزبند بقبرس وارسل لهم بدله البطريك يعقوب من رامات من عمل جيل القس دانيال من رهبان سيده كفتون الذي في كورة اطرابلس ومن بعد يعقوب الراماتي رقي الى الكرسي البطريكي يوحنا السابع سنة ١١٥١ وقد ولد في لحفد من عمل جيل وسكن اولاً في دير مار الياس في قريته ثم انتقل الى دير السيدة هابيل واقام هناك ديراً ووصفه الدويهي في تاريخ بطاركة الموارنة بانه كان ذا مكارم وفصاحة كما يظهر من التافور الذي كتبه وانه في مدة اقامته بلحفد رقي اربعة اساقفة لهماونته على تدير الشعب فسكن اقدمهم في دير القديس حوشب والثاني في دير القديس سمعان والثالث في دير القديس يشعاع والرابع في دير السيدة بلحفد وانه لما كان عيد الغنصرة حضر اليه شعب كثير ومعهم شماسة وكهنة ورهبان ورؤساء كهنة فانتقل من ديره الى دير السيدة الذي فوق هابيل حيث لم يكن ماء فخر بئراً وانثاً ديراً كبيراً وقد جاء في الآثار القديمة وفي الرسالة التي كتبها جبرائيل بن القلاعي الى القس جرجس بن بشاره في الفصل الحادي عشر ان دير هابيل المذكور استمر كرسياً لبطاركة الموارنة الى ايام البطريك ارميا الا اننا لم نعتز على اسماء هولاء البطاركة الذين اقاموا به لتثبت ذكرهم انتهى كلام الدويهي وقد وجد مكتوباً على كتاب الانجيل القديم الذي كان في بطريكية الموارنة ثم نقل الى المكتبة الماديشية بفيرنسا وذكر المطران اسطمان عواد الخطوط المعلقة عليه في كتابه فهرست هذه المكتبة فقال انه كتب على صفحة ١٨ سطر ٢٣ وما يليه ما يأتي بالعربية هـ لما كان تاريخ سنة ١٤٦٥ يونانية توافق سنة ١١٥٤ م ، ثامن يوم مضت من شهر ايلول حضر الى عندي انا بطرس بطرك الموارنة الجالس على الكرسي

الانطاكي القاطن بدير سيدة مي فوق في وادي ايليج الولد الراهب اشما من دير
 قزحيا وعلمته رئيس على الرهبان القاطنين في دير مار يوحنا دير الكوزبندو في
 جزيرة قبرس حسبما ورد من الاولاد الرهبان بخط ايديهم وهم الولد الراهب
 جبرائيل ورفيقه الراهب شمعون والراهب حبقوق والراهب ميخائيل ولرب المجد
 امين ، فبطرس هذا هو يوحنا الحفدي المذكور ويظهر ان بطاركتنا كانوا منذ
 تلك الايام يزيدون على اسمهم بطرس ويظهر ايضاً انه كان يقيم بسيدة مي فوق
 ايضاً. وقد ذكره السمعاني (في المجلد الاول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٢٢) وقال
 انه ولد في لحفد وانه خلف البطريرك يعقوب الراماتي وانه دبر الكنيسة المارونية
 من سنة ١١٥١ الى سنة ١١٧٣ وانه كتب نافورا ذكره البطريرك اسطفانس
 الدويهي في كتابه المنائر العشر في الفصل الثاني في مؤلفي النوافير الكاثوليكين
 فقال : يوحنا الحفدي الذي جلس على الكرسي الانطاكي بعد الالف والمائة من
 سني السيد المسيح له نافور بدو له **اللاهوت** **بها** **حدا** ايها الاله الكلي
 القداسة وهو مثبت في كتب القداس الموجودة في دير قوين

ان البطريرك اسطفانس الدويهي ذكر بعد البطريرك يوحنا الحفدي البطريرك
 ارميا العمشيتي لكن قال ما رويناه انفاً ان دير هايل استمر كرسياً لبطاركة الموارة
 الى ايام البطريرك ارميا الا اننا لم نشر على اسماء البطاركة الذين اقاموا هناك
 لتذكرهم فظهر انه كان بين يوحنا الحفدي وارميا العمشيتي بطاركة اخرون
 ولكويان في كلامه على بطاركة الموارة جعل يوحنا الحفدي الثامن والعشرين
 منهم ثم وضع الاعداد ٢٩ و ٣٠ و ٣١ وبمدها ايضاً لانه لم يهتد الى اسماء ثلاثة
 بطاركة ثم ذكر لوقا ايضاً قبل ارميا . وقال المطران اسطفانس عواد السمعاني في
 فهرست المكتبة المارونية صفحة ١٦ متكلاً في كراسي بطاركة الموارة ، رابعاً في
 دير القديس الياس بالحفد من ابرشية جيل حيث جلس يوحنا الحفدي خليفة

يقوب وهو الذي نقل الكرسي الى دير القديسة مريم بهابيل من ابرشية جيل المذكورة وهناك جلس بطرس وبطرس الاخر ولوقا المسمى بطرس . خامساً نقل الكرسي البطريركي ثانية الى دير القديسة مريم يانوح من ابرشية البترون حيث جلس ارميا ، ولا اشك البتة في انه كان بين يوحنا اللخندي وارميا العمشيتي بطاركة اخرون وعلى ذلك دليل قاطع غير ما صر من شهادة المؤرخين فقد ذكر السمعاني وغيره ان يوحنا اللخندي توفي سنة ١١٧٣ كما رايت وان ارميا توفي سنة ١٢٣٠ فلو كان ارميا خلف يوحنا للزم ان يكون ارميا استمر بطريركاً سبعا وخمسين سنة وهذا لا يصدق ومما لا ريب فيه ان ارميا العمشيتي شهد المجمع اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥ وان البابا اينوشسيوس الثالث كتب اليه براءته المثبتة في سجلات البراءات تلك السنة فلو كان قد صير بطريركاً سنة ١١٧٣ لكان له في البطريركية حينئذ اثنتان واربعون سنة فان فرضنا انه صير بطريركاً وعمره اربعون سنة فقط فيكون عمره سنة ١٢١٥ اثنتين وثمانين سنة ومن يصدق ان هراً بهذا العمر يتحمل مشاق السفر في تلك الايام الى رومة فاذا لا بد من ان كان بطاركة اخرون بين يوحنا اللخندي وارميا العمشيتي افولم نظر ما يقوله المؤرخون في ذلك

قال لكويان في المشرق المسيحي (متكلماً في بطاركة الموارنة) روى مراهج بن نيرون الاباني في مقالته في اسم الموارنة واصلمهم ودينهم نقلاً عن جبرائيل بن القلاعي في قصيدته في اصحاب البدع ان من اتبعوا ضلال توما اسقف كفرطاب (الذي كان قد توفي) اطغوا غيرهم من الموارنة بيدعة المشيئة الواحدة وتوافر عدد المظنين حتى ان البطريرك نفسه لم يذكر اسمه جنح الى ذلك فان ابن القلاعي يقول بما معناه انه بعد توما قام ابن شعبان واخذ يكتب ويعلم الاحداث ويبذر الضلال بين الموارنة وملاً كتبهم من الزوان وقام بعده ابن حسان من حدشيت واطفى اهل كفر ياشيت وكتب وغير الصلوات وانث سم الضلال في قرى اخرى

حتى اتصل الى الراس ايضاً اذ قال . ان البطريرك ابتلع السم بقدر ما يسع القم ،
ولذلك اجتمع رؤساء الموارنة واعيانهم وكثيرون من الشعب وجزموا جميعاً براي
واحد على ان ينفصلوا من شركة البطريرك فلم يعودوا يؤدونه الطاعة ولا يقبلونه
في البلاد بل حملتهم الحمية والغيرة الدينية على انهم حطوه عن مقامه وانتخبوا
بطريركاً اخر فمضى لذلك اصحاب البطريرك الغزول وقتلوا البطريرك الجديد وبعد
قتل هذا البطريرك تعاضم الخلاف والشغب بينهم فتدارك امرهم ايميريكس
البطريرك الانطاكي على اللاتين وسكن روعهم وخذ جزوة غضبهم وود المنون
عن غيهم فانفقوا جميعاً على انتخاب بطريرك صحيح المعتقد . قال لكويان هذا ما جاء
في التاريخ المذكور . ان ايميريكس ذا الذكر الصالح اتزع السم منهم وارشدهم
فطاعوه واهتم بنيل البركة لهم من الكرسي الرسولي واختاروا بطريركاً سكن في
هايل وحفظ كلما في الانجيل وكان ضليعاً في تفسير الاسفار المقدسة والف اشعاراً
كثيرة في الايمان . واختتم لكويان كلامه بقوله لا ريب عندي في ان هذا ما حمل
غويلمس استقف صور على ما كتبه من ان الموارنة كلهم رجعوا عن الضلال سنة
١١٨٢ على يد ايميريكس البطريرك الانطاكي مع ان هذا لا يصدق على الملة كلها
بل على بعضها فقط ويؤيد ذلك ما جاء في التاريخ المذكور . انهم ثبتوا في ايمان
مارون وذل المعاندون وعاد الوفاق والسلم ثابتين بين من كانوا مختلفين ، وكان
لكويان قد قال في مقدمات كلامه على الموارنة كما لم يعب افرنسة اتباع كثيرين من
اكليسها واعيانها مذهب لوتارس وكاوينس هكذا لا يعب الملة المارونية اتباع بعض
افرادها الضلال مدة ما

وبعد ايراد لكويان خبر هذه الاحداث ذكر لوقا الاول قائلاً ماخذت
جذوة الاضطراب بين الموارنة الا وقام رجل يسمى ابن شعبان رومي اصلاً
وعاونه مطران اسمه عيسى فبنا الضلال في بعض قرى لبنان وكان البطريرك اسمه

لوقا. وكان في اخر القرن الثاني عشر او بدء الثالث عشر فأنجاز اليهما واستشهد
لكويان لذلك نيرون الباني (في مقاله في اسم الموارنة صفحة ٩٨) الذي قال ان
المطران عيسى وابن شهبان علما الناس ان يضعوا اشارة الصليب باصبع واحدة
وبهذا المجمع الرابع واوجس الشيطان الى راهبين احدهما من يانوح والاخر من
دير نبوح فرعما ان المسيح لم تكن له نفس ولا تألم ولا كان يستطيع ان يشعر بالالام
وان البابا ارسل قاصداً لم يقبله البطريرك لوقا فحرم البابا اصحاب هذا الضلال ونشأ
بين الموارنة شقاق بسبب ذنك الراهبين الى ان يقول لكويان ان هذا الشقاق
استمر الى ان قام البطريرك ارميا خليفة لوقا المذكور انتهى

ان العلامة لكويان اعتمد في اراد هذا الخبر وذكر البطريرك لوقا على قول
نيرون الباني ونيرون اعتمد فيه على قول جبرائيل ابن القلاعي في بعض جزلياته
على ان البطريرك اسطفانس الدويني افرد الفصل التاسع من كتابه في رد التهم
عن الموارنة لتنفيذ قول ابن القلاعي المذكور مينا ان البطريرك لوقا من بهوان لم
يكن في القرن الثاني عشر او اول الثالث عشر بل في اخر القرن الثالث عشر او
اول الرابع عشر وانه لم يجب بضلال وان الحكام الذين ذكر ابن القلاعي ان هذه
الاحداث كانت في ايامهم لم يكونوا في ذلك العصر بل بعده بسنين كثيرة وان جل
مقصد ابن القلاعي كان يبين للمقدم عبد المنعم حاكم بشري الذي زاغ عن الايمان
القوم وشايح اليعاقبة ان كل من شذوا عنه انتقم الله منهم فلم يرع نظام تاريخ السنين
الى غير ذلك من الادلة القاطعة فضلاً عن ان ابن شعبان الذي ذكره لكويان هنا
كان ذكره قبلاً وعن انا سنين ان ارميا العشيقي كان بطريركاً في المدة التي عينها
لكويان للبطريرك لوقا

قد افضل علينا العلامة المطران اسطفانس عواد السمعاني بنشره مثلاً لخط

يد البطريرك ارميا عشر عليه في كتاب الاناجيل القديم الموجود الان في المكتبة

الماريشية فيرنسا وكان قبلاً في بطريكية الموارة وطبع هذا المثال في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة المذكورة ومنه يتبين زمان ارتقاء ارميا الى الاسقفية وسنة انتخابه بطريكاً والحط بالسريانية والاحرف المسماة استرنكلية وهذه ترجمته بحروفه في سنة ١٥٩٠ يونانية في اليوم التاسع من شباط آيت انا الحخير ارميا من قرية دملصا المباركة الى دير سيدتنا القديسة صريم بميقوق في وادي ايليج من عمل البترون الى سيدنا بطرس بطريك الموارة ورسومي يديه المقدستين وجملي مطراناً على دير كفتون المقدس الذي على ضفة النهر وبقيت هناك اربع سنين وكان سكان الدير المذكور الراهب حزقيال ورفيقه الراهب اشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه ايليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني امير جيل والاساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة والقوا قرعة فاصابني وصيروني بطريكاً في دير حالات المقدس ثم ارسلوني الى رومة المدينة العظمى وتركت اخا المطران توادورس يدبر الرعية ويهتم بشؤونها.

ان في هذا الحط زلة قلم اما من الذي اخذ المثال او من ارميا الذي كتب الحط فسنه ١٥٩٠ يونانية توافي سنة ١٢٧٩ مسيحية ورميا كان قبل هذه السنة بنحو قرن ويكفيها مؤنة بيان هذا الغلط براءة البابا انوشنسيوس الثالث المنفذة اليه باسمه مؤرخة في سنة ١٢١٥ وقد اجمعوا على انه شهد المجمع اللاتراني الرابع ولا يخلف اثنان في ان هذا المجمع عقد سنة ١٢١٥ وليس بين اسماء بطاركتنا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر اسم ارميا الا ارميا هذا ولذلك روى المطران اسطفان عواد في ترجمته هذه العبارة الى اللاتينية سنة ١٤٩٠ لا سنة ١٥٩٠ وذكر موافقتها لسنة ١١٧٩ لا لسنة ١٢٧٩ وعليه فلما كان ارميا رقي الى درجة الاسقفية سنة ١١٧٩ كما في صحيح الحط وقال انه انتخب بطريكاً بعد اربع سنين كان انتخابه بطريكاً سنة ١١٨٣ اي بعد حصول الوفاق بين الحزبين المختلفين من الموارة بسنة

واحدة او بعض اشهر فقط لانه يَحتمل ان يكون الوفاق حصل في اخر سنة ١١٨٢
وانتخاب البطريك كان في اول سنة ١١٨٣ ولما كان رايانا هذا مستنداً الى ما خطته
يد ارميا قد اعتمدها مفضلاً على غيره لهذا الاستناد

قال لكويان في المشرق المسيحي قال البطريك اسطفانس الدويهي في الجدول
الذي وضعه لبطاركة الموارنة ان ارميا ارتقى الى البطريكية سنة ١٢٠٩ وكان من
عشيت من عمل جليل وكان رجلاً فاضلاً باراً ذا غيرة على الدين القويم اقام
يانوح ودخل رومة العظمى بنفسه وحضر للمجمع الذي انعقد بلا تران في ايام البابا
اينوشنسيوس الثالث وقال نيرون الباني في مقاليته المذكورة صفحة ١٠١ انه عندما
صير بطريكاً مضى الى رومة اغراه بذلك امير جليل وترك المطران توادورس من
كفرفو (بجبة بشري) نائباً له في البطريكية ليتمس علاجاً للشؤون التي كانت في
ايام سالنه وهذا يظهر ايضاً من براءة البابا اينوشنسيوس الثالث حيث يقول انه
شهد المجمع اللاتراني ولما بلغ الى رومة خر على قدمي البابا وكله متذللاً وساله
بركته له ولشعبه فغراه البابا واجابه الى كل ما ساله وبقي هناك مسروراً خمس
سنين وستة اشهر وروى ابن القلاعي والبطرك اسطفان الدويهي ان البطريك
ارميا كان يوماً يقدس بحضرة البابا ولما انتهى الى رفع القربان رفعه وبقي معلقاً فوق
راسه فعظم البابا قداسه واصر بنقش صورة هذه الآية على جدار الكنيسة قال
الدويهي بقيت هذه الصورة الى ايامنا في كنيسة القديس بطرس القدينة وبعد ان
فرغ ارميا من مهامه برومة سال البابا ان يرخص له بالعود الى بلاده فخرج من
رومة مبتهجاً طيب القلب لان البابا نوله كل سلطان طلبه وارسل معه الكردينال
غوليلمس مفوضاً اليه ان ياخذ من شعب لبنان دستور اعترافهم بالايمان وكان خروج
ارميا من رومة في ٣ كانون الثاني سنة ١٢١٥ (قال لكويان في حسابنا سنة ١٢١٦
لان المجمع اللاتراني عقد سنة ١٢١٥ وهو سافر في ٣ كانون الاخر) وبلغ الى

١٩٦ في ما نعرفه من اديار الموارة وكنائسهم الى اخر القرن الثاني عشر

اطرابلس في شهر اذار ولما علم المطران توادورس نأبة بجنبر قدومه جمع جماعاً غفيراً من الموارة ولم يدوا شعائر سرورهم الا بعد ما بلغهم البطريرك بركة البركة الحبر الروماني وانشأوا صكاً أثبتوا به بايمانهم واختامهم انهم منشثون بايمان بطرس لا يزيفون عنه وسلموا ذلك الصك الى الكردينال غوليلس وكان عدد من وقعوا عليه ميتين وسبعين رجلاً وفي جدول بطاركة الموارة الذي وضعه البطريرك الدويهي ان ارميا توفي سنة ١٢٣٠ في دير السيدة بمفوق انتمت رواية لكويان

وغندي في وفاة البطريرك ارميا سنة ١٢٣٠ نظر من قيل انه اذا كان صير بطريكاً سنة ١١٨٣ وهذا ثابت بخط ارميا نفسه فيكون استمر بطريكاً سبعاً واربعين سنة وهذا يصعب القطع به ولهذا ارى صيرورته بطريكاً سنة ١١٨٣ أثبت من ان وفاته كانت سنة ١٢٣٠ لان الاول مسنود الى خط يده واما الثاني فلا سند له كهذا ويضاده طول مدة بطريركيته والله اعلم . وقد اتحف البابا انوشنسيوس البطريرك ارميا بتاج وعكاز وغيرها من الملابس السبعة واخذ قدماً منذ ذلك الحين يقتربون من عادات اللاتينية في الملابس الكهنوتية وغيرها كما حقق السمعاني في المجلد الرابع من مكتبة التاموس

﴿ عدد ٨٥٩ ﴾

﴿ في ما نعرفه من اديار الموارة وكنائسهم الى اخر القرن الثاني عشر ﴾
لا نقصد ان نتكلم عن اديار الموارة وكنائسهم القديمة مستدين الى قدمها بهيئة بنائها فهذا يستلزم معاينتها ولا حظ لنا في ذلك ويقضي علم الآثار القديمة ولا مخبرة لنا فيه فكلانا مقصور على ما ورد له منها ذكر في التواريخ
فال اديار الموارة الدير الذي بناه اهل حماة على ضريح القديس مارون بين حماه وحمص على العاصي وسمي دير البلور لحسن بنائه وكثرة الرهبان فيه حتى كان به ثمانماية راهب وكان اول الاديرة في سورية الثانية كما يظهر من توقيع رئيسه على

العريضة التي رفعت الى البابا هر مزدا وعلى غيرها من المرائض المعلقة في ذيل
اعمال المجمع الخامس وقد ذك هذا الدير الملك انسطاس وقتل من رهبانه ثلثمائة
وخمسين راهباً لسبب مدافعتهم عن رسوم المجمع الخلكيدوني المقدس ثم جدد بناء
الملك يوستينانس الاول كما شهد بروكوب القيصري (في له في ابنة يوستينانس
فصل ٩) وعاد مزهراً برهبانه الى ان تقضته عساكر يوستينانس الثاني الاخرم سنة
٦٩٤ وقتلوا من رهبانه خمس مائة راهب (طالع ما ذكرناه في تاريخ الموارنة في
القرون الخامس والسادس والسابع)

والدير الثاني القديم للموارنة هو الدير الذي انشأه القديس يوحنا مارون
بطيركنا الاول على اسم القديس مارون في شرقي كفرحي من عمل البترون
ونقل اليه هامة القديس مارون وكرس كنيسته في الخامس من كانون الثاني وامر
ان يعيد للقديس مارون في ذلك اليوم واستمر الموارنة يبيدون له فيه قرناً وقد
عاد البطيرك دانيال الشاماتي الى السكنى بهذا الدير في القرن الثالث عشر
والبناك دير السيدة العذراء في يانوح انشاء جبرائيل الثالث من بطاركة
طائفتنا او خليفته يوحنا الثاني المعروف بمارون ايضاً واقام هناك بطاركتنا الى سنة
١١٢٥ ثم سكنوا في دير ميقوق ودير لحفد ودير هابيل الآتي ذكرها ثم عادوا
الى دير يانوح حيث اقام ارميا العمشيتي والبابا اينوشنسيوس الثالث يسمي كنيسة
السيدة في يانوح كنيسة البطريركية في براءته الى البطيرك ارميا المذكور ثم تركوا
هذا الدير مدة وعادوا اليه فسكنه البطيرك شمعون الموجهة اليه رسالة البابا
اسكندر الرابع مؤرخة في اول شباط سنة ١٢٥٦ وفيها ذكر الكنيسة البطريركية
في يانوح

والرابع دير السيدة بميقوق وقد جاء في مجعنا اللبناني (صفحة ٤٣١ من الطبعة

الحديثة) انه استقر في هذا الدير البطيرك بطرس خليفة البطيرك يوسف الجرجسي

وغرينوريوس الحالاتي ويعقوب الراماتي وقد ذكرنا في العدد السابق خطين مؤذين باقامة البطريرك بطرس المذكور في هذا الدير سنة ١١٢١ وفي الدير المذكور الى الان آثار دالة على ذلك منها خط منيء بتجديد الدير المذكور ومشير الى بناءه القديم وهو **حضر الله اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا**.
اها اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا
اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا
اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا
 هذا الهيكل اخوان كاهنان امون وامين وكان قد أسأه اربعة بطاركة بطرس وارميا ويعقوب ويوحنا سنة ١١٢١. وهناك خط اخر ذكره البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخه (صفحة ١١٣) ولم يزل موجوداً وهو **حضر الله اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا**
اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا
اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا
اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا
 في سنة ١٥٨٨ من سني اليونان (وهي سنة ١٢٧٧ م) كل بناء هذا الهيكل على اسم والدة الله صلاتها معنا على يد اناس خطاة داود القس ومرقس ويوحنا، وفي وسط هذا الخط صلب كتب حوله بك تعهر اعداوا وباسمك نذل مبغضينا والذي رواه الدويهي من هذا الخط نرى فيه كلمة **اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا** بدلاً من كlette **اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا اهدا** اي كل هذا الهيكل المنسوب الى يعقوب احد البطاركة وهو الثالث من البطاركة الاربعة المذكورين بالخط الاول وقد ترك بطاركتا السكني بهذا الدير ثم عادوا اليه فاستقر به البطاركة يعقوب ودانيال الحدشيتي ولوقا الزهراني وشمعون ويوحنا وجبرائيل من حجولا الذي توفي شهيداً سنة ١٢٦٧
 والخامس دير القديس الياس في حنفد من عمل جليل استقر فيه البطريرك

يوحنا اللخفدي خليفة البطريرك يعقوب الراماتي وقد مر في كلامنا على البطريرك
يوحنا المذكور انه كان في لحفد اربعة اديار اخرى : دير القديس حوشب ودير
القديس سمعان ودير القديس اليشاع ودير السيدة العذراء اقام بها اربعة اساقفة
على ما في الرواية المذكورة

والسادس دير السيدة العذراء في هاييل انشاء البطريرك يوحنا اللخفدي بعد
ان انتقل من لحفد الى هاييل في اواسط القرن الثاني عشر

والسابع دير القديس انطونيوس المعروف بدير قزحيا ويظهر ان هذا الدير قديم
جدا لانه جاء في براءة البابا ايوشنسيوس الثالث الى البطريرك ارميا في سنة ١٢١٥ ذكر
دير قزحيا بمنزلة اول كرسي لاساقفة الموارنة لانه عند تعداده كراسي الاساقفة
الحاضرين لبطريركيته ذكر دير قزحيا اولاً وكان بعض علمائنا لترجمتهم كلام هذا
البابا عن اللغات الاجنبية تصحف عليهم قزحيا بمار اسيا واتباعهم على ذلك عند
ذكرنا كلام هذا البابا في بعض كتبنا الى ان راينا العلامة السمعاني يسميه في كتاب
المجمع اللبناني باللاتينية **hassaya** فانتهينا الى ان المراد قزحيا

وقد طاق البطريرك بطرس وهو يوحنا اللخفدي على كتاب الاناجيل القديم
الخط الذي ذكرناه في كلامنا في العدد السالف على هذا البطريرك منبأً بانه حضر
اليه سنة ١١٥٤ الراهب اشعيا من دير قزحيا وراسه على دير الكوزبند في قبرس
الثامن دير القديس يوحنا في كوزبند بقبرس فهذا الدير قد جاء ذكره في
عدة خطوط منها خط الراهب سمعان المعلق على الكتاب السابع من الكتب التي
نقلها السمعاني من المشرق الى المكتبة الوايكانية ميئاً فيه ان البطريرك بطرس الذي
كان سنة ١١٢١ جملة رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في كوزبند وقد ذكرنا
هذا الخط بحروفه عند كلامنا على البطريرك المذكور ومنها الخط الذي علقه البطريرك
يعقوب الراماتي على احد كتب السروجي وحقواه انه قد رأس دانيال راهب

دير كفتون على دير القديس يوحنا بكوزبند سنة ١١٤١ وقد ذكرنا هذا الخط ايضاً
بحروفه في كلامنا على البطريرك المذكور ومنها الخط الذي ذكرناه آنفاً المؤذن
بتسمية البطريرك يوحنا اللحفدي اشعيا راهب دير قزحيا رئيساً على دير كوزبند
ومنها خط في القرن الثالث عشر علقه البطريرك يوحنا الجاجي على كتاب
الاناجيل المذكور بالسريانية وهذه ترجمته . لما كانت سنة ١٥٥٠ يونانية (توافق سنة
١٢٣٩ م) انا بطرس بطريرك الموارة الجالس على الكرسي الانطاكي والمسمى يوحنا
من قرية جاج والساكن بالدير المبارك دير السيدة مريم بيمفوق ابي من دير
الكوزبند القس المسمى متى وهو كاهن تقي بتول واخذ مني ثلث مئة دينار وحقاً
للميرون للدير المذكور واخذ معه كتاب التوراة لموسى بالعربية وكتاب التاموس
وكتاب الايمان ولله المجد امين .

التاسع دير كفتون وقد جاء ذكره في ما خطته يد البطريرك ارميا العمشيتي
على كتاب الاناجيل المذكور مراراً قل ان البطريرك بطرس رفاقه الى الاسقفية
على هذا الدير وان رهبانه حينئذ كانوا اثنين وثلاثين راهباً وفي الخط الذي علقه
البطريرك يعقوب الراماتي المؤذن بانه راس دانيال راهب دير كفتون على دير
كوزبند وهذا الدير الذي كان للموارنة انتقل في ما بعد الى يد الروم الملكيين غير
الكاثوليكين كما سوف ترى

العاشر دير القديس سرجيوس او سركيس في حردين قد استدلنا على قدم
هذا الدير بخطوط علفت على كتاب الاناجيل وهو الثاني من الكتب السريانية
التي ذكرها اسطمان عواد في كتابه فهرست المكتبة المارديشية وقال انه كتب قبل
القرن التاسع وانه كان يخص قديماً اقليمس رئيس الكهنة ثم انتقل الى واريه
اولاده برصوما وسليمان وفيلبس وهؤلاء وقفوه على دير القديس سرجيوس في
حردين من ابرشية طرابلس ثم انتقل الى دير القديسة مريم في يانوح ثم الى دير

القديسة مريم بقنوبين كما يظهر من الخطوط المعلقة عليه فقد كتب عليه في الصفحة الاولى ما ترجمته بقوة الله الحي القدوس انا عبد المسيح ارميا البطريرك وقت هذا الكتاب وما تركه داود ويوسف لديري وفقاً موبداً وكل من اخذه منه كان ملعوناً من الله ومن كهنته ، فيظهر ان داود ويوسف المذكورين كانا من الاقارب الاذنين لارميا واوصيا عند اختصارها بهذا الكتاب وما يملكان من حقول وكروم وغيرها فوقها على ديريه وقد كتب على هذا الكتاب ايضاً بخط البطريرك ارميا في الصفحة المذكورة ، قد استراحت وانتقلت من هذه الحياة عالم الشرور الى العالم الاخر المقيم بالسرور الراهبة المحصنة ابنة داود يوم الجمعة في السادس من تشرين الثاني سنة ١٥١١ لاسكندر (توافق سنة ١١٩٩) ويقين من هذا الخط ايضاً ان ارميا صير بطريكاً سنة ١١٨٣ كما روينا سنداً الى خطه الاخر لا سنة ١٢٠٩ كما روى غيراً وجاء بعد ذلك ، قد استراحت الراهبة ساره بعد عشرة اشهر من تحضرها يوم الاحد في الثامن من آب فلتكون اهلاً للذكر الصالح لانها تبت كثيراً في دير القديس سركيس مع باقي الراهبات اولاهن الله السلام والراحة مع العذارى الحكيمات ، وقال المطران اسطفان عواد بعد ايراد هذا الخط انه كان بالقرب من حردين ديران قديمان جداً حذاء كنيسة القديس سركيس احدهما كان مدة كرسياً بطريكاً ومقاماً لرهبان كثيرين من الموارنة والثاني ديراً للراهبات وبقي الديران الى سنة ١٤٥٠ وبمدئذ ترك الرهبان والراهبات الديرين لتوالي صروف الدهر ولم يبق الى الآن الا اطلال كنيسة القديس سركيس وقال انه كان قديماً عند الموارنة والنساطرة واليمساقه عدا راهبات الاديرة واهبات محصنات او حبيسات فهولاء بعد ان يمشن في الدير تلك سنوات ينقطعن في صومعة قريبة من الدير متحجبات عن معاشره الناس والخطان المذكوران ينسا انه كان عند الموارنة في ذلك العصر مثل هولاء الحبيسات قلت ومثل هولاء كورا

ومارانا راهبات القديس مارون المار ذكرهما

وجاء في الكتاب المذكور ايضاً صفحة ٩٨ بسم الله الحي قد وقفت اشبونة ابنة لياس على دير القديس سرقيس الكرم الذي لها عند العين ليخولها الله خلاص نفسها وصحة جسدها وكان هذا الوقف سنة ١٥٠٩ يونانية (توافق سنة ١١٩٨ م) يوم عيد القديس سرقيس ونشهد بذلك نحن الكهنة تادي وجيور جيوس وبولس الحادي عشر كنيسة القديسين نهرا وباسيليوس في صمار جيل قال المطران اسطفان عواد السهماني في كتابه المذكور ان كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا التي سميا العامة ماري نوهرا والتي يكرمها من اقدم الايام الموارنة بل الاراطقة والمشاقون وغير المؤمنين ايضاً وهي في ابرشية جيل (تحسب الان من عمل البترون) حذا القلعة الحصينة التي بناها حكام طرابلس من اللاتينيين في القرن الثاني عشر للذب عن هذه الناحية من غارات المسلمين واطلاها الباقية الى الان دالة على عظمتها وقد اعتاد المؤمنون بل غير المؤمنين ايضاً ان يقدموا البخور والشموع وغيرها من التبادم لكنيسة القديسين باسيليوس ونهرا القائمة بجانب هذه القلعة توسلاً بشفاعة هذين القديسين وذكر من الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل الثاني المذكور خطأ علق على الصفحة الاولى منه بالسريانية هذه ترجمته : بسم علة كل مخلوق في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة ١٢٦٩ م) اقتسم بنو الحوري اقليمس خدمة كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا بينهم مشاهرة فاصاب برصوما كانون وكانون وحزيران وتموز واصاب اخويه سليمان وفيلبس الثمانية الاشهر الباقية ، وخطاً اخر علق على صفحة ٤ بالسريانية وهذه ترجمته : بسم الله الحي في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة ١٢٦٩ م) قد وقف الثماس يوسف لكنيسة القديسين باسيليوس ونهرا جميع متروكات امراته المتوفاة ، وخطاً علق على صفحة ٩ بالعربية الا البسمة وهذا هو **حفظ الكتاب** (بسم الله الحي) في سنة الف وسبعماية كذا كتبت ولكن

ترجمها المطران اسطفان المذكور سنة ١٥٦٥ لانه وفقها الى سنة ١٢٤٥ م) وخمسة وستين يونانية سليمان ابن توما من حر دو (لعلمها حردين) اوهب لكنيسة مار باسيليوس ومار نهر احمقطين زيتون بقرب قرية بشري عن نفسه ونفس اخوه من يستخلصها يكون حظه مع يوداس الاسخريوطي ، فهذه الخطوط مؤرخة في القرن الثالث عشر لكنها مشعرة بان هذه الكنيسة اقدم من ذلك العصر . الثاني عشر كنيسة القديس ادنه في العاقورة فقد ورد مرات ذكر المطران ارسانيوس اسقف العاقورة الجالس في دير القديس ادنه في العاقورة واطلال هذه الكنيسة ما زالت في العاقورة وتعرف بهذا الاسم الان وجاء في تاريخ سنة ١٢١١ من تاريخ البطريرك اسطفانس الديوهي ، في هذا الزمان اخذ ابناء ملتنا بلبنان يقرعون نواقيس من نحاس بدل الحطب للصلاة والقداس وفاضت نعم الله بين ايديهم فانشأوا كنائس وادياراً ومدارس يقصدها الناس لخدمة الله وخلص نفوسهم وكان للخوري باسيل من بشري تلك بنات اسماهن تقلا وصالومي وصريم نذرن لله عذرتهن وانفقن جميع ما يملكن في بناء الكنائس وتجهيزها فبنت تقلا في هذه السنة كنيسة القديس جيورجوس والقديس دوامط في بقرقاشا وكنيستين للقديس لايي الرسول والقديس سرجيوس الشهيد في بشنين بالزاوية ، وفي سنة ١١١٣ رقدت بالرب وبنت اختها مريم كنيسة القديس سابا في بشري واختها صالومي كنيسة القديس دايمال في الحدث ، واما دير قنوبين فهو اقدم من هذه الكنائس اذ يقال ان الملك توادوسيوس امر ببنائه وفي رواية ان توادوسيوس الذي بناه ليس هو الملك بل سائح يسمى توادوسيوس نسطك في المغارة التي هناك وبني شيئاً حولها وصوف نتكلم عليه في ما بعد عند ما نذكر نقل الكرسي البطريركي اليه في اواسط القرن الخامس عشر ان قدرنا الله على ايصال تاريخنا الى ذلك القرن

﴿ عدد ٨٦٠ ﴾

﴿ في تنيد زعم غويلمس الصوري ان الموارة ارعوا عن الضلال سنة ١١٨٢ ﴾
 روى غويلمس اسقف صور اللاتيني في كتابه ٢٢ في الحرب فصل ٨ ما ترجمته
 • لما استراحت الملكة (مملكة اورشليم) من حرب صلاح الدين سرت سروراً
 موقوتاً في ان ملة من السريان تسكن في عمل من فونيتي في سفح لبنان قريب من
 جيل طراً عليها تغير مهم لانهم بعد ان كانوا اتبعوا مدة خمماية سنة ضلال مارون
 المبتدع وتسموا موارة نسبة اليه وكانوا يتمون اسرارهم منفصلين عن جماعة المؤمنين
 استفاقوا بالهام الله وهبوا من تقاعدهم وهاموا الى اميريكس بطيرك انطاكية
 اللاتيني وهو الثالث من البطاركة اللاتين الذين تراسوا هذه الكنيسة وارعوا
 عن الضلال الذي كانوا متسكمين به ورجعوا الى وحدة الكنيسة الكاثوليكية
 واعتقوا الايمان القويم وحافظوا على تقليدات الكنيسة الرومانية بكل احترام واجلال
 ولم يكن عدد هذا الشعب يسيراً بل كان يقال انهم يجاوزون الاربعين الفاً منتشرين
 في اسقيات جيل والبقرون وطرابلس وسفح لبنان وهذا الجبل كما صر وكانوا
 رجالاً اشداء مدربين بالحروب وكانوا نافعين لنا جداً في مهامنا الخطيرة وفي اغاراتهم
 المتواترة على الاعداء ولهذا سر قومنا كل السرور برجوعهم الى الايمان القويم واما
 ضلال مارون وتباعه فهو انه كان في ربنا يسوع المسيح مشيئة واحدة وفعل واحد
 كما يظهر من المجمع السادس انه عقد لبند ضلالهم والذي حكم عليهم بالحرم وزادوا
 على هذا المعتقد الرذول من الكنيسة الارثوذكسية اشياء اخرى مضرة بعد ان
 انفصلوا من جماعة المؤمنين ولما ندموا على هذه الاشياء جميعها كما قدمنا ارعوا الى
 الكنيسة الكاثوليكية مع بطيركهم وبعض اساقفتهم الذين كما تقدموهم بالضلال
 تقدموهم بالعود القوي الى الاقرار بالحقيقة انتهى مترجماً بكل دقة عما رواه بارونيوس
 في تاريخ سنة ١١٨٢ بحروفه اللاتينية من كلام غويلمس الصوري

ان كلام غوليمس هذا يتضمن امرين الاول اخباره عن تسكع الموارنة
 خمس مئة سنة في الضلال تبعاً لمارون المبتدع وانقاد المجمع السادس لبذلالهم
 وحرمة لهم. والثاني خبره عن ارتجاعهم على يد ايميريكس بطريك انطاكية فالاول
 كاذب بجملة والثاني صادق في بعض الموارنة لا كلهم وهالك البيان الاول ان غوليمس
 يقول ان المجمع السادس عقد ضد الموارنة (كما هي حرفية العبارة) وانه حرّمهم
 فتراهن كل من شاء على ان يبين لنا كلمة او اشارة في النص اليوناني لهذا المجمع او
 في ترجمته اللاتينية القديمة تشير بان هذا المجمع عقد ضد الموارنة او بانه حرّمهم فان
 ابانها سلمنا طائعين بكلماتهمنا به خصومنا من هذا القيل وان استحال عليه ان يجد
 مثل هذه الكلمة او الاشارة فلينكف عن ثلثنا ويوقن بان غوليمس اختر باعماده على
 تاريخ سعيد بن البطريق الذي جعل البابا انوربوس والملك هرقل وسرجيوس
 وبيروس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية وقورش بطريك اسكندرية جميعاً
 موارنة وهو امر مضحك يسخر منه كل عالم وانكره على ابن البطريق كل محقق
 حتى بوكوك اول من ترجم تاريخه وسلدانس الذي طبعه

ان زعم غوليمس ان الموارنة اتبعوا ضلال مارون المبتدع وتسكعوا به خمس
 مئة سنة لا اس له الا خرافة سعيد بن البطريق وقد ذكرناها مراراً ولا بد الان
 من مراجعة خلاصتها كان في عصر موريق ملك الروم واهب اسمه مارون كان
 يقول ان في المسيح مثنى واحدة وفماً واحداً ولما مات بنى له سكان حواء ديراً
 واتبعوا اعتقاده سموا وموارنة. وقد اقر غوليمس نفسه انه اعتمد على شهادة
 سعيد بن البطريق اذ صرح في مقدمة كتاب تاريخه ان اموري ملك اورشليم دفع
 اليه بعض كتب عربية في جعلها تاريخ سعيد المذكور واقترح عليه كتب تاريخ
 فاعتمد خاصة على تاريخ الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري
 وقد اشار الى ذلك البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره الاقي ذكره بقوله ان

شهادة غوليمس ليست بكافية لتأييد الراي المضاد للموارنة ولربما عرف غوليمس نفسه ضعف قوله ولذلك عزاه الى المجلد الثاني من تاريخ سعيد الاسكندري ، واما كون حكاية سعيد هذه هي التي اعتمد عليها غوليمس من البرهات البسباس فقد اجاد بيانه العلامة البابا باديكس الرابع عشر في منشوره في اثبات قداسة القديس مارون الذي اثبتنا ترجمته في عدد ٧١١ حيث اورد هذا البابا الجهد ادلة على ذلك يستحيل نقضها منها ان القديس مارون كان في اخر القرن الرابع واول القرن الخامس وبدعة المشيئة الواحدة لم تظهر الا في القرن السابع فينه وبين ظهورها قرنان فن الحال ان يكون مارون ابتدعها ومنها ان دير القديس مارون الذي روي ابن البطريق ان سكان حماه بنوه على اسمه كان قبل ظهور هذه البدعة بقرنين ايضاً اذ كان ديراً مشهوراً برهبانه الافاضل من القرنين الخامس والسادس كما يظهر من رسائلهم الى البابا هرمزدا وغيره المعلقة في ذيل المجمع الخامس ولما دك هذا الدير انسطاس الملك جدد بناء الملك يوستيناس الاول الذي توفي سنة ٤٦٥ كما حقق بروكوبوس القيصري في الكتاب الخامس في ابنة يوستيناس وهذا المؤرخ كان من رجال دولة يوستيناس المذكور وعليه فن شاء ان يكابر مدعي صحة شهادة غوليمس المؤسسة على شهادة ابن البطريق فليرد ولو هذين الدليين اللذين اوردهما البابا باديكس او يثبت ان غوليمس اعتمد على غير سعيد في زعمه هذا عن الموارنة فنسلم طائمين بقي ان يقال ان مارون الذي ذكره ابن البطريق وانتحل غوليمس قوله ليس مارون الرئيس بل يوحنا مارون البطريرك الذي كان في القرن السابع . فنحجب ان هذا الزعم ايضاً باطل بل محال لان يوحنا مارون لم يكن في ايام موريق ولا بني اهل حماه على اسمه ديراً كما قال ابن البطريق بل صير اسقفاً على البترون سنة ٦٧٥ او سنة ٦٧٦ وبطريركاً سنة ٦٨٥ وتوفي سنة ٧٠٧ فاشتهر في عصر الملك قسطنطين الهيماني ويوستيناس الثاني الاخرم لا في عصر موريق الذي كان في اخر القرن

السادس وقد صرح البابا باديكوس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤ ان الموارنة انما انتخبوا بطريركاً خاصاً عليهم وهو يوحنا مارون ليقوا نفوسهم من بدعة المشيئة الواحدة فما انذى بقي من القوة لزعم غويلمس او غيره من خصومنا ان يوحنا مارون ابتدع هذه البدعة فضلاً عن الاجماع على ان يوحنا مارون توفى سنة ٧٠٧ وان ظهور بدعة المشيئة الواحدة كان سنة ٦٢٨ فلو فرضنا انه عاش ثمانين سنة لكان مولده سنة ٦٢٧ فكيف يتسدد بدعة وعمره سنة او ستان وان قيل اتبع هذه البدعة بعداً فلم لا نجد اسمه بين من حرمهم المجمع السادس وغويلمس يزعم ان المجمع السادس عقد ضد الموارنة وحرّمهم ولا يستطيع هو او غيره اياً كان ان يحجوا بكلمة او اشارة من النص اليوناني لهذا المجمع او من ترجمته اللاتينية يتبين بها اسم مارون او الموارنة مع ان هذا المجمع عدد اسماء كل منشي هذه البدعة ومن شايعهم عليها فلم صمت عن مارون او يوحنا مارون او الموارنة

ان كلما اوردناه في المجلد الخامس لاثبات براءة المارونيين والموارنة من هذه البدعة من شهادات الاحبار الاعظمين وكردالة الكنيسة الرومانية وقصاها والعلماء المحققين والادلة القاطعة على ثبوت الموارنة في الايمان الكاثوليكي منذ ظهور هذه البدعة الى سنة ١١٨٢ كل ذلك يصلح ان يكون برهاناً قاطعاً على بطلان زعم غويلمس ان الموارنة تشبثوا ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة وارعوا عنها سنة ١١٨٢

وقد قد هذه الهمّة ككثيرون من العلماء الغربيين والشرقيين وزيفها من علمائنا ككثيرون نخص بالذكر منهم البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخه وفي كتابه ردّ الهم والعلامة السمعاني في مواضع كثيرة من المكتبة الشرقية ومن مكتبة التاموس وغيرها من كتبه والمطران اسطفانس عواد السمعاني في محاماته

عن القديس يوحنا مارون وفي كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية
 والبطيريك يوسف اسطفان في محاماته عن قداسة القديس يوحنا مارون والحوري
 انطون القيلة في رده رسالة القس يوحنا عجيمة والبطيريك بولس مسعد في كتابه
 الدر المنظوم وانا احقر هؤلاء العلماء الذي لا استحق ان اذكر في عديدهم في
 كتابي روح الردود وفي كتيب رفته في السنة السانفة الى علماء مجتمع الآثار القديمة
 الذي التأم برومة سنة ١٩٠٠ وساذكر شهادة بعض مشاهير المؤرخين اللاتينيين
 واما القسم الثاني من شهادة غويلمس الصوري وهو ما رواه عن ارتداد
 الموارنة على يد ايميريكوس بطيريك انطاكية اللاتيني فلا نجد صدقه على فريق من
 الموارنة فقد رايت ما ذكرناه في الكلام على بطاركة طائفتنا في هذا القرن عدد
 ٨٥٨ عن اتحاد فريق من الموارنة لمقالة توما اسقف كفرطاب وبث بعد وفاته
 ابن شعبان وان حسان ضلاله بين الموارنة حتى اطغوا سكان بعض القرى منهم
 اهل كفر ياشيت وخرج البطيريك نفسه الى ضلالهم فنهض لمقاومته باقي رؤساء
 الملة واعيانها والسواد الاعظم من شعبها وحماتهم الحمية والغيرة الدينية على حطه عن
 مقامه واقامة بطيريك اخر صحيح المعتقد فلم يكن من الاغرار المغوين بالضلال الا
 انهم جسروا على قتل البطيريك الحديث فعظم الامر على الاكثرين المشبهين بالايان
 القويم وعزموا ان يهلكوا اولئك الشاذين عن اخرهم قنذارك امرهم ايميريكس
 بطيريك انطاكية اللاتيني وارشد اولئك الضالين فاردوا الى محجة الدين القويم
 وصالحهم مع اخوانهم وادخلهم في طاعة روسائهم فانتخبوا متفقين بطيريكاً عوضاً
 عن البطيريك المقتول وكل منصف يرى ان اتهمه بالضلال والارتداد عنه لا تصدق
 في هذا الحادث الا على ذلك الفريق القليل ولا تمس شان الطائفة بجماعتها ولا
 يصدق عليها اتباع الضلال والرجوع عنه فجنوح بطيريك الى ضلال وقتل بعض
 الاغرار المتحمسين للضلال بطيريكاً من الكبار الفظيمة لكنها من الاعمال الفردية

المقصورة على فاعليها ولا تتعدى الى الملة كلها ونهوض باقي رؤسائها واعيانها وشعبها على البطريرك المغتر وحطه عن مقامه بينة دامغة على براءة ساحة الملة بجملةتها من شائبة انضال بل دليل قاطع على تشبههم التين بعروة الايمان القويم ونجرتي بان نورد اثباتاً لكل ما جئنا به في هذا الفصل شهادات باجيوس ولكويان وهما من كبار المؤرخين المدققين فالملامة باجيوس انتقد تاريخ الكردينال بارونيواس امام المؤرخين وتقحه ستة فسنه ولما كان بارونيواس ذكر رواية غويلمس عن ارتداد الموارنة في تاريخ سنة ١١٨٢ الحق باجيوس بكلامه انتقاداً وتقيحاً هذا ملخصه ه عدد ١٠ غلط غويلمس السوري في كل ما رواه عن ارتداد الموارنة ابناء في عدء كم انخدع غويلمس السوري وما اشد بغضه للفرسان الاورشليميين اذ كتب انهم كانوا قبلا يتمون الى حماية القديس يوحنا الرحوم ولما ازداد ما لهم استبدلوه بالقديس يوحنا المعمدان وتبين هنا كم اخطأ بنسبته بدعة الشيعة الواحدة الى ملة الموارنة بجملةتها وقد ذكر بارونيواس كلامه بجملةته فاصتغفي انا بايراد ملخصه ، ولخصه الى ان قال ، عد ١١ ان غويلمس السوري اعتمد على حكايات كاذبة لا شك في ان السوري انتحل في كتابة تاريخه اشياء كثيرة من تواريخ سعيد البطريرك الاسكندري وهذا لم يكن مدققاً في تواريخه بل ادخل بها حكايات كثيرة وروى اموراً تخالف راي المؤلفين وهي عن الصديق بمرحل وقد صرح غويلمس نفسه في مقدمة كتابه ، بان اموري ملك اورشليم دفع اليّ كتباً عربية فكتبت تاريخاً اخر يتدى من ظهور الاسلام الى هذه السنة التي هي سنة ١١٨٤ للميلاد فينطوي على تاريخ خمس مئة وسبعين سنة وقد تبعت خاصة الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري ، . . . فتاريخ السوري هذا لم يصل الينا وما بقي منه في تاريخ الحرب المقدسة قال هو فيه ، لم يكن لدي في هذا القسم ما يرشدني اليه من الكتب اليونانية او العربية فاعتمدت فيه على التقليدات وحدها الاً شيئاً يسيراً كنت فيه

شاهداً عياناً ونظمت سلسلة اخباره ، على ان التقليدات التي اسمها كانت غالباً غير صحيحة ومما لا ريب فيه انه اعتمد في اكثرها على حكايات سعيد المذكور عن اصله العربي فقال ، كان في ايام موريق ملك الروم راهب اسمه مارون ، الى اخر كلامه المعروف الذي رواه باجيوس هنا الى ان قال ، عدد ١٢ ان تاريخ سعيد مشحون بالاقاصيص لان بدعة المشيئة الواحدة لم تظهر في ايام موريق هذا ولا في عصره فوقا خليته بل في ايام هرقل وهذا يعلمه جميعهم والدير الذي ذكره سعيد لم يكن بعد وفاة مارون هذا (اى يوحنا مارون) بل كان قبله بنحو مائتي سنة وكان مكرماً على اسم القديس مارون الرئيس وقد استدل نيرون على هذا بشهادة بروكوبوس القيصرى في الكتاب الخامس من ابيانة يوستينان حيث قال ، جدد واصلاح فندق الفقراء على اسم القديس رومانس ودير القديس مارون فوق حماه ومما لا يمتري فيه ان . يوستينان توفى سنة ٥٦٥ وموريق تسم منصة الملك سنة ٥٨٣ وتوفى سنة ٦٠٢ فتجديد بناء الدير في ايام يوستينان يستلزم ان يكون حينئذ قديماً جداً وتؤيد ذلك اعمال المجمع الخامس المسكوفى الذى عقد سنة ٥٥٢ في عصر يوستينان المذكور اذ شهد هذا المجمع قصاد دير القديس مارون الذى كان طائر الشهرة وكان اول جميع اديار سورية الثانية ورئيسها وهذا بين ايضاً من توقيع سفراء هذا الدير على اعمال المجمع المذكور ، وقد ابنا ان مارون هذا ، اى يوحنا مارون ، كان راهباً في الدير المذكور نفسه وكان اسمه يوحنا فزاد عليه مارون اخذاً اياه من اسم دير القديس مارون الرئيس وقد استوفينارد هذه الحكاية باسهاب في تاريخ سنة ٦٣٥ ، (نكتفي برده هنا عن رده في تاريخ السنة المذكور لئلا يمل القارى)

• عدد ١٣ ان بعض الموارنة زاغوا عن الايمان . بقي لنا هنا ان نقفد مارواه

بارونيوس عن الصوري من ان ملة الموارنة بجماتها ارتدت الى الايمان الكاثوليكي

فلاريب في ان بدعة المشيئة الواحدة انسربت في جبل لبنان واتصل السم الى
البطيرك نفسه كما روينا في تاريخ سنة ١١٠٩ وكان انسابها في نحو اوائل هذا
القرن بواسطة توما الخاراني اسقف كفرطاب كما قلنا في المحل المذكور

عدد ١٤ وفي هذه السنة ١١٨٢ اوقع ايميريكس البطيرك الانطاكي الصلح
في كنيسة الموارنة ان الموارنة بعد ذلك وبعد ما ذكرناه في تاريخ سنة ١١٠٩ انتخبوا
بطيركاً كاثوليكياً قتله الشاذون عن الايمان وتوافرت الانقسامات والفتق بين
الموارنة على انتخاب بطيرك اخر كما روى نيرون قسارح ايميريكس بطيرك
انطاكية اللاتيني وحمد جذوة حقهم ورد من اوجدوا الشقاق او اتبعوه الى الطاعة
وحلهم بسطان الخبر الروماني من الحرم الذي حل بهم لاقترافهم الجريمة الكبرى
بقتل البطيرك واجتمعت كلمة الموارنة على انتخاب بطيرك حديث مشهور
باستمساكه بالايمان القويم ، وايد باجيوس كلامه بما جاء في مقالة نيرون من انقياد
الموارنة بواسطة ايميريكس وطلبه الحل لهم من الكرسي الرسولي وانتخابهم بطيركاً
سكن في دير العذراء القديسة في هايل وحفظ كل ما في الانجيل وكان ضليعاً في
تفسير الاسفار المقدسة والف ميامر كثيرة في الايمان ولم يند ايمان مارون بل
ثبت وتأييد الى ان قال : ومن ذلك ينتج نتجاً واضحاً ان الصوري لما علم ان الموارنة
الذين اتبعوا شقاق توما الكفرطابي جحدوا ضلاله على يد ايميريكس واقروا بالايمان
الروماني هم والبطيرك بعد وقوع الصلح ظن ان الموارنة جميعاً كانوا متلوئين
ببدعة المشيئة الواحدة فنسب الى كل الملة ما لا يصدق الا على فريق يسير منها
ولا اهمية له فيها وقد زاع مدة فقط الا ان تقول ان الصوري انخدع باخبار احد
من الذين ارتبكوا بشقاق توما الكفرطابي ولكن لا معذرة البتة للصوري بزعمه
ان المجمع السادس عقد ضد الموارنة وانه حرمهم اذ لا كلمة واحدة في اعمال هذا
المجمع تشير الى ذلك

عدد ١٥ قد اخطأ الصوري بنسبته الى الملة جمعاً الضلال فكيف حق له ان يقول ان الموارنة تسكعوا ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة واسمقهم داود الذي كان سنة ١٣٧٠ لاسكندر وهي سنة ١٠٥٩ الف كتاباً جمع فيه قوانين الكنائس الشرقية كما يظهر من رسالة الانبا يوسف اليه في طلب هذا الكتاب وقد اثبت الاسقف داود في الفصل الاول منه ان الموارنة يعترفون بمشيئتين في المسيح اذ قال ان الروم يتفقون مع الموارنة بالاقرار بالمشيئتين والموارنة يعترفون بالمشيئتين تبعاً للطبيعتين الالهية والبشرية ، فكيف يزعم الصوري انهم كانوا ملوثين ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة ولم يرعوا عنها الا سنة ١١٨٢ اجل ان بعض الموارنة سافر الى قبرص حين انقسامهم واطفى كثيرين ولكن لا ينتج من هذا الا ان كثيرين من الموارنة كانوا ضالين عن الايمان الصحيح على ان هذا لا يوجب الضلال على الامة جمعاء كما ان كثيرين من الافرنسيين والجرمانيين تلوثوا بضلال كلوينوس ولا ينتج من ذلك ان الامتين ليستا كاثوليكتين وقد ندد بعضهم بالموارنة لانه وجد في كتبهم ما يدل على بدعة ولا سيما بدعة الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة لكن هذا ادخله مكر اليعاقبة على كتب الموارنة لانه لما كانت اللتان تستعملان اللغة السريانية في صلواتهما فعني اليعاقبة بان يدخلوا ضلالهم في كتب الموارنة محرفين لها او زائدين عليها وهذا ظاهر مما كتبه بطرس بطريك الموارنة الى الكرديال انطونيوس كارافا في ٢٥ آب سنة ١٥٨٣ ورواه نيرون صفحة ٧٧ في مقالاته المذكورة وهو قد كتب اليكم بعض الناس ان في كتبنا بعض كلمات تخالف راس الكنيسة المقدسة فنحن لا نقبل الا ما تقبله الكنيسة المقدسة وما يوجد في بعض النسخ يمكن ان يكون ادخل على كتب الموارنة من كتب الملل المحدقة بنا من زمان مديد فدع يا اخي جانبا كل شبهة باستقامة ايماننا فاساسنا ثابت منذ القديم على ايمان الكنيسة المقدسة الرسولية الرومانية ولم ترغ عن هذا الايمان

البتة ولا نكلمكم فيما فقط بل بضمنا وقلنا معاً والله الشاهد على ذلك ، فصح اذا
ان غوليمس الصوري وكثيرين غيره من الحديثين الذين تساهلوا بتصديق اخباره
عن ارتداد الموارنة قد انخدعوا انخداعاً كبيراً

« انتهى كلام باجيوس وقد اوردها مطولاً لما اشتمل عليه من القوائد في

هذا البحث

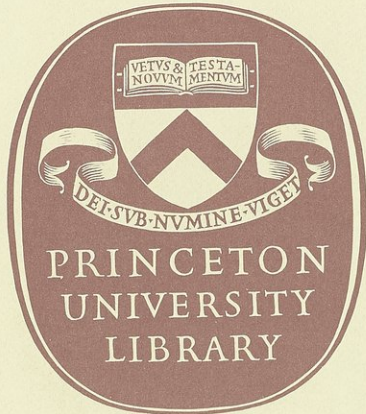
واما لكويان فقد ذكرنا شهادته في عدد ٨٥٨ فانه يمد ان ذكر ما كان بين
الموارنة حينئذ وعناية ايميريكس بارتداد الزائغين عن الايمان الى محبته القوية واذعانهم
لارشاده والصلح بينهم قال « لا ريب عندي في ان هذا ما حمل غوليمس
الصوري على ما كتبه من ان الموارنة كلهم رجعوا عن الضلال سنة ١١٨٢ على يد
ايميريكس البطريك الانطاكي مع ان هذا لا يصدق على الملة كلها بل على بعض
افرادها فقط ، وكان قد قال في مقدمة كلامه على الموارنة « كما لم يعيب افرنسة
اتباع كثيرين من اكليسها وشعبها مذهب لوتاروس وكاونيوس هكذا لا يعيب الملة
المارونية اتباع بعض افرادها الضلال مدة ما ،

اني ارى هذه الادلة التي اوردها حتى الان تجاوز حد الكفاية في دحض
دعوى سعيد بن البطريق وغوليمس استقف صور على الموارنة الضلال اللهم الله
من يحسدونا على نعمته وفضله ان ينصفونا ولا اقل من ان يجارونا في طريق الجدل
المفروضة ولا يحجوننا في ما يمد باقوال سعيد وغوليمس قبل ان يردوا الادلة
الواضحة والبيانات القاطمة التي جئنا بها هنا وفي مواضع اخرى



*Restored through
a grant from*

The Cartwright Foundation



Princeton University Library



32101 082175652